وزارة التعليم العالـــي والبحث العلمـــي

جامعة كربـلاء ـ كليّة العلوم الإسلاميّة

قسم اللغة العربيـّة

الآيات الدّالة على الفساد والإفساد في القُرآن الكريم ـ دراسةٌ بلاغيةٌ

رسَالةٌ مُقدّمةٌ إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها

كُتِبت من قِبل الطالب :

علي رياض زِمام حمّادي

بإشـــــراف:

أ. د جاسم عبد الواحد راهي

آب ٢٠٢٤م **صَفـر ١٤٤٦هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

صدق الله العلي العظيم

[سورة القصص: ٧٧]

ترشيح الرسالة للطبع

نظرا لإنجاز مباحث وفصول الرسالة الموسومة بـ (الآيات الدالة على الفساد والافساد في القران الكريم – دراسة بلاغية) لطالب الماجستير (علي رياض زمام حمادي) فإني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف: أ. د جاسم عبد الواحد

مكان العمل : كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٦ / ٥ / ٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (الآيات الدالة على الفساد والافساد في القران الكريم – دراسة بلاغية) التي قدمها الطالب (علي رياض زمام حمادي) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية / لغة القرآن وآدابها.

التوقيع:

المرتبة العلمية : أستاذ دكتور

الاسم : أ. د جاسم عبد الواحد راضي

مكان العمل : كلية العلوم الإسلامية جامعة كربلاء

التاريخ: ٢/٦/٢٠٢٤

بناء على توصية المشرف والمقوم العلمي أرشح هذه الرسالة:

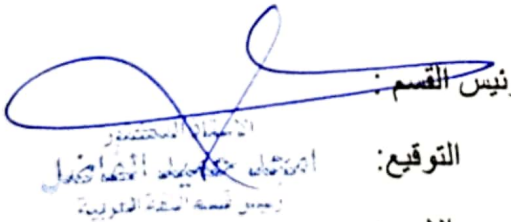

رئيس القسم :

التوقيع:

الاسم :

التاريخ: ٢٠/٦/٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على رسالة الماجستير الموسومة بـ (**الآيات الدالة على الفساد والإفساد في القرآن الكريم - دراسة بلاغية**) وناقشنا الطالب (**علي رياض زمام**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل شهادة الماجستير ؛ في لغة القرآن وآدابها .

أ.د. عباس علي حسين

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

عضـــواً

أ.د. بشرى حنون محسن

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

رئيســـاً

٢٠٢٤/ ٨/ ٢٨

أ.م .د. ليلى سعد الله ناجي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضـــواً

أ.د. جاسم عبد الواحد راهي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

عضـــواً ومشرفـــاً

صُدقت في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التوقيع :

الاسم : أ.د. محمد حسين عبود الطائي

العميـــد

التاريخ : ١ / ٩ / ٢٠٢٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإهـــداء

إلى ولي النّعمة، وسلطان الوجود، وإمام الزّمان.. الحجة بن الحسن المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشّريف).

إلى والِدي الكريم، الذي أنا بعضُ غرسِه الطّيب..

إلى والِدتي التي جاهدت من أجلنا، ودَعت فاستجاب الله دعاءها..

إلى الإخوّة التي آوي إلى ظلالها الوارفة..

إلى من ساعدت وتحمّلت، فكانت خير معينٍ على لأواء الطريق: زوجتي العزيزة أم زينب.

إلي فلذتي كبدي: زينب ، محمد رضا.

إليكم يا أغلى ما في الوجود ... أهدي هذا الجهد المتواضع.

الباحث

الشُّكر والعِرفان

قالَ سُبحانَهُ وَتَعالَى: ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾. **[سورة النمل: ١٩]**

فالشُّكرُ للهِ (عَزَّ وجَلَّ) أوّلاً وآخِراً؛ لإنعَامهِ عليَّ من النِّعَمِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى ومنها إتمامُ هذِهِ الدّراسة التي جعلتني أعايشُ القرآن الكريم وأتذوّق شيئاً يسيراً من بلاغته، والشّكر ـ من بَعدِ اللهِ ـ موصولٌ لوليّ نعمتنا، وإمام زماننا، مولانا الإمام الحجة بن الحسن المهدي (عَجّل اللهُ تعالى فرجَهُ الشّريف)؛ لخفيّ ألطافه، ودوامِ بركاته.

وأتوجّه بجزيل الشُّكر وخالص العرفان لأستاذي الأستاذ الدّكتور جاسم عبد الواحد راهي الذي بذرَ بذرة هذا البحث، وتعاهدها حتى أضحت شجرة مكتملة الفروعِ والأغصان، يانعة الثَّمر.

كما أشكر قسم اللغة العربيّة في الكليّة المُتمثّل برئيسه الأستاذ الدكتور أمجد حميد الفاضل، وجميع أساتيذي الذين نهلت من فيض علومهم؛ لما بذلوه من جهود تصبُّ في خدمة الدّارسين والباحثين.

وأشكر الأخ العزيز والصّديق الأستاذ محمد عبد المحسن الباوي الذي أخذَ على عاتقهِ إخراج هذه الدّراسة فنيّاً، وإلى جنبه ابن العم الأستاذ المُترجم عمّار خلف زمام الذي تكفّلَ بترجمة ملخّص الدراسة وواجهتها إلى اللغة الانكليزيّة، وكل زملائي الذين أفدت منهم في كتابة هذه الدراسة.

وأسألُ الله أنْ يتقبلَ هذا الجهد اليسير بأحسن القبول، وأنْ يوفقَنا لمرضاتِه وطاعتِه، إنّه نعمَ المولى ونعمَ النّصير.

الخلاصة

يُعدُّ النّص القرآني مادةً أساسيةً للدرسِ البلاغي، فلا يَستطِيعُ الباحثُ أنْ يكونَ مُلِمَّاً بِعلومِ البَلاغةِ دونَ الإشارةِ والاستعانةِ بالنّصِّ القرآني المُبارك، من هذا المُنطلَق اعتمدَ الباحثُ النّصَّ القرآني في هذهِ الدّراسةِ واختارَ **(الآياتِ الدّالة على الفسادِ والإفسادِ في القرآن الكريم)** مِن بينِ النّصوصِ القرآنيّةِ؛ لأنَّ صورَ الفسادِ والإفسادِ مِن الصُّورِ التي رَكَّزَ عليها القرآن الكريم، وهو من بابِ الإنذارِ والتَّنبيهِ وبَيانِ العاقبةِ لِتكونَ لنا العِبرةُ والعِظَةُ من هذهِ النّصوص، ولكي يكون سلوك الإنسان المُسلم دَوماً صَالحاً مُستقيماً وهو الغرض الذي بُعِثَت لأجله الرّسل وأُنزِلت الرّسالات الإلهيّة، وجعلت هذه الدراسة بثلاثة فصول يسبقها تمهيد، وتليها خاتمة: الأوّل، وقَد دَرَسَ فيه الباحثُ الأساليبَ التعبيريّة التي عرض من خلالها القرآن الكريم آيات الفسادِ والإفسادِ، وتناول في الفصل الثاني بلاغة التّركيب في آياتِ الفسادِ والإفسادِ، إذ إنّ عُنصر التّركيب في النّص يُعدّ فعّالا في إعطاءِ المفردةِ القرآنيّةِ معناها الحقيقي فلا يكونُ لها معنى دونَ حالةِ التّركيبِ مع باقي المفرداتِ، أمّا الفصل الثالث فخُصص لدراسة التّصويرِ والتناسب الصّوتي في الآيات عيّنةِ الدّراسة.

وقد ظهرَ في خاتمةِ الدّراسةِ أنّ النّصَ القرآني قد تفرّدَ بميزةٍ أساسيّةٍ في التّأثير، وهي أنّ تأثيرهُ ليسَ قائماً على اختيارِ الكلماتِ والمفرداتِ المجرّدة فحسب، لكنّه قائمٌ على الإيحاءات والتّلميحات أيضاً، وهذه السّمة قد أضفت لأسلوب القرآن جمالَهُ وقوةَ تأثيرِهِ؛ لِمَا نتجَ عنها من معانٍ إضافيّة، الأمر الذي قضى بخلودها وصلاحيّتها في الأزمان، وَوَسَّع مساحة التّفكير والتّأمُّل في فضاءات الكلمة المتعددة المعنى، كما ظهر تعدد أساليب القرآن الكريم في عرضه للحقائق والمعاني في الآيات عيّنة الدّراسة، فضلاً عن نتائج أخرى.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصّفحة
المقدّمة	**١ـ٦**
التّمهيد: مفهومُ الفسادِ والإفسادِ وأنواعُهما في القرآن الكريم	**٧ـ٢٦**
الفصل الأول: الأساليب التّعبيريّة للفساد والإفساد في القرآن الكريم	**٢٧ـ٦٥**
التوطئة	**٢٨**
المبحث الأول: أسلوب الإيحاء باللفظ	**٢٩ـ٣٩**
المبحث الثاني: الأسلوب الكنائي	**٤٠ـ٥٢**
المبحث الثالث: أسلوب التّراكيب السّياقيّة	**٥٣ـ٦٥**
الفصل الثاني: بلاغة التّركيب في الآيات الدّالة على الفساد والإفساد	**٦٦ـ١٠٣**
التوطئة	**٦٧ـ٦٨**
المبحث الأول: التّقديم والتّأخير	**٦٩ـ٨٠**
المبحث الثاني: التّعريف والتّنكير	**٨١ـ٩٢**
المبحث الثالث: الذّكر والحذف	**٩٣ـ١٠٣**
الفصل الثالث: بلاغة التّصوير والتناسب الصّوتي في آيات الفساد والإفساد	**١٠٤ـ١٤٧**
التوطئة	**١٠٥**
المبحث الأول: بلاغة التّصوير	**١٠٦ـ١٢٨**
التصوير التّشبيهي	**١٠٨ـ١١٥**
التصوير الاستعاري	**١١٥ـ١٢٣**
التصوير التّمثيلي	**١٢٣ـ١٢٨**
المبحث الثاني: بلاغة التناسب الصّوتي	**١٢٩ـ١٤٧**
الفاصلة القرآنية	**١٣٠ـ١٣٧**
التكـــرار	**١٣٧ـ١٤٢**
الطبـــاق	**١٤٢ـ١٤٧**
الخاتمة	**١٤٨ـ١٥١**
المصادر والمراجع	**١٥٢ـ١٧٢**
الخلاصة باللغة الانكليزية	A

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمــة

والحَمدُ لله قاصمِ الجبّارين، مُبيرِ الظّالمينَ، مُدركِ الهاربينَ، نَكالِ الظّالمينَ، صريخِ المُستصرِخينَ، والصّلاةُ والسّلامُ على نَبيِّنا الصَّادقِ الأمين، وآلِ بيتهِ الطّيبينَ الطّاهرينَ الغُرَر الميامين، مُنقذي الأمّةِ مِن الضَلالِ، وشُفعائها يومَ لا تَنفعُ شَفاعةَ الشّافِعينَ، صَلاةً تَطمئنُّ بِها القلوبُ، وتهدأُ بِها النُّفوسُ.

أمّا بَعدُ:

خلقَ اللهُ سبحانهُ وتعالى هذا الكونَ الرَّحب بأبهى صورةٍ وأتقنَ خلقَه، فبسطَ الأرضَ وجعلها مهيّأة لراحة المخلوقات، ونصب الجبال لكي تحافظ على توازنها، ورفع السّماء مِن غير عَمَد، وزيّنها بزينة الكواكب، ثم خلق الإنسان في أحسن صورة، وميّزه من مخلوقاتهِ بجوهرة العقل، وسخّر له هذا الكون؛ ليكون خليفته فيه، يُقدّسهُ سبحانه ويدعو إلى عبادته، ويُصلحُ في أرضه؛ ليتعجّب الملائكةُ من هذا الخليفة؛ لما علموا أنّه سيُفسدُ في الأرض، ويُخرّبُ سُنَنَها وقوانينها، ليكونَ الردّ الإلهي مُتعلّقاً بعلمهِ سبحانهُ وتعالى، ولتكونَ قضيّة الإفساد هي القضيّة المحوريّة التي تعجّب منها الملائكة في خلق هذا الخليفة.

وهذا الكونُ والنظامُ البديعُ قائمٌ على سننٍ إلهيةٍ ثابتةٍ لا تتغيّرُ ولا تتحوّلُ، من هذه السُّنن سُنّة التكامل بين أجزاء هذا الكون، فقد أناط الله تعالى لكلِ جزءٍ من أجزائهِ دوراً خاصّاً به ينسجمُ ويتكاملُ مع سائرِ الأجزاءِ الأخرى.

وقد حذّرَ الباري سبحانهُ وتعالى الإنسانَ من الإفساد في هذا الكون البديع، ومن تغيير السُنن الإلهيّة التي يقوم عليها، لأنّها ثابتة، وبها يقوم النّظام الكوني، فهي سُننٌ متكاملة عليه المُحافظة عليها وعدم الإخلال بنظامها من خلال الإفسادِ فيه، وقد أكَّدَ ذلك في كثيرٍ من آياتِ كتابهِ الكريم.

وانطلاقاً مما سبق ذكره، واستكمالاً لجهود العلماء والدّارسين في إظهار مزية النّص القرآني، والجوانب الإعجازيّة في البيان القرآني، شرفت باختيار هذه الدّراسة الموسومة بـِ **(الآيات الدالة على الفساد والإفساد في القرآن الكريم ـ دراسة بلاغيّة)**، لِما فيهِ من مادّةٍ علميّةٍ وافيةٍ، فضلاً

عن كونهِ موضوعاً جديداً لم تَسبق دراستهُ من الزاوية البلاغيّة ـ بحسب البحث والاستقصاء ـ قبل هذه الدّراسة.

فكانت هذهِ الدَّوافعُ الرّئيسة للشروع في هذه الدراسة، التي يرجعُ فضلَ تهذيبِ فكرتِها وتقويمِها لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور جاسم عبد الواحد راهي، ويزيد في رغبتي لدراسة هذا الموضوع أنّه يهتم بكشف المعنى في القرآن الكريم، وهو أمرٌ تتوقّدُ إليهِ رغبة النَّفس وغايةٌ تطلبها شهوةُ العِلم.

مُسوّغات الدّراسة:

كان لاختيار هذه الدّراسة مسوّغات وغايات يمكن إجمالها بالآتي:

١ـ الرّغبة في دراسة القرآن الكريم دراسة بلاغيّة.

٢ـ تسليط الضوء على شيءٍ من أسرار البلاغة القرآنية وما فيها من سحرٍ وبيانٍ، فهي بحرٌ زاخرٌ لا ينضبُ معينه.

٣ـ الحدّ من توجّه الإنسان إلى ميادين الفساد من خلال التّعريف به وبنتائجه، كون الفساد ظاهرة مُستشرية، تَنخر جسد هذا العَالَم، فتتركُ بذلك مظاهر التَّخلُّف والجهل والأمراض والفقر.

٤ـ عدم إفراد الآيات الدّالة على الفساد والإفساد بدراسة منتظمة بذاتها تعالجها من زواية بلاغيّة بحسب ما تناهى إلى الباحث بعد التّفتيش والتّقصّي.

٥ـ إثراء ورفد المكتبة العربيّة الإسلاميّة بالدّراسات البلاغيّة القرآنية.

أهميّة الدّراسة:

تتأتّى أهميّة هذه الدّراسة من أهميّة العيّنة المُختارة للدراسة وهي آيات القرآن الكريم الدّالة على الفساد والإفساد، وأثرها في بيان النّتائج المُترتّبة عن هذه الظّاهرة والآثار التي تُخلّفها في المُجتمعات، والأمراض التي تفتك في النّظام الكوني المُتوازن.

إشكاليّة الدّراسة:

تتمثّلُ الإشكاليّة في هذه الدّراسة من خلال الأسئلة التي تسعى الدّراسة للإجابة عنها، وتتمثّل في ما يلي:

١ـ ما هو مفهوم الفساد؟ وماهي صوره وأنماطه في النّص القرآني؟.

ويندرج تحت هذه الإشكاليّة وتحت هذا السّؤال أسئلة فرعيّة أخرى، منها:

٢ـ كيف وصفَ القرآن الكريم مظاهر الفساد والإفساد؟

٣ـ كيف عالج النّص القرآني بأساليبه المُتنوّعة الآيات الدّالة على الفساد والإفساد؟

٤ـ ما هي الخصائص التّركيبيّة التي شكّلت آيات القرآن الكريم الدّالة على الفساد والإفساد؟

٥ـ ما مدى تأثير الجانب التّصويري والصّوتي للآيات القرآنيّة الدّالة على الفساد والإفساد، في المُتلقّي للنص القرآني الكريم؟ وما أهمّ وظائف التّصوير والانسجام الصّوتي في الآيات الدالة على الفساد والإفساد؟

منهجيّة الدّراسة:

اتّبعت هذه الدّراسة المنهج الاستقرائي أولاً في إحصاء الآيات الدالّة على الفساد والإفساد في القرآن الكريم، وتقسيم الآيات من حيث دلالة ألفاظها على الفساد، وتصنيف أنواع الفساد في النّص القرآني، ثمَّ تحليل الآيات تحليلاً بلاغيّاً وفق المنهج الوصفي التّحليلي، والكشف عن الأسرار التي اكتنفتها، والقيم الفنيّة، والأساليب البلاغيّة، والصّور الجماليّة التي حوتها هذه الآيات المباركات.

الدّراسات السّابقة:

١ـ جريمة الإفساد في الأرض "مفهومها وتطبيقاتها المعاصرة في الفقه الإسلامي" (أطروحة دكتوراه): خالدة ربحي عبد القادر الناطور، كليّة الدراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، أيار ٢٠١٠م.

٢ـ آيات الفساد والإصلاح في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة ماجستير): جميل عبد سلمان، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م.

٣ـ مفهوم الفساد في القرآن الكريم (بحث منشور): د. محمد عباس نعمان الجبوري، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، العدد:٧، آيار ٢٠١٢م.

٤ـ الفساد وأسبابه دراسة قرآنية موضوعية (بحث منشور): د. عبد السلام حمدان اللوح، أ. ضيائي نعمان السوسي، مجلّة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، م١٥، ع٢، ٢٠٠٧م.

٥ـ مفهوم الإفساد في الأرض دراسة تأصيلية (رسالة ماجستير): عادل بن عبد الله عباد الحربي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية . كلية الشريعة، ١٤٣١ـ ١٤٣٢هـ.

٦ـ منهج القرآن الكريم في دفع الفساد دراسة موضوعية (رسالة ماجستير): يوسف بن عبد العزيز بن سليمان العقيلي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية . كلية أصول الدين، ١٤٢٩. ١٤٣٠هـ.

٧ـ صور الفساد الاقتصادي في القصص القرآني(بحث منشور): حمزة عبد الله سعادة شواهنة، مجلة قبس للبحوث والدراسات الشرعية، العدد٥، ٢٠٢٠م.

هيكليّة الدّراسة:

انتظمَ البحثُ بخطّةٍ مرتكزةٍ على ثلاثةِ فصولٍ تسبقُها مقدمةٌ وتمهيدٌ، وتليها خاتمةٌ تحملُ أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع التي أفادت منها الدراسة.

لقد نَظَّرَ الباحثُ في التّمهيد لمفهوم الفساد والإفساد، وصيغه وأنواعه في القرآن الكريم، أمَّا الفصل الأول فاهتمت الدراسة فيه بإظهار أساليب القرآن الكريم المتنوّعة التي عالجت عيّنة الدّراسة، وقد اختير من بين هذه الأساليب وبحسب معيار الكثرة: الأسلوب الإيحائي باللفظ، والأسلوب الكنائي، وأسلوب التّراكيب السياقية.

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان: بلاغة التّركيب في الآيات الدّالة على الفساد والإفساد، والذي عالج مِزية النّص القرآني في استعماله للبنى التركيبيّة الإسناديّة من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وذكر وحذف، وبيان الغاية والحكمة من استعمالها.

في حين خُصِص الفصل الثالث لدراسة بلاغة التّصوير، والتناسب الصّوتي في الآيات الدّالة على الفساد والإفساد، فوقفت الدّراسة في هذا الفصل تُظهر الصّور الفنيّة في مُكوّناتها البلاغيّة، وتستعرض التّفرد القرآني.

وجاءت الخاتمةُ حاملةً لأهمِّ النتائج التي خَلُصتْ إليها الدراسة، وتلتها قائمةٌ بالمصادرِ والمراجعِ التي أفادت منها الدّراسة، إذ تعددت مصادر الدراسة ومراجعها فكان لكتب التّفسير

والبلاغة والنَّقد الأدبي قديمها وحديثها الحضور البارز في إثراء هذه الدراسة، وإنارة طريقها، ومنها: تفسير الميزان للطباطبائي، وتفسير الكشّاف للزمخشري، وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وغيرها من المصادر والمراجع.

وفي نهاية المطاف فإنِّي لا أّدعي أنّي قد أصبتُ كبد الحقيقة في عملي هذا، بل إنَّ ما ثبَّته يمثل محاولات أوليّة حرصتُ على أنْ تكونَ صحيحةً في مضامينها سليمةً في مُؤدّاها، وإنْ تعثَّرت خُطاي فعُذري أنّي مازلتُ في بداية الطريق أتلمّسُ الصوابَ وأنشدُ الحقيقةَ، وإنْ كانت من حسنةٍ تُذكر للعمل فبمَنِّ اللهِ وتوفيقهِ والجهودِ التي من ورائهِ، وما كان فيه من نقصٍ فعُذراً من هفواتهِ، فالكمالُ للهِ وحدَهُ، وما توفيقي إلا باللهِ عليهِ توكلتُ وإليهِ أُنيبُ.

التمهيـــــد

مَفهُومُ الفَسَادِ والإفسَادِ وَأَنواعُهُمَا فِي القُرآنِ الكريم

التمهيد: مفهوم الفساد والإفساد، وأنواعهما في القرآن الكريم

جَرت عادةُ الباحثينَ على التّعريفِ بالمصطلحاتِ ذاتِ الصِّلةِ بالدّراسة، الواردة في العنوان، ومن ثَمَّ تحديدُ معاني ودلالاتِ هذهِ المصطلحاتِ فضلاً عن خصائصِها وتقسيماتِها، حتّى صارَ هذا الإجراءُ من مقتضياتِ مبادئِ البحثِ العلمي ومناهجهِ الحديثة؛ لأنَّ النتائجَ التي سَتتوصلُ إليها الدّراسةُ إنّما هي مبنيّةٌ على هذهِ المفاهيم.

ولا يَخفى على أحدٍ أنَّ الرّجوعَ بهذهِ المصطلحاتِ إلى دلالاتِها اللغويّة الواردة في مُتون اللغةِ، يُمثّلُ الرّجوع إلى المادّة الخَام، والأصل الذي تداولت فيه وانبثقت منه، وما يطرأ على هذه المعاني من تبدّل وتغيّر فهو ناتج عن طبيعة العلوم واستعمالاتها المختلفة لهذه المصطلحات، بحسب حقل اشتغال كلّ منها، ولذا من المفيد الوقوف على مفاهيم ودلالات المصطلحات الواردة في العنوان، قبلَ الشروع في غمارِ البحثِ، وبحسبِ الآتي:

أولاً: مَفهومُ الفَسادِ وَالإفسادِ في اللُغةِ والاصطِلاحِ:

أ. مَفهومُ الفسادِ ودلالاتُهُ في اللغةِ:

جَاءَ ذكرُ الفسادِ عند ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : ((الفاءُ والسّينُ والدّالُ كلمةٌ واحدة، فَسَدَ الشّيء يَفسُد فَسَاداً وفُسُوداً، وهو فاسِدٌ وفَسِيد))[١]، و((فَسُدَ يَفْسِدُ لغة ضعيفة، والأُولى هي اللغة المشهورة))[٢]، و((الجمعُ فَسدَى والاسمُ الفَسَاد))[٣]، ويُقال: ((ما دأبُه غير الفساد في دينه. وهذا الأمر مفسدة له أي: فيه فساده.. والأمير يستفسد رعيته، وقد تمادى في استفسادهم، وفلان يُفاسِد رهطه، وقد تفاسدوا))[٤].

---

(١) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د ط)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، مادة (فسد):٥٠٣/٤.

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العزيز مطر، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، مادة (فسد): ٨/ ٤٩٦.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: العلّامة أحمد بن محمد بن علي الفيّومي المقري (ت٧٧٠هـ)، (د ط) مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م: ١٨٠.

(٤) أساس البلاغة: جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م: ٢٢/٢.

ويَدلُّ لَفظُ (الفَسادِ) في اللغةِ على معانٍ عديدة، وهيَ:

١. **ضِدّ الصّلاح:** وردَ في العينِ: ((الفَسادُ نَقيضُ الصَّلاح))[١]، و((اسْتَفْسَد فلانٌ إلى فلانٍ: ضِدّ استصلَحَ))[٢].

٢. **القطيعة والتدابر:** جاء في اللسان: ((تَفاسَدَ القومُ: تَدابَروا وقطعوا الأرحام))[٣].

٣. **الإساءة:** ورد في لسان العرب: ((استفسد السلطان قائده إذا أساءَ إليه حتّى استعصى عليه))[٤].

٤. **الجدب والقحط:** قوله عزّ وجلّ: ﴿ظَهَرَ ٱلفَسَادُ فِي ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ﴾[٥]، المقصود بالفسادُ هنا: ((الجَدبُ في البرّ، والقَحْطُ في البحر، أي في المدن التي على الأنهار))[٦].

٥. **الإبارة:** ورد في لسان العرب:((وفسّدَه الشيءَ إذا أبَارَه))[٧].

٦. **الهلاك:** ((قومٌ فَسْدَى كما قالوا سَاقِطٌ وسَقْطَى، قال سيبويه: جمعوه جمع هَلْكَى لتقاربهما في المعنى))[٨].

٧. **الإتلاف:** جاء في تاج العروس: ((أفسد المال يُفسدُهُ إفساداً وفساداً))[٩].

---

(١) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، مادة (فسد): ٣٢١/٣.

(٢) تاج العروس: مادة (فسد): ٨/ ٤٩٧.

(٣) لسان العرب: العلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، مادة (فسد): ٢٦١/١٠.

(٤) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٥) سورة الروم: ٤١.

(٦) ينظر: لسان العرب: مادة (فسد): ٢٦١/١٠، وتاج العروس: مادة (فسد): ٨/ ٤٩٧.

(٧) لسان العرب: مادة (فسد): ٢٦١/١٠.

(٨) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٩) تاج العروس: مادة (فسد): ٨/ ٤٩٧.

٨. الظلم: ورد في القاموس المحيط: ((والفَسادُ: أخذُ المال ظلماً))[١].

٩. البطلان والتغيّر: قال الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ): ((فَسَدَ الشيءُ: بَطَلَ واضمحل، ويكون بمعنى تَغَيّرَ))[٢].

١٠. الخروج عن الاستقامة: قال القُرطبي (ت ٦٧١هـ): ((الفَسادُ ضِدّ الصّلاح، وحقيقتُه: العدولُ عن الاستقامةِ إلى ضِدّها))[٣].

مما تقدّم يُلحظ أنّ جميع التّعريفات والدّلالات اللغويّة تتفق على كون الفساد هو حالة خروج الشّيء عن كونه صالحاً ونافِعاً، وهو نقيض الصّلاح.

ب . الفَسادُ والإفسادُ في الاصطِلاحِ:

عَرّف العَلّامةُ الرّاغبُ الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) الفسادَ بأنّه: ((خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً، ويُضَادُّه الصَّلاحُ، ويُستعملُ ذلك في النّفْس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة))[٤]، فلفظ الفساد هنا يُطلق على حالة الاختلال وفقدان التّوازن التي تُصاب بها الأشياء الماديّة والاعتباريّة، وعرّفه بعضهم بأنّه: ((التغيير عن المقدار الذي تدعو إليه الحكمة والشّاهد أنّه نقيض الصّلاح وهو الاستقامة على ما تدعو إليه الحكمة))[٥]، فبطبيعة الحال الحكمة مَدعاةٌ للصلاح، وخلاف الحكمة مدعاةٌ للفسادِ.

---

(١) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، مادة (فسد):٣٠٦.

(٢) تاج العروس: ٨/ ٤٩٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السُّنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م: ١/ ٣٠٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن: العلامة الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م: ٦٣٦.

(٥) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٦، قم، ١٤٣٣هـ.ق: ٤٠٥.

وجَاءَ في كتابِ التّعريفاتِ: ((الفسادُ: زوالُ الصّورةِ عن المادة بعد أنْ كانت حاصلة))[1]، فالماءُ مثلاً في أصلِه صالحٌ للشربِ والانتفاعِ بهِ، أمّا إذا زالت صورتُهُ الصّالحة، ولم يَعُد قابلاً للاستعمالِ فهو فاسدٌ حينئذٍ.

أمّا **الإفسادُ** فقد عرّفه بعضهم: ((هو جعلُ الشيءِ فاسداً خارجاً عمّا ينبغي أنْ يكونَ عليهِ وعن كونهِ مُنتَفعاً به، وفي الحقيقة هو إخراج الشّيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح))[2]، أي: أنّ هناك من يعمل على إخراج الشيء عن حالة الانتفاعيّة، فهو مُفْسَدٌ حينئذٍ، يعني أنّ خروجه عن صَلاحيّتهِ ونفعيّتهِ لَمْ يَكن من ذاتهِ وتلقاءِ نفسه.

ومصطلحُ الفسادِ من المصطلحاتِ العائمّةِ، فقد تتعددُ دلالاتُه بتعددِ الأشخاصِ أو الجهاتِ التي تعرِّفُه، والتي غالباً ما تنتمي إلى حقولٍ مَعرفيّةٍ مُختلفةٍ، فهو:

١. فِي اصطِلاحِ علماء التَّفسير:

جاءَ تعريف الفساد عند الشّيخ الطّوسي (ت ٤٦٠هـ) بأنّه: ((هو كلّما يغيّر عن استقامة الحال. تقول: فَسَد يَفسد فساداً. والإفسادُ: إحداثُ الفسادِ. والمُفاسدةُ: المُعاملةُ بالفسادِ. والتّفاسدُ: تعاطي الفساد بين اثنين. والاستفسادُ: المُطاوعةُ على الفسادُ))[3]، فقد سلّط الشيخ (رحمه الله) الضوء على تعريفي الفساد والإفساد، وذكر صيغهما واشتقاقاتهما.

وعرّفَه الزّمخشريُّ (ت ٥٣٨هـ) بأنّه: ((خروج الشّيء عن حال استقامته وكونه مُنتفعاً به، ونقيضه الصّلاح))[4]، وهذا التّعريف لا يخرج كثيراً عن دلالة مصطلح الفساد اللغويّة.

---

(١) التعريفات: العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، (د ط)، دار الفضيلة، مصر:١٤٠.

(٢) الكليّات: أبو البقاء الكفوي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م: ١٥٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: العلّامة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، (د ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/ ٧٥.

(٤) الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: العلّامة جار الله محمود بن عُمَر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م: ١/١٧٩.

في حين عرّفه أبو حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) بأنّه: ((التغيّر عن حالة الاعتدال والاستقامة، ونقيضه الصّلاح، وهو اعتدال الحال واستواؤه على الحالة الحِسنة))[١]، وهو لا يختلف كثيراً عن سابقه.

وعَرّفه السيد السبزواري بأنّه: ((خروج الشيء عن الاعتدال، وتغيّره عن سلامة الحال، وضدّه الصلاح))[٢]، وهذا التّعريف أيضاً لا يخرج كثيراً عن أخويه السّابِقَين.

وعرّفه الطاهر بنُ عاشور بأنّه: ((استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرّة به أو بغيره، وقد يُطلق على وجود الشيء مشتملاً على مضرّة))[٣]، أو هو((انتقاض صورة الشيء))[٤]، وتغيّر حالته وطبيعته.

أمّا **الإفساد** فهو((فعلُ ما بهِ الفسادُ والهمزةُ فيهِ للجَعْلِ، أي: جعلُ الأشياءِ فاسدةً في الأرضِ))[٥]، مما يدلّ على وجود طرفٍ يكون سبباً لإحداث هذا الفساد.

والإفساد في الأرض: ((العملُ فيها بما نهى الله جلّ وعزّ عنه، وتضييع ما أمر الله بحفظه))[٦]، وعُرِّفَ أيضاً بأنّه: ((هيج الحروب والفتن))[٧]، وللإفسادِ في الأرضِ مصاديقٌ وصورٌ عديدةٌ ستأتي الدّراسةُ على ذكرها إن شاء الله.

ومما تقدّم فقد اتّفقت جميع التّعريفات على أنّ الفسادَ هو خروج الشيء عن طبيعته الصّالحة والمُعتدلة، فقد خلق الله عزَّ وجلَّ هذا الكون صالحاً، وكلّ شيءٍ في هذا الكون صالحاً أيضاً، وما خرج عن حالة الصَّلاح فهو من فعل وإفساد المخلوقات وليس من عند الخالق الحكيم سبحانه

---

(١) البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م: ١٩١/١.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، ط٥، منشورات دار التفسير، قم، ١٤٣١هـ. ٢٠١٠م: ١٢٦/١.

(٣) التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (د ط)، الدار التونسيّة للنشر، تونس، ١٩٨٤م:٢٨٤/١.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف: الشيخ عبد الرءوف بن المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق وتعليق: جلال الأسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،: ٣٤٤.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٨٤.

(٦) جامع البيان عن تأويل القرآن: ١/ ٢٩٩ ، والتبيان في تفسير القرآن: ٧٥/١.

(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١٧٩/١.

وتعالى، وهو نقيض الصّلاح. أمّا **الإفساد** فهو فعل الفساد، ونقيضه الإصلاح الذي هو فعل الصّلاح.

٢. الفسادُ والإفسادُ فِي اصطِلاحِ علماء الفقه والأصول:

جاءَ تعريفُ الفسادِ في بعضِ كتبِ الفقهِ: ((الفساد في العقود مُرادفٌ للبطلانِ في غير العقود الماليّة))[١]، وهو الذي عليهِ جميعُ علماءِ المذهبِ الشّيعيّ[٢]، وباقي المذاهب الفقهيّة عدا المذهب الحنفي، ففي المذهب الحنفي يختلف الفساد في العبادات عنه في المُعامَلات، ففي العبادات يكون كلّ فاسدٍ باطلٌ، بينما هناك تفريق بين الفساد والبطلان في المُعامَلات، فالفساد في المعاملات هو ما كان مشروعاً بأصله غيرُ مشروعٍ بوصفهِ، كالرِّبا فإنّه مشروعٌ من حيث أنّه بيعٌ، ممنوع من حيث اشتماله على الزّيادة[٣]، أمّا البُطلان فهو ما كان التصرّف غير مشروع بأصله ولا بوصفه. في حين أنّ الفساد والبُطلان عند الجمهور يعنيان شيئاً واحداً لا فرق بينهما[٤]، وقد فرّقت بعض المذاهب بين البُطلان والفساد في بعض الأبواب الفقهية كالحج والخلع[٥].

---

(١) دليل المصطلحات الفقهية: محمد القندوري بمشاركة د. محمد المختار، (د ط)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م: ٩٣ ، ومفهوم الإفساد في الأرض دراسة تأصيلية: ١٠.

(٢) ينظر: غاية الوصول وايضاح السُّبل في شرح مختصر منتهى السُّؤلِ والأملِ: العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر(ت ٧٢٦هـ)، تقديم وإشراف: الشيخ جعفر السبحاني، ط١، منشورات مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، ١٤٣٠هـ: ٢٨٧/١.

وينظر: دروس في أصول فقه الإمامية: العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م: ٤١٣/١.

(٣) ينظر: غاية الوصول وايضاح السُّبل في شرح مختصر منتهى السُّؤلِ والأملِ : ٢٨٧/١.

(٤) ينظر: معجم لغة الفقهاء: أ. د . محمد رواس قلعه جي، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م: ٣١٤. ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: /٢٤٩ـ ٢٥٠.

ومصطلحات المذاهب الفقهية: مريم محمد صالح الظفيري، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م: ٧٧ـ ٧٨.

والتطبيقات الفقهية لقاعدة النهي يقتضي الفساد في الكفالة والصلح (رسالة ماجستير)، إبراهيم بن محمد بن مطر العبدلي، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية ـ قسم الفقه المقارن، ١٤٣٤هـ ـ ١٤٣٥هـ:١٥ـ ١٦.

(٥) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة: ٢٤٩.

أمّا **الإفساد** في اصطلاحِ الفُقهاءِ فهو: ((جعل الشيء فاسداً خارجاً عمّا ينبغي أن يكونَ عليه))[1]، وهذا الجعلُ يقتضي أنْ يكونَ جاعلاً لهذا الفساد، وهو مَن يُطلقُ عليه المُفسِد.

ووردَ تعريف جريمة الإفساد في الأرض بأنّه: ((ارتكاب أيّ فعل موّجه إلى أيّ ركن من أركان الدولة الإسلامية، من شأنه زعزعة الأمن وبثّ الرُّعب والخوف في المجتمع المُسلم اعتماداً على القوّة الماديّة أو المعنويّة، سواء كان الفعل من فرد أو تنظيم جماعة، مكابرة أو خفية أو تحايلاً، رجلاً أو امرأة، وبهدف تقويض أيّ ركن من أركان الدّولة الإسلاميّة))[2]، أي كلّ ما من شأنه أنْ يُحدث ضرراً في المجتمع الإسلامي.

٣. الفساد في اصطلاح علماء القانون:

لم يُجمع المُختصون في القانون على تعريفٍ واحدٍ للفساد، بل تعددت تعريفاته؛ وذلك لتعدد أنواعه، إلّا أنّ التّعريف الأشهر والمُعتمد في أكثر الكتابات هو التّعريف الذي قدّمه البنك الدولي، وهو: ((سوء استغلال السلطة العامّة من أجل الحصول على مكاسب خاصّة))[3]، أي استعمال مميزات المنصب أو الوظيفة لأجل مكاسب ومنافع شخصيّة.

وعُرِّفَ أيضاً بأنّه ((الخروج عن القوانين والأنظمة وعدم الالتزام بهما، أو استغلال غيابهما، من أجل تحقيق مصالح سياسيّة أو اقتصاديّة ماليّة أو تجاريّة، أو اجتماعيّة لصالح الفرد أو لصّالح جماعة معيّنة))[4].

في حين عرّفه الدكتور أحمد محمود نهار بأنّه: ((سوء استخدام السُّلطة العامّة من أجل مَكسبٍ خاص، يتحقق حينما يَقبَل المُوظّف الرّسمي رشوة أو يطلبها أو يستجديها أو يبتزّها، وقد يكون ذلك مقترناً بسوء استخدام للسلطة، حينما يقدم رجال الأعمال من القطاع الخاص الرشاوي بقصد التحايل على السياسات العامّة والقوانين أو اللوائح، للحصول على ميزةٍ تنافسيّةٍ، أو ربحٍ، أو

---

(١) الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مادة (إفساد):٥/٢٨٦.

(٢) جريمة الإفساد في الأرض "مفهومها وتطبيقاتها المعاصرة في الفقه الإسلامي: ٧٩.

(٣) الفساد الإداري والمالي وآثاره الاقتصادية والاجتماعية في بلدان مختارة (رسالة ماجستير): إيثار عبود كاظم الفتلي، كلية الإدارة والاقتصاد . جامعة كربلاء، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م: ٧.

(٤) الفساد أسبابه وطرق مكافحته: أحمد أبو دية، ط١، منشورات الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة، القدس، ٢٠٠٤م: ٢.

مزايا شخصيّةٍ ويمكن أنْ يحدث سوء استغلال السّلطة العامّة أيضاً من أجل مغانم شخصيّة حتّى لو لم يحدث تقديم رشوة وذلك عن طريق مُحاباة الأقارب أو التّوصية بهم، أو سرقة أموال وموارد الدولة أو تبديدها))[1]، وهو تعريف مُفصّل لحالات الفساد وصوره.

ويُمكن تصنيف الفساد الاقتصادي على مستوياتٍ ثلاثة[2]، هي:

أ. المستوى الرئاسي: وهو يمثّل ذروة وقمّة الهرم السّياسي، أي فساد الحُكّام والرؤساء من خلال استغلال بعض صلاحياتهم وسلطاتهم؛ لتحقيق مصالح شخصيّة بطرق غير مشروعة، وهو من أخطر أنواع الفساد.

ب . المستوى المُؤسسي: ويقصدُ به فسادُ بعض أفراد السُلطات الثلاث: التشريعيّة، والتنفيذيّة، والقضائيّة. مثل فساد الوزراء أو المُدراء العامّين، أو بعض أعضاء مجلس النّواب، والقُضاة.

ج . المستوى الإداري: وهو فساد بعض الموظّفين في المُستويات المُتوسّطة والدُّنيا من الهرم الإداري.

ومن مظاهر هذا الفساد التي قد نراها شائعة في المؤسسات الحكومية، الاختلاس والسّرقة ونهب المال العام، والرّشوة والتّربح غير المشروع، والمُحاباة، والمحسوبيّة، والتّزوير، والواسطة، والغش، والابتزاز، وغيرها من المظاهر الشائعة في المجتمعات.

ونخلص من التّعريفات المتقدّمة أعلاه أنّها تتفق جميعاً على أنّ الفساد هو سوء استغلال الوظيفة أو السّلطة لأجل تحقيق كسب ماديّ أو معنويّ.

والفساد ـ بالمفهوم السّابق ـ يمثل ظاهرة مركّبة متنوعة متفاوتة الشّدة، متعددة الأبعاد والأطراف والعوامل، إذ أنّ لها أشكالاً وأنماطاً عديدة، وتتفاوت أنواع وأنماط الفساد بتفاوت حجمه، والسّياق الذي يجري فيه، وطبيعة السُّلطة المرتبطة به.

---

(1) مكافحة الفساد: د. أحمد محمود نهار أبو سويلم، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ، ٢٠١٠م: ١٤.

(2) ينظر: الفساد ومنعكساته الاقتصادية والاجتماعية (بحث منشور): الدكتور حسن أبو حمود، مجلة جامعة دمشق، المجلد١٨، العدد الأول، ٢٠٠٢م: ٤٤٨.

ثانياً: آيات الفساد والإفساد في النص القرآني:

إنّ لفظ الفساد في المصطلح القرآني له دلالات عديدة، فقد جاء حديث القرآن عن شتّى أنواع الفساد، ففصّل وأسهب في الحديث عن أنواع الفساد، ومظاهره، وأسبابه، وطرق معالجته ومكافحته، إلّا أنّ ما يعني الباحث في هذا التّمهيد هو تصنيف وإحصاء الآيات التي تحدّثت عن الفساد، وبيان أنواع وألوان الفساد التي ذكرها القرآن الكريم.

ويمكن تقسيم الآيات التي تحدثت عن الفساد والإفساد من حيث الألفاظ على:

١ـ الآيات التي ورد فيها لفظ (الفساد) ومشتقّاته بصورة مباشرة، وذلك بذكر لفظ الفساد بصيغتهِ اللفظيّة واشتقاقاتها المُختلفة، فقد وردت صيغ لفظ الفساد في القرآن الكريم من خلالِ أربع عشرةَ صورة، في خمسينَ موضعاً، تبيّنها الدّراسة في الجدول الآتي[١]:

صيغة الاشتقاق	عدد مرّات الذِّكر	صيغة الاشتقاق	عدد مرّات الذِّكر
لَفَسَدَت	٢	الفَسَادَ	٨
لَفَسَدَتَا	١	فَسَادًا	٣
أفسَدُوهَا	١	المُفْسِدَ	١
لَتُفْسِدُنَّ	١	مُفْسِدُونَ . المُفْسِدُونَ	٢
تُفْسِدُوا	٤	مُفْسِدِينَ . المُفْسِدِينَ	١٨
لِنُفْسِدَ	١		
يُفْسِدُ	٢		
لِيُفْسِدُوا	١		
يُفْسِدُونَ	٥	**المجموع**	**٥٠**

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٣٦٤هـ: ٥١٨ـ ٥١٩. وينظر: معجم آيات القرآن: صبحي عبد الرءوف عصر، (د ط)، دار الفضيلة، القاهرة: ٥٣٢ـ ٥٣٦.
وينظر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: د. أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، ط١، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م: ٣٥٣ـ ٣٥٤.
وينظر: دلالات مصطلح "الفساد" ومشتقاته في اللغة، واستعمالاتها في القرآن الكريم (بحث منشور): علي يوسف الرواشده، دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد٤٥، العدد٤، ملحق٢، ٢٠١٨م: ٢٣٤ـ ٢٣٥.

وجاءت هذهِ المواضعُ في سبعٍ وأربعينَ آيةً: اثنتان وثلاثونَ آيةً في السّور المكيّةِ، وخمسَ عشرةَ آيةً في السّورِ المدنيّةِ، وجاءت هذه الآياتُ موزَّعةً في ثلاثٍ وعشرينَ سورةً، منها سبعَ عشرةَ سورةً مكيّةً، وستُّ سورٍ مدنيّةٍ، تبيّنها الدّراسة في الجدول الآتي[1]:

السّورة	نوعها	أرقام الآيات التي ورد فيها المصطلح	عدد الآيات
البقرة	مدنيّة	١١، ١٢، ٢٧، ٣٠، ٦٠، ٢٠٥ (مرّتين)، ٢٢٠، ٢٥٢.	٨
آل عمران	مدنيّة	٦٣.	١
المائدة	مدنيّة	٣٢، ٣٣، ٦٤(مرّتين).	٣
الأعراف	مكيّة	٥٦، ٧٤، ٨٥، ٨٦، ١٠٣، ١٢٧، ١٤٢.	٧
الأنفال	مدنيّة	٧٣.	١
يونس	مكيّة	٤٠، ٨١، ٩١.	٣
هود	مكيّة	٨٥، ١١٦.	٢
يوسف	مكيّة	٧٣.	١
الرعد	مدنيّة	٢٥.	١
النحل	مكيّة	٨٨.	١
الإسراء	مكيّة	٤.	١
الكهف	مكيّة	٩٤.	١
الأنبياء	مكيّة	٢٢.	١
المؤمنون	مكيّة	٧١.	١
الشعراء	مكيّة	١٥٢، ١٨٣	٢
النمل	مكيّة	١٤، ٣٤، ٤٨.	٣
القصص	مكيّة	٤، ٧٧(مرّتين)، ٨٣.	٣
العنكبوت	مكيّة	٣٠، ٣٩.	٢
الروم	مكيّة	٤١.	١
ص	مكيّة	٢٨.	١

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: ٥١٨- ٥١٩ ، وينظر: دلالات مصطلح "الفساد" ومشتقاته في اللغة، واستعمالاتها في القرآن الكريم: ٢٣٦.

غافر	مكيّة	٢٦.	١
محمد	مدنيّة	٢٢.	١
الفجر	مكيّة	١٢.	١
المجموع		**٥٠**	**٤٧**

وجديرٌ بالذِّكرِ أنّ حديثَ القرآنِ عن الفسادِ والمفسدين وردَ في الآياتِ والسّورِ المكيّةِ ضِعْفَ ما وردَ في الآياتِ والسّورِ المدنيّةِ؛ ولعلَّ السبب في ذلكَ يرجعُ إلى طبيعةِ المجتمعِ المكّي الذي اصطبغَ بصبغةِ الجاهليّة وعاداتها وتعاليمها، وتَزَعُّمِ أهلِ الفسادِ في هذا المجتمع، فجاءت هذه الآيات لتعالجَ هذه الصّفات والأفعال والعادات الفاسدة في المجتمع المكّي، وتقتلعَها من جذورها التي ترسّخت في ذلك المجتمع، أمّا في المدينة المنوّرة فقد انتشرت روحُ الإسلامِ وتعاليمُه، وكانت قيادة الأمّة الإسلاميّة متمثّلةً بشخص النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) فتضاءلت بذلك ظواهر الفساد وألوانه، وما جاء من الآيات المدنيّة إنّما هي لكشف المنافقين الذين تقمّصوا لباس الإصلاح ووقفوا بجنبِ المؤمنين[١].

ووردت ألفاظُ الفسادِ بصيغٍ عديدةٍ كما في الجدولِ السّابقِ، في حينِ لَم تَرِد صيغة (فَسَدَ) واشتقاقاتها بصيغةِ الأمرِ ولا المدحِ ولا المبالغةِ؛ لأنَّ القرآنَ إنّما جاءَ ليَشنّ حرباً على ظاهرةِ الفسادِ لا لِيأمُرَ به أو يَمدَحه[٢].

كما ويمكن ملاحظة ورود لفظ الفساد مُقترناً بالأرض مرّات عديدة، (يُفسدونَ في الأرض، الفسادَ في الأرض، لا تفسدوا في الأرض) فقد تكون هذه إشارة إلى دونيّة الفساد وخِسّته مما يجعله ملاصقاً للأرض، أو لكون الأرض من أهمّ معالم الحياة، فهي المسرح الذي على ظهرِه تجري وتُسجّل الأحداث، وفيها تُطبّقُ أعمالَ العبادِ الخيّرة والشّرّيرة، أو قد تكون إشارة إلى سعة الفساد وعموميّته مما يجعله ظاهرة عامّة غير مختصّة بفردٍ أو جماعةٍ معيّنةٍ[٣].

---

(١) ينظر: الفساد وأسبابه دراسة قرآنية موضوعية (بحث منشور): د. عبد السلام حمدان اللوح، أ. ضيائي نعمان السوسي، مجلّة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، م١٥، ع٢، ٢٠٠٧م: ١٧٣. ١٧٤، وينظر: آيات الفساد والإصلاح في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة ماجستير): جميل عبد سلمان، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م:٣.

(٢) ينظر: الفساد وأسبابه دراسة قرآنية موضوعية: ١٨١.

(٣) ينظر: دلالات مصطلح "الفساد" ومشتقاته في اللغة، واستعمالاتها في القرآن الكريم: ٢٣٨. ٢٣٩.

٢ـ الآيات التي تضمّنت مفهوم الفساد والإفساد بصورة غير مباشرة، فقد ورد في هذه الآيات ما يدلّ على الفساد كـ(القتل، الكُفر، السّرقة، السِّحر، عمل الفاحشة، تحريف الكتاب) وما إلى ذلك من الآيات التي تحدثت عن ألوان الفساد ومظاهره، وهي كثيرة في القرآن الكريم ومن الصّعب حصرها، ومن هذه الآيات المباركات قوله تعالى: ﴿فَوَيل لِّلَّذِينَ يَكتُبُونَ ٱلكِتَٰبَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِن عِندِ ٱللَّهِ لِيَشتَرُواْ بِهِۦ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيل لَّهُم مِّمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم وَوَيل لَّهُم مِّمَّا يَكسِبُونَ﴾[1]، إشارة لفساد العلماء الذين يحرّفون آيات الله تعالى وأحكامه؛ لأجل منافع ومصالح شخصيّة ضيّقة. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، فهذه الآيات قد اشتملت وأشارت إلى مفاسد عِدّة، منها الكُفر بالله عزّ وجلّ، وقتل الأنبياء بغير حق، وعبادة العجل والشّرك بالله، وعصيان أوامر الله تعالى، وأوامر القيادة الرّبانيّة المتمثّلة بشخص النّبي (عليه السلام)، وغيرها من الآيات التي ستُعرضُ في فصول الدّراسة إن شاء الله.

ثالثاً: صور الفساد والإفساد في القرآن الكريم:

جَاءَ إطلاقُ لفظِ الفسادِ في النّصِ القرآني المُبارك على وجوهٍ عِدّة، ويُمكنُ إجمالُ هذهِ الوجوهُ في الآتي:

١ـ الفساد العَقَدِي: إنّ الاعتقادَ أحدُ أهمّ أركانِ الدّينِ الإسلاميّ، كونه يمثّلُ أولَ درجةٍ في سُلَّمِ إيمانِ الإنسانِ، وهو الأساسُ الذي يَبني عليهِ الإنسانُ شخصيّتَه الإيمانيّة، ومن دونهِ تتحوّل الأعمالُ والسّلوكيّاتُ والعِباداتُ التي يُمارسُها مُجرّد حركاتٍ، والفسادُ العقدي هو أساسُ كلِّ فسادٍ، فسعيُ كلّ إنسانٍ إنّما هو تبعٌ لمعتقدِه، فإذا كانت معتقداتُه فاسدة فسدَ سَعيُه، والعكسُ صحيحٌ، والقرآنُ الكريمُ يُحدّثنا عن أهميّتِه، فَيَصِفُ الأعمالَ التي لم تأتِ نتيجةَ الإيمانِ ويُشبّهها بالرّمادِ

---

(1) سورة البقرة: ٧٩.

(2) سورة البقرة: ٩١ـ ٩٣.

الذي تذروهُ الرّياحُ، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم أَعمَٰلُهُم كَرَمَادٍ ٱشتَدَّت بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَومٍ عَاصِف لَّا يَقدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيء ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلبَعِيدُ﴾[1]، ومرّة أخرى يشبّههُ بالسّرابِ الذي يُعوّلُ عليهِ الظمأنُ والذي يخذلُه في نهايةِ المطافِ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعمَٰلُهُم كَسَرَابِ بِقِيعَة يَحسَبُهُ ٱلظَّمـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَم يَجِدهُ شَيـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلحِسَابِ﴾[2].

ويُمكن تعريفُ الفسادِ العَقديّ بأنّه: ((ما كان من الأعمال مُفسداً لمعتقد العبد، سواءٌ سلبه الإيمان بالكلّية، أو كان له أثر في كمال الإيمان الواجب))[3]، فهو ما من شأنه إفساد معتقدات الإنسان، وبالتالي يؤدّي هذا الفساد إلى التأثير على إيمان الإنسان بالله عزّ وجلّ وصفاته وأسمائه وكُتبه ورُسله.

ومن مظاهر هذا الفساد فساد الاعتقاد بذات الله تعالى، وصفاته، وأفعاله، وبخلاف ما جاء وصرّح به القرآن الكريم، وهَدي النبيّ وآلهِ (عليه وعليهم أفضل الصّلاة والسّلام)، فقد أورد لنا القرآن الكريم حديثاً مفصّلاً من خلال سياقات النّص القرآني عن هذا اللون من الفساد، فيحدّثنا تارة عن فساد الكافرين الذين ادعوا الرّبوبيّة من دون الله تعالى، مثل الطّاغية فرعون الذي قال فيه الله سبحانه وتعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلأَعلَىٰ﴾[4]، وقد وصفه الله تعالى بالمُفسِد في قوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّ فِرعَونَ عَلَا فِي ٱلأَرضِ وَجَعَلَ أَهلَهَا شِيَعا يَستَضعِفُ طَآئِفَة مِّنهُم يُذَبِّحُ أَبنَآءَهُم وَيَستَحيِۦ نِسَآءَهُم إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلمُفسِدِينَ﴾[5]، أو النّمرود الذي ادّعى الإماتةَ والإحياء وهي من مختصّات الله تعالى، فقصّ القرآن الكريم علينا المناظرةَ التي جرت بينَ نبي الله إبراهيم (عليه السّلام) وبين النمرود: ﴿أَلَم تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَن ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلمُلكَ إِذ قَالَ إِبرَٰهِـۧمُ

---

(1) سورة إبراهيم: ١٨.

(2) سورة النور: ٣٩.

(3) منهج القرآن الكريم في دفع الفساد دراسة موضوعية (رسالة ماجستير): يوسف بن عبد العزيز بن سليمان العقيلي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية أصول الدين، ١٤٢٩ـ ١٤٣٠هـ: ٣٧.

(4) سورة النازعات: ٢٣ـ ٢٤.

(5) سورة القصص: ٤.

رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحيۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحيۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَٰهِمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأتِي بِٱلشَّمسِ مِنَ ٱلمَشرِقِ فَأتِ بِهَا مِنَ ٱلمَغرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهدِي ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وتارة أخرى يتحدّثُ عن فسادِ عقائدِ اليهود الذينَ نسبوا العجزَ والضَّعفَ والبخل للهِ تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱليَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغلُولَةٌ غُلَّت أَيدِيهِم وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَل يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرا مِّنهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَّبِّكَ طُغيَٰنا وَكُفرا وَأَلقَينَا بَينَهُمُ ٱلعَدَٰوَةَ وَٱلبَغضَآءَ إِلَىٰ يَومِ ٱلقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوقَدُواْ نَارا لِّلحَربِ أَطفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسعَونَ فِي ٱلأَرضِ فَسَادا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلمُفسِدِينَ﴾[2]، ونسبوا له الولد[3]، في موضع آخر، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱليَهُودُ عُزَيرٌ ٱبنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلمَسِيحُ ٱبنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَولُهُم بِأَفوَٰهِهِم يُضَٰهِـُٔونَ قَولَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤفَكُونَ﴾ [4]، تعالى عن ذلك عُلوّاً كبيراً.

٢ـ الفساد الاجتماعي: تعرّضت طائفة من الآيات المباركات لتسليط الضوء على المفاسد التي تحلّ بالمجتمعات البشرية، وتحوّل مسارها الذي رسمه الله سبحانه وتعالى إلى مسارات أخرى منحرفة، والسّعي لنشر المُنكرات والموبقات وكلّ ما نهى عنه الشّارع المُقدّس، والدّعوة إليها، ونشر الفاحشة في المجتمعات، وتحبيبها لهم، وغير ذلك من الأمور.

ويتفرّع من هذا القِسم من الفساد فروع وشُعب، أبرزها ما يأتي:

أ. الفساد الأخلاقي: ويتمثّل هذا اللون من ألوان الفساد في فساد أخلاق وسلوكيّات وأفعال الإنسان وانحرافها عن الفِطرة التي فطره الله عليها، وعن تعاليم الدّين الإسلامي الحنيف، ومن مظاهر هذا الفساد ظاهرة الشّذوذ الجنسي التي تفشّت في قوم لوط، الذين انحرفوا عن أحكام الدِّين وما شرّعه الله للإنسان وما فيه مصلحته، قال تعالى: ﴿إِنَّكُم لَتَأتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَل أَنتُم قَوم مُّسرِفُونَ﴾[5]، وقال عزّ من قائل: ﴿وَلُوطًا إِذ قَالَ لِقَومِهِۦٓ إِنَّكُم لَتَأتُونَ ٱلفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِن

---

(1) سورة البقرة: ٢٥٨.

(2) سورة المائدة: ٦٤.

(3) ينظر: المفسدون في الأرض اليهود: ربيع عبد الرؤوف الزواوي، (د ط)، دار الإيمان للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢م: ١٨.

(4) سورة التوبة: ٣٠.

(5) سورة الأعراف: ٨٠.

أَحَد مِّنَ ٱلعَٰلَمِينَ ۝ أَئِنَّكُم لَتَأتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱنصُرنِي عَلَى ٱلقَومِ ٱلمُفسِدِينَ﴾[1]، فالشريعة الإسلامية قد نظمت العلاقات الجنسية وقصرتها على الزواج وجعلت غير ذلك تعدّياً على حرمة الدّين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[2]، والقرآن الكريم يذكر لنا دعوات قوم لوط التي تُعدُّ صورة من صور الإفساد في الأرض، فهذا العمل الشائن الذي بدوره يؤدي إلى الأمراض المختلفة إضافة إلى تهديد النسل، واستمرار الوجود البشري، وهذا الموضوع يطرح في حضارة اليوم تحت عنوان (المشكلة الجنسيّة) التي أصبحت معلماً بارزاً وسيئاً وخطيراً لاسيّما في الحضارة الغربية والتي تسعى إلى حكم العالم اليوم، والجنسيّة المثليّة التي يريد الغرب أن يصوّرها كظاهرة إنسانية مقبولة، وهذه الحالة يعتبرها القرآن الكريم من صور ونماذج الفساد والإفساد في الأرض، ونتيجة لهذه الظاهرة المقززة انتشرت الأمراض وعمَّ الخراب في الأرض فانتشر طاعون العصر (مرض الآيدز)، وهذه الظاهرة تُلقي بظلالها السّيئة على العالم، وهي نموذج جلي لانهيار المجتمع وفساده وتفككه[3]، فقد عَدَلوا عن السّنن التي سنّها الله سبحانه وتعالى للبشر، ومن هذه السُّنن سُنَّة الزواج التي سنّها الله تعالى لهم إلّا أنّهم عطّلوا هذه السُّنة وأطاعوا شهواتهم ورغباتهم الجنسيّة الشّاذة، وقد وصفهم نبيّهم (عليه السّلام) بالمفسدين؛ فقد شرّع الله لهم الزواج من النّساء لكنّهم بدّلوا هذه السُّنّة وعطّلوها، وقد حوت الآية المباركة فسادات أخلاقيّة أخرى تمثّلت في (قطع السّبيل)، و(إتيان المنكر).

ب . الفساد السّياسي: وهو المتمثّل في فساد شريحة من يتحكّم بالمجتمع وهم المُلوك والحُكّام والولاة، قال تعالى يحكي لنا قصّة الملكة بلقيس وما حدث بينها وبين نبي الله سليمان (عليه السّلام): ﴿قَالَت إِنَّ ٱلمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَريَةً أَفسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفعَلُونَ﴾[4]، ففساد هذه الطبقة يتجسّد في قلب الهرم الاجتماعي وذلك بإذلال أهل الحق الذين أعزّهم الله، وقال

---

(1) سورة العنكبوت: ٢٨ـ ٣٠.

(2) سورة المؤمنون: ٥ـ ٧.

(3) ينظر: في رحاب القرآن (نظرية العلاقة الزوجية في القرآن الكريم): محمد مهدي الآصفي، ط٤، المشرق للثقافة والنشر، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م:١٣ ، وينظر: مفهوم الفساد في القرآن الكريم (بحث منشور): د. محمد عباس نعمان الجبوري، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، العدد:٧، آيار ٢٠١٢م: ٣٨. ٣٩.

(4) سورة النمل: ٣٤.

تعالى أيضاً: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[1]، فالمقصود بالتولّى في الآية المباركة: تَمَلُّك الولاية والسُّلطان[2]، أي: إذا تولّى وصار والياً فعل ما يفعله الولاة الفاسدون من قتل وإهلاك[3]، والحال أنّ المطلوب من هذه الطبقة هو العكس تماماً، وهو إصلاح المجتمع من جميع النّواحي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُم فِي ٱلأَرضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلمَعرُوفِ وَنَهَواْ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلأُمُورِ﴾[4]، فإصلاحُ البلادِ والعبادِ من وظيفة الحُكّام وليسَ العكسُ.

ج . الفساد الجنائي: يتمثّل هذا الفساد في أنواع الجنايات التي يرتكبها الإنسان، ، مثل قتل النّفس المحترمة والسّرقة والاعتداء على الآخرين، حيث يمثل القتل أحد أكبر الجرائم والمفاسد الاجتماعيّة التي عُدّت من كبائر الذّنوب، وقد توعّد الله القاتل بنار جهنم والخلود فيها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقتُل مُؤمِنا مُّتَعَمِّدا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيماً﴾[5]، وقد قرنت الآية المباركة القتل بالفساد في قوله تعالى: ﴿مِن أَجلِ ذَٰلِكَ كَتَبنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفسَا بِغَيرِ نَفسٍ أَو فَسَاد فِي ٱلأَرضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعا وَمَن أَحيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعا وَلَقَد جَآءَتهُم رُسُلُنَا بِٱلبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرا مِّنهُم بَعدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلأَرضِ لَمُسرِفُونَ﴾ [6]، حتّى أنّ الذي يقتل نفساً واحدةً كأنّما قتل كلّ النّاس، فأيّ جريمةٍ وفسادٍ أَكبرُ مِن هذا!

---

(1) سورة البقرة: ٢٠٤ـ ٢٠٦.

(2) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م: ٢/٩٧.

وينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن علي الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، (د ط): ١/٣٧٠.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠هـ:٥/٣٤٤.

(4) سورة الحج: ٤١.

(5) سورة النساء: ٩٣.

(6) سورة المائدة: ٣٢.

٣ـ الفساد الاقتصادي: يُعرَّف الفسادُ الاقتصادي على أنَّه: ((سوء استخدام الوظيفة أو المنصب عموماً لتحقيق منفعة خاصة))[١]، والملاحظ على التعريف أنَّه يَحصر الفساد الاقتصادي في استغلال الوظيفة في الأنظمة الإداريّة لمصلحة شخصيّة، بينما نجد أن المفهوم القرآني للفساد الاقتصادي أعمّ وأشمل من المصطلح الوضعي، فهو يشمل كل مخالفة لأحكام الله المتعلّقة بالجانب المالي، وكلّ المخالفات والانحرافات في المعاملات الماليّة والاقتصاديّة بشكل المخالفة لأحكام الله تعالى، ومبادئ الشريعة الإسلامية السّمحاء، وأيّ كسب للمال من خلال طريق غير شرعي، أو أيّ إنفاق للمال في غير منفعة[٢].

وللفساد الاقتصادي في النّص القرآني مظاهر عديدة، منها:

أـ السّرقة: السّرقة من المفاسد الكبيرة في المجتمع؛ لأنّ فيها مصادرة لجهود الآخرين تتمثل في سرقة الأموال التي جَهِدوا وشَقُوا من أجلِ جمعها، وقد وضع الله عزّ وجلّ عقوبةَ قطعِ يدِ السّارقِ للحدِّ من هذه الجريمة وعدم تفشّيها في المجتمع الإسلاميّ، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقطَعُوٓاْ أَيدِيَهُمَا جَزَآءَ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم﴾[٣]، وقد صرَّحَ إخوة نبي الله يوسف (عليه السلام) بنزاهتهم وعدم فسادهم وذلك من خلال نفي تهمة السّرقة عنهم، قال الله تعالى عن لسانهم: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَد عَلِمتُم مَّا جِئنَا لِنُفسِدَ فِي ٱلأَرضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾[٤]، فقد اقترن لفظ السّرقة بلفظ الفساد.

ب ـ الرِّبا: يُعتبر الرّبا من المفاسد التي يتمخّض عنها تكوّن الطبقات الاقتصادية في المجتمع، فتكون بذلك طبقة المُرابين من أغنياء ومترفي المجتمع، والذين يأخذون الرّبا من أضعف طبقات المجتمع ماديّا؛ لذلك ورد النّهي الإلهي عن هذه المفسدة الاقتصاديّة في مواضع عدّة في القرآن الكريم، مبيّنا بذلك أضراره وآثاره الاجتماعيّة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا

---

(١) الفساد الاقتصادي أنواعه. أسبابه. آثاره وعلاجه (بحث منشور): د. عبد الله بن حاسن الجابري، المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي/ جامعة أم القرى: ٨.

(٢) ينظر: صور الفساد الاقتصادي في القصص القرآني(بحث منشور): حمزة عبد الله سعادة شواهنة، مجلة قبس للبحوث والدراسات الشرعية، العدد٥، ٢٠٢٠م: ٥.

(٣) سورة المائدة: ٣٨.

(٤) سورة يوسف: ٧٣.

يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيطَٰنُ مِنَ ٱلمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلبَيعُ مِثلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلبَيعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوعِظَة مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَن عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصحَٰبُ ٱلنَّارِ هُم فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (١)، والله عزّ وجل لا يُبارك في أموال المُرابي، قال تعالى: ﴿يَمحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُربِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾(٢).

ج ـ أكل أموال اليتامى: المالُ عَصَب الحياة، ومن أهمّ القوى الاقتصاديّة التي بها قوام الحياة، فالمالُ سلاحٌ لا ينبغي أنْ يُساء استعماله، وقد عُني الدِّين الإسلامي بتنظيم علاقات البشر الماليّة. واليتامى من شرائح وطبقات المجتمع الضّعيفة، والتّعدي على أموالهم ظلماً وعدواناً يعتبر من المفاسد التي تنشأ عنها المشاكل الاجتماعيّة، وقد ورد النهي عنه في آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وءَاتُواْ ٱليَتَٰمَىٰٓ أَموَٰلَهُم وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأكُلُوٓاْ أَموَٰلَهُم إِلَىٰٓ أَموَٰلِكُم إِنَّهُۥ كَانَ حُوبا كَبِيراً﴾(٣)، وقال عزّ من قائل: ﴿وَٱبتَلُواْ ٱليَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِن ءَانَستُم مِّنهُم رُشدا فَٱدفَعُوٓاْ إِلَيهِم أَموَٰلَهُم وَلَا تَأكُلُوهَآ إِسرَافا وَبِدَارًا أَن يَكبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّا فَليَستَعفِف وَمَن كَانَ فَقِيرا فَليَأكُل بِٱلمَعرُوفِ فَإِذَا دَفَعتُم إِلَيهِم أَموَٰلَهُم فَأَشهِدُواْ عَلَيهِم وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبا﴾ (٤)، وفي آية مباركة يبين أثر هذه الأموال الباطلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأكُلُونَ أَموَٰلَ ٱليَتَٰمَىٰ ظُلمًا إِنَّمَا يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَارا وَسَيَصلَونَ سَعِيرا﴾(٥)، وقد أوصى الله باليتامى حُسناً، والعمل على إصلاح أمورهم، ونهى عن أذيتهم، واعتبر من يؤذيهم مُفسداً، قال تعالى: ﴿فِي ٱلدُّنيَا وَٱلأٓخِرَةِ وَيَسـَٔلُونَكَ عَنِ ٱليَتَٰمَىٰ قُل إِصلَاح لَّهُم خَير وَإِن تُخَالِطُوهُم فَإِخوَٰنُكُم وَٱللَّهُ يَعلَمُ ٱلمُفسِدَ مِنَ ٱلمُصلِحِ وَلَو شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعنَتَكُم إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾(٦).

٤ـ الإفساد البيئي: تعني البيئة في التّصوّر الإسلامي: جملة الأمور التي تحيط بالإنسان، بدءاً من الأرض التي تُقلُّه، وصعوداً إلى السماء التي تُظلّه، وما بينهما من العوامل والمؤثرات

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٣) سورة النساء: ٢.

(٤) سورة النساء: ٦.

(٥) سورة النساء: ١٠.

(٦) سورة البقرة: ٢٢٠.

المختلفة[1]، وقد نهى الخالق سبحانه وتعالى عن الإفساد في البيئة كما نهى عن سائر الفساد والإفساد، إذ البيئة قد خُلقت صالحةً للعيش، وقد أبدعها الرّب الحكيم بإتقانٍ ونظامٍ دقيقين جداً، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَٰهُ بِقَدَر﴾[2]، وبيّن أنّ ما يعتري البيئة من مشاكل واختلالات كَشُحِّ المياه، والاحتباس الحراري الذي يعانيه العالم اليوم، واتساع ثقب الأوزون، إنّما هي من نِتاج أعمالِ البشر الفاسدة، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلفَسَادُ فِي ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ بِمَا كَسَبَت أَيدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾[3]، سواء ما كان منها على سطح الأرض أو ما كان تحت المياه. وهي نتيجة طبيعيّة لأعمال البشر الفاسدة؛ لعلّهم يرجعون ويتوبون إلى الله من تلك الأعمال.

إنّ الآيات التي تضمّنت مفهوم الفساد والإفساد في القرآن الكريم شكّلَت ميداناً رحباً فيه من الأسرار والقصديّة في المعنى، وقد جاءت بأساليبَ متعددةٍ وبأحوالٍ ومقاماتٍ كثيرةٍ، فكان على الباحث وهو يحاول دراستها دراسة بلاغيّة أن يستفيد من معطياتها لتنظيم دراسته؛ فلذلك تنوّعت فصول رسالته وفق تلك المعطيات وستكون فصولَ الرّسالة ميداناً لظهور الدرس البلاغي فيها.

---

(1) ينظر: الفساد والأمن البيئي من منظور إسلامي (بحث منشور): سامي عطا عبد الرحمن، مجلة المحور(د م)، (د ع): ٧٣.

(2) سورة القمر: ٤٩.

(3) سورة الروم: ٤١.

الفصل الأول

الأساليبُ التّعبيريّة للفَسادِ والإفسادِ في القرآنِ الكريمِ

- ❖المبحث الأول: أسلوب الإيحاءِ باللفظ
- ❖المبحث الثاني: الأســلوب الكنائـــي
- ❖المبحث الثالث: أسلوب التراكيب السياقية

توطئة:

إنّ أسلوبَ القرآنِ الكريمِ طرازٌ خاصٌّ ورفيعٌ من النّظمِ البديعِ، إذ لم يكن للعربِ عهدٌ به، فكان على غيرِ مثالٍ يُحتذى، وبلغَ الذّروةَ القصوى من البلاغةِ والفصاحةِ، ذروة لم يصل إليها ولم يبلغها أيّ كتابٍ على مدى الأزمان والعصور.

وبوصفهِ نصّاً دينيّاً تتعدد أساليبه تبعاً للرسالة التي يروم المُرسلُ إيصالها إلى المُتلقّي (المُرسَل إليه)، تتعدد أساليب النّص القرآني المبارك في عرض الحقائق التي يحويها هذا الكتاب المبارك؛ ولعلّ ذلك راجع إلى مراعاة التّفاوت الحاصل في الأفهام المختلفة لبني البشر، وتباين ثقافاتهم، واختلاف بيئآتهم وعصورهم، وعاداتهم وتقاليدهم، ومحاولة استيعاب كل هذه المستويات من الأفهام والثقافات والتّأثير فيها، فكان من المناسب أن يخاطب الباري ـ عزّ وجلّ ـ كل صنف بما يلائمه ويفهمه من الأساليب، وحسب اقتضاء المَقام[1]، ولكي يكون هذا الكتاب صالحاً لكلّ زمانٍ ومكانٍ، كتاب موجّه للإنسان الذي يمثّل في جوهره صلاح وفساد العَالَم، كتاب للإنسان من أجل الحياة.

من هنا تلوّنت وتعددت أساليب الذكر الحكيم في طرق أدائه للمعاني. وفي هذا الفصل سنحاول رصد هذه الأساليب القرآنية المختلفة والمتعددة في بيان المفاسد، وتعرية الفاسدين وفضحهم، وبيان صفاتهم وأساليبهم، ومن هذه الأساليب: الأسلوب الإيحائي باللفظ، والأسلوب الكنائي، وأسلوب التّراكيب السّياقية؛ بغية الوقوف على جوانب هذه الأساليب وخباياها، وبما يصبُّ في خدمة الدّراسة.

(1) ينظر: أسلوب الكناية في القرآن الكريم: بسام عبد العفو عبد الرزاق القواسمي (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ قسم الدراسات العليا ـ شعبة البلاغة، ١٤٠٤ـ ١٤٠٥هـ: ١.

المبحث الأول: أسـلوبُ الإيـحاءِ باللفظِ

قبلَ الشروع في بدء غمارِ هذا المبحثِ لا بُدَّ من التّعريف بالمصطلحاتِ التي ينبني منها العنوانُ، وقد تكوّنَ من مصطلحاتٍ ثلاثة، هي: الأسلوب، والإيحاء، واللفظ، وفيما يلي بيان كلّ منها:

أولاً: الأسلوب

الأسلوب في اللغة: هو السَّطرُ من النّخيلِ، وكلُّ طريقٍ ممتدٌ فهو أسلوبٌ، والأسلوبُ، الطّريقُ، والوجهُ، والمذهبُ، يُقالُ: أنتم في أسلوبِ سوءٍ، وجمعُه: أساليب، وهو الفن، يُقالُ: أخذ في أساليب من القول، أي أفانين منه[1].

وفي الاصطلاح: لقد تعرض لتعريف الأسلوب الكثير من البلاغيين والنّقاد، وممن عرّفه من المُحدثين أحمد الشايب، فقال فيه: ((هو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير))[2]، أو هو: ((البناء الفني للصياغة الأدبية، وطريقة الأديب في التعبير، والفنون التي يستعملها في متن النّص لعرض المحتوى))[3]، والتّعريفات أعلاه كلّها متقاربة، وقد اتّفقت جميعها على أنّ الأسلوب (طريقة) فقد وردت هذه اللفظة في كلِّ التّعريفات، فهو طريقة الكاتب في عرضه للأفكار والتّعبير عنها.

وعلى هذا **فالأسلوب القرآني** هو: ((طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه))[4]، ولا غرابةَ أنْ يكونَ للقرآن الكريم أسلوبٌ خاصّ به، فإنّ لكلِّ كلامٍ أسلوبه الخاص، وهذا الأسلوب قد يتغيّر ويتعدد بتعدد الأفكار والموضوعات التي يسعى النّص لطرحها ومعالجتها، وبتغيّر الأزمان والبيئات أيضاً.

---

(1) ينظر: لسان العرب، (سلب): ٣١٩/٦.

(2) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٠م: ٤٤.

(3) دراسات في النقد الأدبي: الدكتور رشيد العبيدي، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٦٩م: ١٣/٢.

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م: ٢٣٩/٢.

ثانياً: الإيحاء:

الإيحاء في اللغة: إنّ أصلَ مادةِ الإيحاءِ في اللغةِ من: (وَحْي)، بفتح الواو، وسكون الحاء، تدلُّ على الكلام الخفي، والإشارة السريعة، وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك بصورة غير مباشرة، والإيماء، والرمز، والكتابة[١]، ومن ثَمَّ قِيل للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وحي؛ باعتبار إسرارها إليهم من قبل ملك الوحي، واختصاصها بهم دون سائر الناس[٢].

يُقَال: وحيْتُ إِلَى فلَان أَحِي إِلَيْهِ وَحْياً وأَوْحَيْتُ إِلَيْهِ أُوحِي إيحاءً: إِذا أشرتَ إِلَيْهِ وأومأْتَ.. وأَوحَى اللَّهُ إلى الأرضَ بِأَن تَقِرّ قراراً فَلَا تميدُ بِأَهْلِهَا، أَي أَشَارَ إِلَيْهَا بذلك... وَوَحَى إِلَيْهِ بالْكَلَام يَحِي بِهِ وَحْياً، وأَوْحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ أَن يكلمهُ بِكَلَام يُخفِيه من غَيره. وقَوْله تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٣]، أي: أَشَارَ إِلَيْهِم[٤]، ووَحَى إليه وأَوْحَى: كلَّمه بِكَلَامٍ يُخفِيه مِنْ غَيْرِهِ. وأوحى الشَّخْصُ إلى الشَّخص برأي أو كلام: ألقاه إليه بصورة غير مباشرة، وأوحى إليه/ أوحى له: وحَى، أشار إليه إشارة سريعة[٥].

وفي الاصطلاح: ((إلقاء معنى من المعاني في النّفس بسرعة وخفاء))[٦]، أو هو: ((اسم يدلّ على ما يحدث في الذّهن من فكر أو تصوّر بتأثير عامل خارجي فلا إيحاء إذن إلاَّ إذا أثار شخص بكلامه أو فعله في ذهن شخص آخر فكرة تؤثر في نفسه وتبّدل مشاعره وسلوكه))[٧]، والمرادُ من العامل الخارجي هنا كلمة أو إشارة أو حركة.

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، مادة (وحى): ٨٥٨.

(٢) ينظر: تاريخ القرآن: الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م:٢٤.

(٣) سورة مريم: ١١.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت، ط١، ١٩٨٧م: ٥٧٦/١.

وينظر: تهذيب اللغة، مادة (وحى): ٢٩٦ وما بعدها.

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م: ٢٤١٥/٣.

(٦) معجم لغة الفقهاء: ٧٨.

(٧) المعجم الفلسفي: الدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة، بيروت، (د ط)، ١٩٨٢م: ١٨١/١.

ويتّضح مما سبق ارتباط المعاني اللغوية والاصطلاحيّة لجذر الإيحاء، فأصلُ الوحي في اللغة كلّها إعلام في خفاء، وإلقاء فكرٍ أو تصوّر مقصود من قبل المتكلّم في ذهن السامع أو القارئ، إذ لا إيحاءَ من دون إثارة فكرة ذهنيّة، تستهدف النّفس، والعقل، والشّعور.

ثالثاً: اللفظ

اللفظُ لغةً: ((اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدلّ على طرح الشيء))[١]، قال الخليل (ت ١٧٥هـ): ((اللفظ أن ترمي شيئاً كان في فيك))[٢]، وهو من لفَظتُ الشيءَ ألفِظُه لفْظًا[٣]، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في موضعٍ واحد[٤]، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٥]، واللفظ هنا لفظ الكلام.

وفي الاصطلاح هو: ((الصَوتٌ المُشْتَمِلٌ عَلى بَعْضِ الحُروفِ تَحْقيقاً أو تَقْدِيراً))[٦]، تحقيقاً كـ (عَلِمَ)، وتقديراً كالضَّمير المُسْتتِر في قولك: (اسْتَقِم)[٧]، فاللفظ إذن صوتٌ ينتجُ عن تركيبِ بعض الحروف التي تخرجُ من اللسان، وله معنى أساسي أو مركزيّ، ومعنى آخر هامشي أو تضمّنيّ (إيحائيّ) وهو المعنى الذي يملكه اللفظ بجانب ما يشير إليه معناه التصوّري الخالص، وهذا اللفظ زائد عن المعنى الأساسي، ولا يكتسب صفة الثبوت والشمول، و إنّما يتغير حسب أنواع الثقافات و الأزمنة والخبرات[٨]، وبواسطة هذه الألفاظ يعبّر الإنسان عمّا يختلج في نفسه وذهنه من أفكار[٩]، والألفاظُ هيَ (أداة الدلالة) كما يعبّر عنها بعض الباحثين[١٠]، فعن طريق الألفاظ يُنتجُ المعنى، والعلاقة بين اللفظ والمعنى كالروح والجسد، فـ((المعاني

---

(١) مقاييس اللغة، (لفظ): ٥/ ٢٥٩.
(٢) العين، مادة (لفظ): ٩٣/٤.
(٣) ينظر: مجمع البحرين: ١٦٣٨/٣
(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٦٥٠.
(٥) سورة ق: ١٨.
(٦) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: محمد بن عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت):١١/١.
(٧) ينظر: معجم قواعد العربية في النحو والتصريف: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م : ٣٨٧.
(٨) ينظر: علم الدلالة: الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٥م: ٣٧.
وينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، (د ط)، ٢٠٠١م : ٦٤.
(٩) ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت ٦٥١هـ)، تحقيق: الدكتورة خديجة الحديثي، والدكتور أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م : ٨٠.
(١٠) ينظر: دلالة الألفاظ: الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٤م: ٣٨.

هي الأرواح، والألفاظ كالأجساد لها، وذلك أنَّ كلّ لفظة لا معنى لها فهي بمنزلة جسدٍ لا روح فيه، وكلّ معنى في فكر النّفس لا لفظَ له فهو بمنزلة روحٍ لا جسدَ له))[١].

وتُشكّلُ بنية الاتّساع ملمحاً أسلوبّياً، إذ تُعدُّ وسيلة من وسائل الكشف عن طبيعة تشكيل المفردات، والبعد الدلالي لها، فهي تقنيّة أسلوبيّة تعمل على إثارة المتلقّي من خلال تضييق العبارة، وتوسيع الدلالة[٢]، وهذه البلاغة بعينها، فقديماً قِيلَ أن البلاغة هي ((إجاعة اللفظ وإشباع المعنى))[٣]، وظاهرة الاتساع هذه من خصائص اللغة العربية، إذ يُلاحظ أنّ اللفظ الواحد يتّسع في التعبير عن المراد إلى معانٍ عدّة، ((فهو يمنح النّص معنى جديداً غير المعنى المعجمي الذي تحمله الألفاظ، فالاتساع الدلالي ينقلنا إلى المعنى الثاني للألفاظ والذي يفهم من خلاله ما وراء المعنى الأصلي للألفاظ))[٤]، محملاً هذه الألفاظ معانٍ ذات بُعدٍ دلالي لما تتمتع به من شفافيّة، وقدرة عالية على الإيحاء والإشارة.

فلقد انفرد النص القرآني بميزة أساسيّة في التّأثير، وهي أنّ تأثيره ليس قائماً على اختيار الكلمات والمفردات المجرّدة وحدها فقط، لكنّه قائم على الإيحاءات والتّلميحات أيضاً، وهذه السِّمة قد أعطت لأسلوب القرآن الكريم جماله وقوة تأثيره؛ لِما نَتج عنها من معانٍ إضافيّةٍ، الأمر الذي قضى بخلودها وصلاحيّتها في كلّ الأزمان، ووسّع مساحة التّفكير والتأمل في فضاءات الكلمة المتعددة المعاني. واحتواء اللفظ القرآني الواحد معانٍ عديدة هي خاصيّة تفرّد بها النّص القرآني ((فمعانيه مصوغة بحيث يصلح أنْ يُخاطب بها النّاس كلّهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم، ومع تطوّر علومهم واكتشافاتهم))[٥]، فالكلمة فيه تنصرف إلى وجوه عديدة حتّى قد تصل إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر[٦].

---

(١) رسائل إخوان الصفاء وخلّان الوفاء: إخوان الصفا، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، (د ط)، ١٤٠٥هـ: ٤٠٠/١.

(٢) ينظر: الاتساع الدلالي في أدب الإمام الحسن (عليه السلام) "دراسة أسلوبية" (بحث منشور): مثنى عبد الرسول مغير الشكري، سرى حيدر عدنان وتوت، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانيّة، المجلد٢٦، العدد٦، ٢٠١٨م: ١٦٧.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م: ٢٤٢/١.

(٤) الاتساع الدلالي في أدب الإمام الحسن (عليه السلام): ١٦٧.

(٥) من روائع القرآن: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي للمعارف، دمشق، (د ط)، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م: ١٣٧.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (د ط)، (د ت): ١٠٢/١

وقد لفتت نظر العلماء القدامى هذه الظاهرة فذكروها في مصنفاتهم، فهذا أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) يقول في باب (اللفظ يردُ محتملاً لأمرينِ أحدهما أقوى من صاحبه أيجازان جميعاً فيه أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه؟): ((اعلم أنَّ المذهبَ في هذا ونحوهِ أنْ يعتقد الأقوى منهما مذهباً، ولا يمتنع مع ذلك أن يكون الآخر مراداً ومقبولًا))[١]، وفي خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) يُلمِّحُ لهذا المعنى في قوله: ((وإنّ القرآن ظاهرة أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تُكشف الظلمات إلّا به))[٢]، فالإمام (عليه السلام) يريد بعمق القرآن تلك المعاني التي لا تلوح في أفقه، بل لا بدّ من تدبّرها والوصول إليها، أي أنّ هذا القرآن له ظاهر وباطن، فالظاهر هو كلماته السّطحية الظاهرة لكلّ شخص، أمّا الباطن فهو ما توحيه ظاهر هذه الألفاظ من معانٍ عميقة باطنة.

وقد أورد الدكتور محمد عبد الله درّاز مثالاً لهذا الأسلوب القرآني، فاستشهد بقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]، ويُعلّق على هذا الجزء من الآية: انظر هل ترى كلاماً أبين من هذا في عقول الناس، ثم انظر كم في هذه الكلمة من مرونة. فإنك لو قلت: في معناها إنّه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه ولا سائل يسأله، أصبت، ولو قلت: يرزق بغير تقتير ولا محاسبة، أصبت، ولو قلت: إنّه يرزق من حيث لا ينتظر ولا يحتسب، أصبت، ولو قلت: إنّه يرزق بغير معاتبة ولا مناقشة له على عمله، أصبت، ولو قلت: إنّه يرزقه رزقاً كثيراً لا يدخل تحت حصرٍ أو حسابٍ، أصبت[٤].

إنّ هذا الإجراء الأسلوبي الذي أحدثه النص القرآني يهدف إلى إيجاد ائتلاف بين معاني القرآن الكريم وبين قمّة الإنتاج المعرفي والعلمي والأدبي والمادي والثقافي الذي سيبدعه الإنسان في مراحل تطوره في دور الحضارة[٥].

---

(١) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (د ت): ٢/٤٩٠.
(٢) نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين: لجامعه الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى (٤٠٦هـ): تحقيق: الشيخ قيس بهجت العطار، العتبة العلوية المقدسة ـ قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط١، ١٤٣٧هـ: ١٠٤.
(٣) سورة البقرة: ٢١٢.
(٤) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: د. محمد عبد الله دراز، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م: ١٤٧.
(٥) ينظر: التوسع الدلالي وتعدد المعنى في ألفاظ القرآن وعلاقته بالإعجاز القرآني (بحث منشور): د. عمار قرفي، مجلة الإحياء، مجلد٢٠، العدد٢٥، جوان ٢٠٢٠: ١٠.

وأسلوب الإيحاء حاضرٌ في النّصوص القرآنية محلّ الدراسة، ومن هذه النّصوص قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[1]، السعي: المشي السريع والحثيث، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[2]، ومنه قيل: السعي بين الصفا والمروة، فجعل مستعاراً للتصرف، ولأجله قيل لجابي الصدقة ساعٍ[3]، وقيل: هو ((العمل، ويقال: فلان يسعى على أهله، يعني: يعمل فيما يعود عليهم نفعه))[4]، والحرث: النّساء، والنّسل: الأولاد، فهذا النّفاق يؤدّي إلى ((تفريق الكلمة ووقوع القتال، وفيه هلاك الخلق))[5]، وقيل أنّ النّسل هو الذّرية، والحرث هو الزّرع[6]، فمن خلال هذا البيان الموجز للفظة السّعي يُلاحظ وجود دلالة إيحائيّة قابعة في صلب هذه اللفظة، وهي المبالغة والإكثار في إفساد المجتمع، فيبين الله تعالى أنّ إحدى صفات المنافقين الإفساد في الأرض، وإهلاك كلّ ماتقعُ عليه أيديهُم من الحيوانات والنّباتات، وكلّ ما به قوام حياة الإنسان، بل وحتّى الإنسان نفسه، فكأنّ كلّ همّ هذا الشخص الذي تولّى زمام السُّلطة، وثُنِيَت له الوسادة، وملكَ رِقاب النّاس، استعمال هذه القوّة في إبادة الحياة، ((فهو لا يُحبُّ أحداً، ولا يحب أنْ يمتلكَ أحدٌ شيئاً، ولذلك فأمنيته الكامنة هي ألّا يعيشَ أحدٌ ولا يبقى شيءٌ سليماً))[7]، فكلّ هذه المعاني تركتها ظلال لفظة (سعى)، ولو جاء التّعبير: (وإذا تولّى أفسد في الأرض) لم يُؤدِّ المعنى السّابق، ومما يعزز هذا المعنى ورود لام التّعليل في (لِيُفسِدَ) فكأنَّ هدفه الأوّل والأخير من الولاية هو الإفساد لا غير، والسّياق الذي جاءت فيه اللفظة، فقوله تعالى:﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ يبرز هذه الدلالة التي أوحى بها النّص. فالله عزّ وجلّ يفضح هؤلاء ويكشف سرائرهم ونواياهم الفاسدة المخالفة لظاهرهم الصّالح، لأنّ هؤلاء لو كانوا صادقين ومُخلِصين في إيمانهم وإظهارهم المحبّة لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) لَمَا أفسدوا في الأرض وأشاعوا الظلم بين عباد الله.

---

(1) سورة البقرة: ٢٠٥.

(2) سورة يس: ٣٠.

(3) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م: ٤٢٨/١، وينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٨/٢.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م: ٤/ ٢٣٨.

(5) الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٦/٣.

(6) ينظر: البرهان في تفسير القرآن: ٤٤١/١.

(7) من هدى القرآن: آية الله السيد محمد تقي المدرسي، دار محبي الحسين، طهران، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م: ١/ ٣٦٣.

وفي أثناء حديث القرآن الكريم عن بني إسرائيل المفسدين، ورد معنى إيحائياً آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1]، وهذه الآية عددت جزءاً من مفاسد بني إسرائيل، ومنها الفساد العقدي المُتمثّل في الكُفر بآيات الله، ومنها الفساد الجنائي وهو قتل الأنبياء، والاعتداء على الآخرين، والفساد الإدراكي المتمثّل بعدم الفهم ودقّة الاختيار، فالمعنى الإيحائي الذي يمكن أن نستشفّه من هذا التّعبير القرآني إلى جانب المعنى الرئيس للآية المباركة، هو معنى العُنف والشّدة المُناسب للمَقام، فالتّعبير بالضّرب يوحي وكأنَّ الذِّلةَ والمَسكنةَ مطرقةٌ أو أداةٌ للضربِ يُضربُ بها هؤلاءِ اليهود ضرباً[2]، وسبب هذا العنف يبيّنه سياق الآية المباركة، فلأنهم كانوا يَكفرون بالله ويُكثرون من قتل النّبيين، وعصيانهم للقيادة الربّانيّة المتمثّلة بشخص النّبي عيسى (عليه السلام) استحقوا أن يُعنّفوا ويُقرّعوا بهذه الطريقة وبهذه الألفاظ، وهذا يوحي بأصالة الشّعور بالذّل القابع في أنفس اليهود، فهم وعلى الرّغم من امكانياتهم الضّخمة في ذُلّ أبدي، ولو جاء التّعبير بغير لفظ الضرب لما أدّى وما أفاد هذا المعنى، فطاقة اللفظ ـ هنا ـ قد اتّسعت لما هو أكثر من مجرد المعنى العُرفي الاجتماعي وذلك بتسخير هذا اللفظ لمعانٍ فنيّة أسلوبيّة جديدة.

ومن المفاسد التي اشتهر بها اليهود تكذيبهم لرسالاتِ الأنبياءِ وقتلِهم إيّاهم، حتى ورد في بعضِ الأخبارِ أنّهم قد قتلوا ثلاثةً وأربعينَ نبيّاً في ساعةٍ واحدةٍ[3]، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[4]، فهذا التّعبير بجانب معناه الأساسي يُفيد معانٍ إيحائيّةٍ أخرى، منها الإقرار بفسادهم الجنائي فهم يُقِرّون جِهاراً نَهاراً بأنّهُم هُم مَن قتلوا نبي الله، وهم ليسوا حديثي العهد

---

(1) سورة البقرة: ٦١.

(2) ينظر: جماليات المفردة القرآنية: الدكتور أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م: ١٠٥، وينظر: الإيحاء البياني في سورة البقرة (بحث منشور): م. م. لؤي سمير مهدي الخالدي، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية/ جامعة بابل، العدد: ٣٧، شباط ٢١٨م: ٦٥١.

(3) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٦/ ٢٨٦ ، وينظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م: ٢٧/٢.

(4) سورة النساء: ١٥٧.

بقتل الأنبياء، فقد تقدّم الحديث عن إكثارهم القتل في أنبياء الله، ومعنى آخر يُضاف إلى ذلك، وهو فسادهم العقدي المتمثّل بعدم إقرارهم بنبوة عيسى (عليه السلام)، وذلك بأن قالوا: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾، أمّا ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ فهو قول الله تعالى وليس من قولهم[1]، أمّا إذا كان من قولهم فيكون بذلك جرمهم أكبر وأعظم، حيث أنّهم قتلوا نبي الله عيسى (عليه السلام) مع سابق معرفتهم به، وعلمهم أنّه رسول من الله إليهم.

وفي قِصّة نبي الله نوحٍ (عليه السلام) معَ قومِه المُستكبرين المُعرضين عن الحق، يبيّن لنا الذِّكر الحكيم مدى تغطرس هؤلاءِ القوم واستهزائهم وتكبّرهم على الحق من جانب، ومعاناة النّبي (عليه السلام) وأذاه من تلقاءِ تلكَ المُعاملة من جانب آخر، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[2]، فالصّيغة المجازيّة بدت عند ذِكر الأصابع والمُراد الجزء منها، وقد أوحت الصّيغة المجازيّة واقعاً شعوريّاً باطنيّاً امتزج فيه الإمعان في الإعراض، فهم لشدّة عنادهم وتعنّتهم ومكابرتهم لو استطاعوا أنْ يُدخلوا أصابعهم كلّها في آذانهم وليس جزءاً منها لفعلوا؛ ليمنعوا بذلك وصول الدّعوة إليهم، فشكّل الأسلوب المجازي تجلّياً إيحائياً أكّد عدم جدوى الدعوى فيهم، وكَشَف عن قلقهم واضطرابهم، فكانت الصّور المجازيّة هنا بمثابةِ ((أوجه للدلالة على المعنى))[3]، فضلاً عن قرائن السِّياق التي ساعدت في تبلور تلك الدلالة و بيان مضمونها، إلى جنب وجود الأداة (كلّما) التي تفيد تكرار الفعل، فهذه الأداة تدلّ دلالة قاطعة على أنّ نبي الله نوح (عليه السلام) قد أكثرَ من دعوة قومه إلى الحق وتعمّقَ فيها فقد لبث فيهم عُمراً طويلاً لإنارة طريقهم الحالك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[4]، لكن ذلك الصّوت الهادر الدّاعي إلى الله كان يُجابه بالإعراض، والاستهزاء، والإصرار على الكفر. وقرينة أخرى ساعدت في إثبات المعنى الموحى به هي لفظة (جَعَلوا) فالجعل يُوحي بأنّ المجعول مُحاطٌ من كلّ الأطراف، ولو قال: أدخلوا بدل جعلوا، لاختلفت الدلالة؛ لأنَّ الإدخال يوحي بأنّ الإحاطة فقط مكان الإدخال وهذا لا يكشف عن اضطرابهم

---

(1) ينظر: الجملة العربية والمعنى: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م: ١٨٩ـ ١٩٠.

(2) سورة نوح: ٧.

(3) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: الدكتور جابر عصفور، دار الثقافة، القاهرة ـ مصر، ١٩٧٤م: ٣٨٢.

(4) سورة العنكبوت: ١٤.

وشدّة حرصهم على سدِّ آذانهم لعدم سماع صوت الحق، مثلما تكشفه وتوحيه لفظة (جعلوا)، وقد لعب المجاز دوراً محورياً في إيحاء هذا المعنى، وذلك بِعَدِّه من ((أهمِّ شعب الإيحاء لأنَّ المعنى لا يُقدَّم فيه مباشرةً بل من خلال وسائط وعلى المُتلقِّي أنْ يتجاوزَ المعنى الحرفي للفظ إلى ما يُوحي به ويُومئ إليه))[1]، وفي هذه الآية رسالة لكلّ المُصلِحين الرِساليين في الصّبر على إيذاء المُفسدين واستهزاءهم، وأداء رسالتهم التي يحملونها.

ومن المَفاسد الجنائيّة التي شهدتها البشريّة وتشهدها إزهاق الأنفس ـ قتل النّفس البشريّة ـ وأوّل حادثةِ قتلٍ حصلت على وجه هذه البسيطة هي حادثة قتل ابن آدم قابيل لأخيه هابيل، وقد أخبرنا الباري عزّ وجلّ عن ذلك بقوله عزّ من قائل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، وكان من نتيجة هذه الفعلة أنْ ندمَ قابيلُ عليها ندماً شديداً، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[3]، فقد رسمت الآية المباركة صورة مجازيّة في غاية اللطف، فقد نادى قابيل الويلة وهي مما لا يُنادى ولكنها جاءت في موضع التّعجّب[4]، فحملت هذه الصّورة المجازيّة في طيّاتها إيحاءً خفيّاً بتحسّر القاتل على فعلته المُشينة، حتّى أنّه بدا من فرط حُزنه ونَدمه وكأنّه يدعو ويلته أنْ تحضر إليه في ذلك الوقت لترى عجزه وتقصيره، أو لتُنجده مما هو فيه من التّحسِّر والألم اللذين تملّكاهُ وسلباهُ قدرة التّمكّن من أنْ يعِي العمل الصحيح، وقد تضافر السّياق العام مع نداء الويلة وإيحائه بالحسرة والحزن ليرسّخ ذلك الشّعور في نفس المُتلقّي ويبيّن النّدم الذي سيطر على القاتل نتيجةً لفعله[5]، كما قد أثار الاستفهام المجازي في قوله: (أعجزتُ) معانٍ إيحائيّةٍ تتمثّلُ في ضعف قابيل وندمه وخسارته وقصوره تجاه أخيه، وهذا ما يلقاه كلّ قاتلٍ من مصيرٍ، فليس له بعد إقدامه على القتل إلّا النّدامة والحسرة، فكيف بمن قتل أخاه الذي قاسمه لحظات الحياة!

---

(1) عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية: الدكتور مسعود بودوخة، عالم الكتب الحديث، إربد ـ الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م: ١٩٨.

(2) سورة المائدة: ٣٠.

(3) سورة المائدة: ٣١.

(4) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية: الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد، (د ط)، ١٩٨١م: ١٦١.

(5) ينظر: الدلالة الإيحائية في القصص القرآني (دراسة نقدية وبلاغيّة) (رسالة ماجستير): جنان تكليف علي النصراوي، جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات ـ قسم اللغة العربية، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م: ٤٢.

ومن الآيات التي ورد فيها لفظ الفساد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، فالملائكة قد علمت بفساد هذا الإنسان وسفكه للدماء، فقد قيل: إنّ الله عزّ وجلّ أعلمهم مُستقبل الإنسان، وقِيل: إنّ الملائكةَ فهموا ذلك من خلالِ عبارة (في الأرض) فهذا الإنسان سيُخلق من التُّراب، أمّا الرّاي الثالث فقد ذهب إلى أنّ هذا التنبؤ من الملائكة جاءَ نتيجة تجربة سابقة مع مخلوقات سبقت آدم، وهذه المخلوقات قد تنازعت وسفكت الدّماء، فخلّفت بذلك انطباعاً مريراً عن مخلوقات الأرض[2]، وهذه الآية تُبطّن في أعماقها دلالات إيحائيّة، ويُستوحى منها معانٍ تربويّة وأخلاقيّة مُخبّأةٍ في طيّاتِها، فالآية تُشير إلى مساحةِ الحِوار التي يَمنحها الله سبحانه وتعالى، وهو الجَبّار المُتكبِّر، ومنها هذه المساحة في حواره سبحانه مع الملائكة، فالله تعالى بدءاً أخبر الملائكة أنّه سيجعل خليفةً له في الأرض، مع قوّته وقدرته على أنْ يجعلَ كلّ شيء يمضي كما يُريد، وهو سبحانه غنيّ عن هذا الإخبار، فهو ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3]، ثّم ما تُوحي به الآية الشريفة من شِبه الاعتراض والإنكار من الملائكة على جعل الخليفة في الأرض، أي: ((فنحن على ما نظنّه ويظهر لنا من الأمر أولى بالخلافة في الأرض لأنّا نطيع وغيرنا يعصي))[4]، وذلك من خلال سؤالهم الاستنكاري ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فكأنّهم قد اعترضوا على الأمر الإلهي وتعجّبوا؛ لما علموه من فساد الإنسان، ثُمّ الرحمة والرأفة من الله تعالى الذي تقبّل هذا النّوع من الاعتراض، ولم يوبّخ أو يُقرّع ملائكته لقولهم هذا، بل جاء الرّد الإلهي ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ((فالله تعالى بذلك يُريد أن يعلّم الناس ـ فيما يعلمهم ـ أنْ يلجأوا إلى المحاورة قبل لجوئهم إلى القوّة، مهما ملكوا من وسائل القوة.. وكأنّه سبحانه يقول: هل تملكون من القوة أكبر مما أملك؟ ومع ذلك فإنّي أتخذ المحاورة والحجّة سبيلاً إلى تبيان الحق وإقراره))[5]، كما ويعلمنا آداب الحوار مع بعضنا بعضاً، وعدم التّهجّم واتّهام الآخرين.. وما إلى ذلك من آداب الحوار.

مما سبق نخلص إلى أنّ الكلمةَ القرآنيّةَ ذات طاقة دلاليّة غير محدودة ولا متناهية، تَهدفُ إلى بثِّ إشعاعاتٍ إيحائيّةٍ مُختزنَةٍ فيها ضمن تراكيبها التي تحتويها، فتوحي بذلك إلى سيلٍ من العطاء الفكري والوجداني، فعن طريقها يكتسب النّص تكثيفاً دلاليّاً، فيعرض من المعاني الجماليّة ما لا يَلوح في أفق المتلقّي، ويُشير من طرفٍ خفيّ إلى معانٍ مُضمرةٍ مَقصودةٍ، فترتفعُ بذلك عن المُستوى السّطحي المألوف.

---

(1) سورة البقرة: ٣٠

(2) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١/١١١.

(3) سورة يس: ٨٢.

(4) مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م: ١/٩٩.

(5) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم: دكتور عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٩٥م: ٦. ٧.

والإيحاء هو شعبة من شعب الوسائل التبليغيّة، بوصفه إدراكاً حاملاً للمعاني والدلالات، فقد تمظهر في مستويات تعبيريّة تدور في فلك الإفهام والتّفهّم الكاشف عن العناية الإلهيّة في مراعاة شؤون الخلق. وإنّ التدرّج الارتقائي في مستوى فهم النّص القرآني لا ينحصر في فترة زمنيّة معيّنة، فهو ذو صلاحيّة منفتحة على كلّ الحضارات والأزمنة.

المبحث الثاني: الأســـلوب الـكِنـائـــي

الأسلوب الكنائي هو أحد أساليب علم البيان، وطريقة من طرائق الدّلالة على المعاني، وله ما ليس لغيره من التّأثير في وجدان المُتلقّي.

والكِنايةُ فِي اللغةِ:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): ((الكِنُّ: كلُّ شيءٍ وقى شيئاً فهو كِنُّهُ وكِنانُه. وكننته أكُنُّه كَنًّا: جعلتهُ في كِن. والكِنانةُ كالجعبة غير أنّها صغيرة تتخذ للنَبل.. واكْتَنَّت المرأة: سَترت وجهها حياءً من النّاس.. والإكنانُ: ما أضمرتَ في ضميركَ))[١]، وجاء في مقاييس اللغة:((الكاف والنون والحرف المعتل يدلُّ على توريةٍ عن اسم بغيره. يقال: كنيت عن كذا، إذا تكلّمت بغيره مما يستدلُّ به عليه))[٢]، قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾[٣]، أي أخفيتم[٤]، وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[٥]، أي:((مستورٌ من الشَّمس وغيرها. والأكنّة: الأغطية))[٦]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾[٧]، و((اكتنّ واستكنّ: استتر، وأكننته في نفسي: أضمرته))[٨].

وقال الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ):((كنى به عن كذا يكنِي ويكنُو كِناية: تَكلَّمَ بما يستدلُّ به عليه، أو أن تتكلّم بشيءٍ وأنتَ تريدُ غيرَه، أو بلفظٍ يجاذبُه جانِبَا حقيقةٍ ومَجازٍ))[٩]، وتأتي الكناية بالمعنى مقابلةً للمصارحةِ تقابل المَلَكة والعدم[١٠]، ومن هذا الجذر اشتقت الكنية التي يُكنّى بها الرجل؛ كأنّها تورية وتغطية

---

(١) العين: مادة (كنن): ٥٣/٤.

(٢) مقاييس اللغة: مادة (كنو): ١٣٩/٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٤) ينظر: لسان العرب: مادة (كنن): ١٧٢

(٥) سورة الصافات: ٤٩.

(٦) لسان العرب: مادة (كنن): ١٧٢.

(٧) سورة الإسراء: ٤٦.

(٨) أساس البلاغة: مادة (كنن): ١٤٨/٢.

(٩) القاموس المحيط: مادة (كنى): ١٣٢٩.

(١٠) ينظر: طرائق البيان: الشيخ علي المحمدي، مطبعة السطور، بغداد، ٢٠١٢م: ٣٢.

عن اسمه الحقيقي[١]، وقد أجريَ هذا الاسم لهذا الفنّ من الكلام؛ لأنّه يستر المعنى المُراد، ويُظهِرُ غيره، ولأنّ المجاز مستورٌ بالحقيقة حتى يظهر بالقرينة[٢].

والظّاهر أنّ فعلها من ذوات الياء، كَنَى يَكنِي، مثل: هَدَى يَهدِي[٣]، وهي من باب: رَمَى يَرمِي[٤]، وقد روي أنّ فعلَهَا واويٌّ وأوردوا شاهداً لذلك وهو قول أبي زيادٍ:

وَإنّي لَأكنُو عَن قُذُورٍ بِغَيرِها وَأُعرِبُ أحياناً بِهَا وَأُصَرِّحُ[٥]

ومما سبق نلحظ أنّ المعاني والدلالات اللغوية المُتقدّمة كُلّها تشترك وتعطي دلالة الخفاء والسّتر الملحوظ من دَرجِ الكلامِ، ومن هنا يبرز وجه المُناسبة بين مدلولي الكناية اللغوي والاصطلاحي ـ كما سيأتي ـ في أنّ كُلٍّ منهما يستلزم السّتر والخفاء وعدم التصريح.

وفي اصطلاحِ البلاغيينَ:

لم تتفق كلمة البلاغيين على تعريفٍ واحدٍ للكناية، فعرّفُوها بتعريفاتٍ عديدةٍ، لكنّها مع هذا التّعدد والاختلاف تبقى متقاربة في الدّلالة على معناها، وقد ذهب أغلبُ مَن كتب في علم البلاغة من العلماء المُحدَثِين[٦] إلى أنّ أوّل مَن تعرّض من العلماء القُدامى لتعريف الكناية هو أبو عبيدة مُعمر بن المثنى

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة: مادة (كنو): ١٣٩/٥.

(٢) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، (د ط)، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م: ٣٦٦/١. ٣٧٩.

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع: فضل حسن عباس، ط٨، دار الفرقان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م: ٢٤٧.

(٤) ينظر: المصباح المنير: مادة (كنى): ٢٠٧.

(٥) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية: أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: شهاب الدين أبي عمر، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م: ٢/ ١٧٩٨. وقد روي هذا البيت أيضاً برواية وإني لأكني عن قذور بغيرها.. في: تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، ط١، دار المعرفة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م: ٤/ ٣١٩١.

(٦) ينظر: فنون بلاغية البيان ـ البديع: الدكتور أحمد مطلوب، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م: ١٦٤.

وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: الدكتور أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م: ٥٤/١.

وينظر: علم البيان في البلاغة العربية: الدكتور عبد العزيز عتيق، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، ، (د ت) : ٢٠٣.

وينظر: علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية: بدوري طبانة، دار الثقافة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م: ٢٢٣.

(ت٢٠٩) في كتابه (مجاز القرآن)، وهي عنده: ((ما فُهم من الكلام ومن السّياق من غير أن يُذكر اسمه صريحاً في العبارة))[١]، فأبو عبيدة قد استعمل الكناية بمعناها ولفظها المتداولين اليوم، فهي تفهم من السياق من غير التصريح بالاسم، ويكون المعنى خفيّاً غير ظاهر[٢]، أي: أنّ هناك تلازماً بين المُكنّى بهِ والمَكنِيّ عنه.

نخلص مما تقدّم أنّه لا يوجد بونٌ شاسعٌ بين ما أورده علماء اللغة من تعريفاتٍ للكنايةِ وبين التعريفات الاصطلاحية التي عرّف بها علماءُ البلاغةِ الكنايةَ، فكلاهما يصبَان في مجرى واحدٍ مؤدّاه السّتر والخفاء من جهة، والظهور والتّصريح من جهة أخرى، ومن ذلك الكُنى في الأعلام فقولنا فلانٌ يُكنّى بأبي فلان، فيه إظهارٌ للكُنية من جانب، وإخفاءٌ للاسم الحقيقي من جانب آخر. ومنه الكناية أيضاً فكون الإنسان يتكلّم بشيءٍ ويريد غير معناه يعني أنّ الكناية فيها إظهار وإخفاء: إظهارٌ للمُكنّى به، وإخفاءٌ للمَكنيّ عنه.

والكناية كغيرها من المصطلحات البلاغية أخذت مسيرة تاريخية، ومرّت بمراحل عديدة حتى استوت واضحة المعالم، ولاسيما عند عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) ومن جاء بعده، وقد عرّفها الجرجاني بقوله: ((أنْ يُريد المُتكلِّم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه))[٣]، ولأنّ عبد القاهر أصاب كبد الحقيقة في تعريفه هذا للكناية فقد عرّف معظمُ البلاغيينَ ـ كما يرى بعض الباحثين[٤]ـ البلاغةَ مستنيرينَ بتعريفِه ومكررينَ لشواهدِه؛ وذلك لأنّه تناول الكنايةَ في مواضِعَ عديدةٍ من معالجته البلاغية مُوجِزاً ومُفصِّلاً ومُدَلِلاً.

وينظر: الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير): محمد الحسن علي الأمين أحمد، جامعة أم القرى. كلية اللغة العربية. الدراسات العليا الأدبية فرع الأدب، ١٤٠٣. ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣. ١٩٨٤م: ٣، وغيرهم.

(١) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تعليق: محمد فؤاد سزكين، (د ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة: ٧٣/٢.

(٢) ينظر: المصطلحات البلاغية عند الجاحظ في كتاب البيان والتبيين (رسالة ماجستير): جهيدة عبدات، و أمالي ساسي، جامعة أكلي محند أولحاج ـ كلية الآداب واللغات، ٢٠١٦م ـ ٢٠١٧م: ٢٩.

(٣) دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٣، دار المدني، جدة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م: ٦٦.

(٤) ينظر: البلاغة والتطبيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور كامل حسن البصير، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م: ٣٦٩.
وينظر: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: الدكتور محمد حسين علي الصغير، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م: ١٤٠ ، وينظر: دلالة الكناية في كلام الإمام الباقر (عليه السلام) (بحث منشور): أ.م.د وجدان صالح عباس محمد، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد:٢١، العدد:١، ٢٠١٨م: ٢١١.

ويُؤتى بالكناية بدل التّصريح لأسباب يرومُ بلوغها المتكلّم، وتقوم في أصل وضعها من أجل تحقيق وظيفتين رئيستين، الأولى: هي الوظيفة التعبيريّة المتّصلة بالمعاني التربوية والتّعليميّة والأخلاقيّة والنّفسيّة، وأمّا الأخرى فهي الوظيفة الفنيّة التعبيريّة المتّصلة بالمعاني الإبداعيّة الجماليّة والإدهاشيّة[1]، وقد تحدّث بعض العلماء عن أغراض الكناية، ومن هؤلاء العلماء أبو العبّاس المُبرِّد (ت ٢٨٥هـ) الذي أسند للكناية ثلاثة أغراض رئيسة[2]:

أحدها: التّعمية والتّغطية: كقولِه:

أكْني بغيرِ اسمِهَا وَقْد عَلِمَ الـ ـله خَفِيّاتِ كُلّ مُكتَتِمِ

الثاني: الرّغبةُ عن اللفظ الخَسيس المُفْحِش إلى ما يدلُّ على معناه مِن غيره: كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[3]، وقال جلّ ثناؤه: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[4]، كناية عن النِّكاحِ والجماعِ، ومن ذلك قوله تعالى أيضاً: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾[5]، كناية عن الفروج.

الثالث: التَّفخيمُ والتَّعظيمُ. نحو قولنا: جاءَ أبو عبدِ اللهِ، بدل تصريحنا باسمه.

فكأنّ معنى الكناية عند المُبرِّد السّتر والتّعمية والتّغطية، وهو وإن لم يُفرّق بينها وبين التّعريض، ولم يضَع لها تعريفاً محدداً إلّا أنّه حاولَ تقسيمها، وبيان بعض مزاياها أو أغراضها.

والتمسَ جمهورُ البلاغيينَ أنواعاً للكناية باعتبارِ المُكنَّى عَنهُ، وفي ضوء ماهيّته وطبيعته فقد قسّموها إلى ثلاثةِ أنواعٍ متميزةٍ، هي:

١. الكناية عن صفة: وهي التي يكون فيها المعنى المُكنّى عنه صفة من الصّفات، كالجود، والكرم، والشجاعة، أو ((هي التي يُطلب بها نفس الصّفة، والمُراد بالصفة هنا الصفة المعنويّة، كالكرم والشجاعة

---

(١) ينظر: فاعليّة الكناية في الشعر العربي الحديث ((التنظير والاجراء)) (بحث منشور): م. د. أحمد جياد شروم، مجلّة الجامعة العراقيّة، العدد: ٥٤، ج٢: ٢١٩.

(٢) ينظر: الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المُبرِّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م: ٢/ ٨٥٥ـ ٨٥٨.

(٣) سورة البقرة: ١٨٧.

(٤) سورة النساء: ٤٣.

(٥) سورة فصلت: ٢١.

والحلم والغنى والجمال، لا النعت المعروف بعلم النحو. وفي هذا النّوع من الكناية يُذكر الموصوف، وتستر الصّفة مع أنّها هي المقصودة، والموصوف هو الملزوم الذي تلزم عنه الصّفة أو تلازمه، ومنه تنتقل إليه))[١]، كقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((فَصَبرتُ وَفِي العَينِ قَذىً، وَفِي الحَلقِ شَجاً))[٢]، كناية عن شدّة الألم الذي تجرّعه وكابده الإمام (عليه السلام) فصبر وحاله كمن أصيبتْ عينه بالرمد فلا يستطيع فتحها للرؤية، ونشبَ عظمُ في حلقه، فهو يتجرّع الغصص لما يراه من حال الأمة، وفساد من هم في سدّة الحُكم، ومُقاساةِ الخَلقِ في عدم انتظام الأحوال[٣].

٢. **الكناية عن موصوف** : وهي التي تُذكر فيها الصّفة، ويُستترُ الموصوف، مع أنّه هو المقصود، والصّفة هي اللازم من الموصوف، ففي هذا النّوع من الكناية ((يكون الموصوف هو المُحتجب المُتواري))[٤]، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٥]، كناية عن موصوف وهي الأنثى التي زعم الجاهلون أنّها تكون من جنس الملائكة، وجعلوا الإناث جزءً من الرحمن[٦].

٣. الكناية عن نسبة: ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه. وبها يذكر الصفة والموصف، ولا يصرح بالنسبة الموجودة مع أنّها هي المقصودة[٧]، ومنها قول أبي الطيب المتنبي:

---

(١) المجاز المرسل والكناية (الأبعاد المعرفية والجمالية): يوسف أبو العدوس، ط١، عمّان ـ الأردن، ١٩٩٨م: ١٦٥.
وينظر: أساليب البيان في القرآن: السيد جعفر السيد باقر الحسيني، ط١، مؤسسة بوستان كتاب، قم، ١٤٣٠ق ـ ١٣٨٧ش: ٦٩٨.

(٢) نهج البلاغة: ٨٤

(٣) ينظر: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: عادل حسن الأسدي، ط١، مؤسسة المحبين، إيران ـ قم، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: ٩٧

(٤) فنون التصوير البياني: د. توفيق الفيل، ط١، منشورات السلاسل، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م: ٢٩٥.

(٥) سورة الزخرف: ١٨.

(٦) ينظر: الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: الدكتور أحمد فتحي رمضان الحياني، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م: ٣١٤.

(٧) ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٧٠٧ـ ٧٠٨.

إنَّ في ثوبكَ الذي المجدُ فيهِ لَضياءً يُزرِي بكُلِّ ضِياءِ[1]

فالمتنبي أراد أن يثبت لممدوحه المجدَ، فلم يُصرّح به بل أثبته لما له علاقة بالممدوح وهو الثوب.

ويُعدّ الأسلوبُ الكنائي أحدَ أهمّ الأساليبِ البلاغيّةِ الفاعلةِ في النَّصِ الأدبي؛ لما يحويه هذا الأسلوب من طاقة تعبيريّة مُوحية، تصوّر وتجسّد الأشياء المعنويّة وتجعلها في صور المحسوسات، مما يُضفِي للنّص ((حيويّة وثراءً وتكثيفاً دلالياً جمالياً في آنٍ واحدٍ، إنّه إقصاء للمعاني المباشرة للدوال، والتّحول عنها إلى دلالات إيحائيّة عميقة، مما يجعل المتلقي يشعر بلذّة في استكشاف تلك الدلالات السّابحة في فضائه الواسع))[2]، والكناية لونٌ من ألوان الخيال تعتمدُ على بلاغة المُخاطِب وذكاء المُخاطَب، وقد اهتمّ بها النّقاد وعرفوا مكانتها في ترجمة المعاني والتأثير على المستمعين[3].

وتتمثل بلاغة الكناية في أنّ ((الكناية نتاج مشاعر خاصة تجاه الأشياء، فالشاعر أو الكاتب قد يصنع كناياته أو رموزه اللغوية حتى توسع الدائرة الوجدانية لدى المتلقي الذي يستطيع استشفافها من خلال السياق الفني))[4]، كما أنّ الكناية جاءت لتوضيح المعنى وتجسيده ونقل المعاني في صور محسوسة، فحينما نُكنّي عن الكرم بكثرة الرماد، وعن المزاح برسول الشر، فإننا نبرز المعاني المُجرّدة بصورة المحسوسات.

وتقوم الكناية القرآنيّة بنصيبها كاملاً في تصوير المعاني وأدائها خير أداء، فهي حيناً راسمة مصوّرة موحية، وحيناً مُؤدَّبة مُهذَّبة، تتجنّب ما ينبو على الأذن سماعه، وحيناً موجزة تنقل المعاني الكبيرة بألفاظٍ قليلةٍ، وكثيراً ما تعجز الحقيقة أن تؤدّي المعنى كما أدّته الكناية القرآنيّة[5]، فيُعدل إليها عن اللفظ الأصلي لنكتة بلاغيّة تجعل التعبير بها أولى أو أرحب من التعبير باللفظ الذي وُضع في أصل اللغة للدلالة على المعنى.

---

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، دار المعرفة للطباعة والنشر، (د ط)، بيروت ـ لبنان، (د ت): ١/ ٣٥.

(2) فاعلية الكناية في النقد المعاصر (رسالة ماجستير): أنمار إبراهيم أحمد، جامعة ديالى ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م: ١.

(3) ينظر: أسلوب الكناية في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): بسام عبد العفو عبد الرزاق القواسمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٥: ٢٢.

(4) فاعلية الكناية في النقد المعاصر: ١.

(5) ينظر: من بلاغة القرآن: د. أحمد بدوي، (د ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٥م: ١٧٣، وينظر: الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم (بحث منشور): سندس عبد الكريم هادي، مجلة كلية الآداب، العدد: ٩٧: ٢٠٣.

ومذهب البلاغيين أنّ التّلميح أبلغ من التّصريح؛ لأنّه يدفعُ المُتلقّي إلى إعمال الفِكر، ونسج جملة من الاستدلالات المترابطة بقصد الانتقال من المعنى الظاهر إلى معنى المعنى، وهذا مَكْمَنُ الإبداع المستكن في الكناية[١]، وهي مظهر من مظاهر الجمال في اللغة، فهي تعطيك الحقيقة مقرونة ببرهانها ودليلها.

وقد ورد الأسلوب الكنائي في الآيات التي تحدّثت عن الفساد، إذ نجدُ هذا الأسلوب جليّاً واضحاً في مادّة البحث، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢]، فاليد المغلولة التي نسبها اليهود لله هي كناية عن صفة البخل[٣]، فقد نسبوا هذه المفسدة الأخلاقيّة لله سبحانه وتعالى عن ذلك علوّا كبيراً، وجاءت هذه المفسدة من مفاسد اليهود المتعددة في سياق الآيات التي تحدثت عن مفاسد اليهود العقديّة منها والأخلاقيّة والاقتصاديّة، مثل الاستهزاء بالصلاة، وكتمان الكفر وإبداء الإيمان، والمسارعة في الإثم والعدوان، وأكل السّحت. وقد وردت مثل هذه الكناية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[٤]، كناية عن صفة البخل، أمّا بسط اليد فكناية عن صفتي الإسراف والتبذير.

وقد تضمنت الآية المباركة كنايةً أخرى في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٥]، فإيقاد النار كناية عن إرادة الفتنة وإشعال الحرب، وقد كانت العرب إذا تواعدت للقتال جعلوا علامتهم إيقاد نار على جبلٍ أو ربوةٍ ويسمّون هذه النّار نار الحرب[٦]، وإطفاء النار في الآية المباركة كناية عن دفع شرّهم، وما يحوكونه للمسلمين من مخططات. وقريب من هذه الكناية قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[٧]، في وصف امرأة أبي لهب، فهي كناية عن موصوف،

---

(١) ينظر: ماهيّة الكناية في البلاغة العربية (بحث منشور): نبيل الهومي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الثامن، العدد٧٣، ديسمبر ٢٠٢١م: ٧٥.

(٢) سورة المائدة: ٦٤.

(٣) ينظر: الكشاف: ٢٦٥/٢.

(٤) سورة الإسراء: ٢٩.

(٥) سورة المائدة: ٦٤.

(٦) ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: محمود صافي، ط٣، دار الرشيد، دمشق ـ بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت ـ لبنان، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م: م٣/ج٦: ٤٠٣.

(٧) سورة المسد: ٤.

وهي المرأة التي تثير الفتن التي من شأنها إشعال الحروب. ومن جمال هذه الكنايات أنّها تُلبس المعقولَ ثوبَ المحسوسِ فتقرّبه بذلكَ إلى المُتلقّي

ومن صفات أهل الكتاب من اليهود الواردة في سياق النّص القرآني المبارك في حديثه عن صفاتهم، نكثهم العهد مع الله، وحلفهم على الكذب بالأيمان من أجل متاع الدّنيا وحطامها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وجزاء هذه الأفعال أنّ الله عزّ وجلّ لا يكلّمهم، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ كناية بالتعريض؛ لأنّ الموصوف غير مذكور، فهم محرومون من نعمة تكليم الله إيّاهم كما يُكلّم المؤمنين في الجنة[2]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ كناية عن الاستهانة بهم والسّخط عليهم، تقول: (فلانٌ لا ينظر إلى فلان) تريد نفي اعتداده به، وإحسانه إليه؛ لأنّ من اعتدّ بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه[3].

ومن الأفعال الفاسدة التي كان يفعلها الطّاغية فرعون مع بني إسرائيل ذبحُ الأبناءِ واستحياءُ النساءِ، وإذلال بني إسرائيل، حتّى قيل أنّ الفرعوني كان يركب الإسرائيلي كالحمار[4]، قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[5]، والاستحياء استفعالٌ يدلّ على الطلب للحياة، فالمراد: يبقوهنّ أحياء، أو يطلبون حياتهُنَّ[6]، ووجه ذكره هنا ـ في معرض التذكير بما نالهم من المصائب ـ يدلّ على أنّ هذا الاستحياء للإناث كان المقصد منه مقصداً خبيثاً، وهو الاعتداء على أعراضهن، أو إبقائهن لغرض الخدمة، ولا يَجِدنَ بُدّاً من الإجابة بحكم الأسر والرّق، فيكون قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ كنايةٌ عن استحياءٍ خاصٍ، ولذلك أدخل في الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ فلو كان المراد من الاستحياء ظاهره لما كان

---

(1) سورة آل عمران: ٧٧.

(2) ينظر: سورة البقرة دراسة أسلوبية بلاغية (اطروحة دكتوراه): صدقية عوض فلاح الطروانة، جامعة مؤتة ـ قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٠م: ٢٥٩.

(3) ينظر: الكناية في البلاغة العربية: الدكتور بشير كحيل، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م:١١٢. نقلاً عن: الكشاف: ٥٧٣/١.

(4) ينظر: المفسدون في الأرض اليهود: ٧.

(5) سورة البقرة: ٤٩.

(6) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٤٩٢ـ ٤٩٣.

وجه لعطفه على تلك المصيبة[١]، وإنّما الغرض من التعبير عن هذا المعنى هو البعد عن الفحش في القول، حفاظاً على نسائهم وشرفهن، وهذا التّركيب ـ بحسب استقصاء بعض الباحثين[٢] ـ مما تفرّد به القرآن الكريم إذ لم يسبق استعماله في الشّعر الجاهلي.

وفي قصّة نبي الله موسى (عليه السلام) مع فرعون والسَّحرة من بني إسرائيل، في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ۝ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾[٣]، فالإيمانُ بالسِّحرُ والعملُ به يمثّل فساداً عقديّاً واجتماعي. وليس غرضهم اتّباع السّحرة بل إنّ غرضهم أنْ لا يتّبعوا موسى (عليه السلام) أي: نتّبع دين السحرة إنْ غلبوا موسى، ولا نتّبع موسى (عليه السلام) في دينه، فساقوا الكلام مساق الكناية؛ لأنّهم إذا اتّبعوهم لم يكونوا متّبعين لموسى (عليه السلام)[٤].

ويستمر النّص القرآني في سرد مفاسد بني إسرائيل الكثيرة، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٥]، كناية عن اليأس من اتّباعِ اليهود للشريعة الإسلاميّة، وتعبيرٌ عن تحدي الكُفار للرسول (صلى الله عليه وآله)، وتؤكّد استحالة اتباع اليهود والنصارى للدين الإسلامي، وذلك يتضمن التيئيس للرسول (صلى الله عليه وآله) من اتّباعهم لدينه، ومبالغة في الإقناط من إسلامهم[٦]، فالكناية أدّت في الآية غرضاً بلاغياً وهو الإيجاز، حيث اختزلت كل هذه المعاني في هذا الجزء من الآية المباركة.

ومن صفاتهم أيضاً المماطلة في اتّباعِ الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٧]، فقول نبي الله موسى (عليه السلام)

---

(١) ينظر: المصدر السابق: ١/ ٤٩٢ـ ٤٩٣.
(٢) ينظر: الألفاظ والتراكيب في السياق القرآني (دلالة متجددة مع امتداد الزمان واتساع المكان): د. عودة خليل أبو عودة، و د. تمام محمد السيد، ط١، مكتبة الشقري، الرياض، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٦م: ٢٨٣.
(٣) سورة الشعراء: ٣٩ـ٤٠.
(٤) ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٧٠٨.
(٥) سورة البقرة: ١٢٠.
(٦) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: الدكتور محمد سيد طنطاوي، ط٣، مؤسسة الرسالة، مصر، ١٠٤٧هـ ـ ١٩٨٧م: ٣٤٢/١.
(٧) سورة البقرة: ٦٧.

لبني إسرائيل: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ كناية عن نفي الجهالة والاستهزاء عن نفسه (عليه السلام)، لأنّها لا تليق بالعقلاء الأفاضل فكيف بمقام النبي (عليه السلام)[1]! وإثبات هذه الصفة لهم عن طريق التّعريض بهم، والدّليل على ذلك قول موسى (عليه السلام): ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ فالاستعاذة بالله لا تكون إلا للتغلب على أمر عظيم لا يغلبه إلا الله تعالى، وفي سياق هذه الآيات تتبين مفاسد بني إسرائيل والتي أحدها عصيان القيادة الإلهية المتمثلة بشخص النبي (عليه السلام) من خلال إلقاء التبريرات، وطرح الأسئلة التعجيزية ـ في نظرهم ـ لثني النّبي عن طلبه منهم (ذبح البقرة).

ولا تكاد تنتهي مفاسد اليهود التي يسردها لنا النّص القرآني المبارك، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[2]، وهذه صفة فاسدة أخرى وهي الحرص على الدنيا، فـ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ كناية عن الكثرة، وليس المراد خصوص الألف[3]، فالإنسان بطبيعته يُحبّ أن يُخلّدَ ولا يموت أبداً، ولاسيّما الفاسد الذي لا يريد من الله أن يُحاسبه على ما اقترف.

ومن صفاتهم الفاسدة تولية الأدبار، قال تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[4]، والأدبار جمع دُبُر وهو الخَلْف، ويُقابله القُبل، وهو القُدّام، ويُكنّى بها عن السوأتين، وتولية الأدبار كناية عن الهزيمة والفرار، لأنّ المُنهزِم يجعلُ خصمَه متوجّهاً إلى دُبره ومُؤخّره، وذلك أعون له على إدراكه وقتله، والمعنى: لا تولّوهم ظهوركم وأقفيتكم منهزمين، والعدول عن لفظ الظّهور إلى الأدبار تقبيحٌ للانهزام وتنفيرٌ منه، ففيه تصوير للفرار بصورة بشعة قبيحة تشمئزُّ منها النَّفس، وتُحفِّز الهمّة، وتثير في النّفس النّخوة[5]، وهم أذلاء خاسئين، قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

---

(1) ينظر: الكشاف: ٥٤٨.
(2) سورة البقرة: ٩٦.
(3) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: الأستاذ محيي الدين الدرويش، ط٧، دار ابن كثير، بيروت، اليمامة، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م: م١/ج١/١٤٥.
(4) سورة آل عمران: ١١١.
(5) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن: ٢٥٩.

الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1]، الكناية في ضرب الذلة والمسكنة، وهي كناية عن نسبة، أراد الله عز وجل أن يثبت ديمومة الذلة والمسكنة عليهم، فكنّى بضربها عليهم كما يضرب البناء[2].

وتتوالى صفاتهم ومفاسدهم، ففي قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[3]، كناية عن شدّة ألمهم وغيظهم لِما يرونَه من وحدة المسلمين وإلفتهم واجتماع كلمتهم ورأيهم، ونصرة الله تعالى لهم، حتى عجز أعداؤهم أنْ يجدوا سبيلاً إلى التّشفّي بهم، فاضطروا إلى مداراتهم، فعضُّ الأنامل عادةٌ للنادمِ والعاجزِ[4]، وقريبٌ من هذهِ الكناية قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[5]، فالعضُّ على اليدين كناية عن صفة النّدم والحسرة التي يلقاها الظّالم من عدم إيمانه وتصديقه بنبوّة النّبي (صلى الله عليه وآله).

أمّا في حديث القرآن الكريم عن المنافقين وصفاتهم فقد وردت الكناية عن البُخلِ في قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[6]، فقبض اليد كناية عن الشّح والبخل[7]، وعدم الإنفاق في طاعة الله تعالى، وقد استعملت العربُ اليدَ كثيراً في مجازها للكناية عن الكرم، ومن ذلك قولهم: فلانٌ يده أندى من البحرِ، والتعبير عن البخل باليد المغلولة أو المقبوضة فيه تصوير محسوس لهذه الخلّة والصّفة المذمومة في صورة بغيضة من شأنها أن تُكرّه وتُبغّض هذه الصّفة غير الأخلاقيّة لنفس المتلقّي، وتُنفّره منها. والحال إنّ المطلوب من الإنسان ليس البخل ولا الإسراف وإنّما الوسطيّة والاعتدال في الإنفاق، والوسطيّة والتّوازن من القيم العُليا في الشّريعة الإسلاميّة في الإنفاق وفي كلِّ أمورِ الحياة.

---

(1) سورة آل عمران: ١١٢.
(2) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه:م١/ج١/١١٤، وينظر: الإيحاء البياني في سورة البقرة (بحث منشور): م. م. لؤي سمير مهدي الخالدي، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية/ جامعة بابل، العدد: ٣٧، شباط ٢١٨م: ٦٥١.
(3) سورة آل عمران: ١١٩.
(4) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن: ٢٥٩.
(5) سورة الفرقان: ٢٧.
(6) سورة التوبة: ٦٧.
(7) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: م٣/ج١١/٢٤١.

ووردت الكناية بالتّعريض في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]، التّعريضُ في عدم تكليم الله إيّاهم بحرمانهم حال أهل الجنة وتزكيتهم بكلامه تعالى، والتّعريضُ ضربٌ من الكناية، لأنّ الكناية إذا كانت عرضيّةً مسوقةً لأجلِ موصوفٍ غير مذكورٍ كانَ المُناسب أنْ يُطلقَ عليها اسم التّعريض[2].

ويحدّثنا القرآن الكريم عن قصّة نبي الله نوح (عليه السلام) مع قومه المعاندين، ودعوتهم للإيمان بالله الواحد الأحد، وما لقيه من استهزاء وسُخرية وإصرار على الكفر بالله، قال عزّ من قائل: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[3]، كناية عن استنكافهم عن الاستماع إلى دعوته، والمبالغة في إعراضهم عما دعاهم إليه، فمنهم بمثابة من سدّ سمعه وغشى بصره كي لا يسمع ويرى[4]، وهذا حال المعاندين والمستكبرين على الحقّ.

وفي سورة أخرى وضمن أحداث القصّة ذاتها، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[5]، فقد ورد فيه أسلوب التّعريض في قولهم:﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ فهو تعريض بأنّهم أحقّ منه بالنبوّة[6]، أو لا أقل فهم متساوون ولا فرق بينهم لكي يصبح نبيّاً ورسولاً لهم، ولو أراد الله لأرسل مَلكاً لهم، وهذا الأمر نتيجة لنظرة البشر الماديّة تجاه الأشياء، فقد كذّبوا كثيراً من الرّسل والأنبياء تحت هذه الذريعة، قال تعالى عن هؤلاء: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾[7]، وقال عزّ وجلّ أيضاً ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[8].

---

(1) سورة البقرة: ١٧٤.
(2) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: م١/ ج٢٢٤/١.
(3) سورة نوح: ٧.
(4) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٣/٢٠.
(5) سورة هود: ٢٧.
(6) ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٧٤١.
(7) سورة الأنعام: ٨.
(8) سورة هود: ١١.

ومن لطائف الكنايات القرآنية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1]، كناية عن الغِيبة، فالله عزّ وجل ينهى عن المفاسد الأخلاقيّة ومنها التّجسس والغيبة، والقرآن الكريم يرسم صورة حيّة من خلال تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان الميّت من قبل إنسانٍ آخر مثله، وأيّ لحم يأكله؟ إنّه لحم الأخ! وهذا التّمثيل ((شديد المناسبة جداً، وذلك لأنّ الاغتياب إنّما هو ذكر مثالب النّاس، وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العِرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه؛ لأنّ أكل اللحم فيه تمزيق لا محالة.. وهذا القول مبالغة في الاستكراه لا أمدَ فوقها، وأمّا قوله (ميتاً) فلأجل أنّ المغتاب لا يشعر بغيبته، ولا يحسُّ بها))[2]، ورسم هذه الصّورة القبيحة كفيلة بأن تجعل النّفس البشريّة تشمئز من هذه الصّفة الشّنيعة، فكان لاستعمال هذا الأسلوب وقعُهُ في التّنفير من هذه الصّفة، وهذا مالا يفعله التعبير المباشر، وسيأتي الحديث عن ظاهرة التّصوير في القرآن الكريم في الفصل الثالث من الدراسة إن شاء الله.

نخلص ممَّا سبق إلى أنَّ الكناية تُشكّلُ وسيلة من وسائل القرآن الفعّالة في تحقيق أهدافه وغاياته الدّينيّة، والأخلاقيّة، والتّربويّة، وتخدم الذائقة اللغوية والنفسية للمتلقي إن وُظِّفت توظيفاً موضوعياً، وبها تُكتَشف مجاهيل الدلالة، وتُسبر أغوار النفس الإنسانية.

وقد استعمل هذا الفنّ في سياق الآيات الدالة على الفساد والإفساد للتنفير من هذه المفاسد، وتقبيحها في نفس المتلقّي، إذ يُشكل البُعد التصويري الكامن في الكناية عاملاً رئيساً في تحفيز ذهن المتلقي لتوليد صور، وإنتاج دلالات يتقبلها المتلقي، ويصل معها إلى إدراك المعنى المقصود.

فهي حيناً تجسّم المعاني وتُخرجها صوراً محسوسةً زاخرةً بالحياةِ والحركةِ، وحيناً مُؤدَّبة مُهذَّبة تتجنّب ما ينبو على الأذن سَماعُه، وحيناً موجزةً تنقل المعاني الكبيرة بألفاظٍ قليلةٍ، وهذا ما تعجزُ الحقيقةُ عن تحقيقِه كما حققتهُ الكناية القرآنيّة.

---

(1) سورة الحجرات: ١٢.

(2) من بلاغة القرآن: ١٧٣.

المبحث الثالث: أسـلوبُ التّراكيبِ السّياقيّةِ

إنَّ من مستويات دراسة النّص في اللغة العربيّة وغيرها من اللغات دراسة السّياق، وقد احتل السّياق مكاناً بارزاً في التراث العربي والدراسات اللغويّة الحديثة؛ لما يضطلع به من دورٍ كبيرٍ في إنتاج الدّلالة، وتزداد أهميّته في فهم المقاصد التي يهدفُ مبدعُ النّص إيصالها للمتلقّي، فمن المعلوم أنّ اللفظة الواحدة قد يكون لها معنى معيناً، وقد تكون لها معانٍ عديدة ـ وقد أُشِيرَ إليه في المبحث الأوّل ـ ولا يمكن معرفة المقاصد التي يعنيها مبدع النّص من خلال الاقتصار على دراسة اللفظة وحدها وبمعزلٍ عن سياقها الذي وردت فيه، فاللفظة إنّما تكتسب معناها من خلال ائتلافها مع أخواتها من الألفاظ في الجملة الواحدة.

والسياق لغة: وردَت لفظة (السّياق) في معجمات اللغة من مادة (سَوَقَ): ((السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا.. وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ))[1]، ويقال: وَلَدَتْ فلانةُ ثلاثةَ بنينَ على ساقٍ واحد، أي بعضُهم على إثر بعض، لا جارية بينهم[2]، ((وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت))[3].

وتغيبُ الدلالة الاصطلاحيّة لمفردة السّياق في أكثر المعجمات اللغويّة ـ بحسب استقراء الباحث ـ ولم يتوقّف الأمر على المعجمات اللغوية فقط، فهناك معجمات مختصّة قديمة على غرار (التعريفات) للجرجاني، و(الكليات) للكفوي، إلّا ما نجده من إشارة الزمخشري له، فإنّ له دلالة اصطلاحيّة، فقد ذكر مفهوم سياق الكلام ضمن المعاني المجازية التي يستخدم فيها اللفظ (سوق)[4]، يقول: ((وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و(إليك يُساق الحديث)، وهذا الكلام مساقه

---

(1) مقاييس اللغة، مادة (سوق): ١١٧/٣.

(2) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م: ٥٢٦/٦. وينظر: القاموس المحيط، مادة (سوق): ٨٩٥.

(3) لسان العرب، (مادة سوق): ٦/ ٤٣٥.

(4) ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، (د ط)، (د ت): ٢٥.

إلى كذا))[1]، ومن خلال عرض المادة المعجمية للفظ (سوق) يتبين أنّ دلالة لفظ (سوق) مرتبطة بجذرٍ واحدٍ هو التسلسل والتتابع، ولحوق شيء بشيءٍ آخر، وهو الجامع بين كلّ هذه المعاني.

أمّا **في الاصطلاح** فقد عرّفه بعضهم بأنّه: ((دراسة الكلمة داخل التّركيب أو التّشكيل الذي ترد فيه))[2]، فهو الذي يحدد مداليل الكلمات المفردة والجمل بناءً على موقعيّتها في النّص، ويفرض لها حضوراً معيّناً، ومن دونه يغدو النّاظر للكلمة المفردة كالأعور الذي يرى جانباً معيّناً بعينٍ واحدةٍ.

وقد استعملَ كثير من علماء العرب[3]مصطلحات مُرادفة لمصطلح السّياق، ومن تلك المصطلحات: الموقف، المقام، الحال، أمّا علماء البلاغة فقد أكثروا استعمال مصطلح (مقتضى الحال)، فقال بعضهم في تعريفه للبلاغة: ((بلاغة الكلام: هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته))[4]، فيمكن القول أنّه تطابق بين سياق الحال، وهو (مقتضى الحال) في التّعريف، وبين سياق النّص ـ وسيأتي تفصيلهما ـ إن شاء الله.

---

(1) أساس البلاغة، مادة (سوق): ١/ ٤٨٤

(2) دلالة السياق في القرآن الكريم "آيات الربا أنموذجا" (رسالة ماجستير): التجانية شايع، وسارة وزقة، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، معهد العلوم الإسلامية . قسم الحضارة الإسلامية، ١٤٤١هـ . ٢٠٢٠م: ١٥. نقلاً عن: علم الدلالة دراسة وتطبيق: نور الهدى لونش، المكتب الجامعي الحديث، (د ط)، الإسكندرية، ٢٠٠٢م: ٩٥.

(3) منهم أبو الفتح عثمان بن جني، والخطيب القزويني، وابن قتيبة، وغيرهم، لتفصيل ذلك ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦م: ١/ ٦١٦ وما بعدها، وينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، (د ط)، (د ت): ٢٨. ٣٠.

(4) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٠.

وينقسمُ السياقُ على:

١ـ السياق اللغوي أو (الداخلي) أو (سياق النّص) ويتمثل في: ((الأصوات والكلمات والجمل، كما تتتابع في حدث كلامي معين أو نصّ لغوي))[١]، أي: كلّ ما له أثر في توجيه دلالات الألفاظ داخل النّص، بما في ذلك السّباق واللحاق[٢]، فهما يؤثّران في توجيه دلالة الألفاظ المفردة.

٢ـ السياق غير اللغوي أو (الخارجي) أو (سياق الحال) أو (سياق الموقف): وهو: ((الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات))[٣]، **أي:** ما يحيط بالنّص من عوامل خارجية، متمثّلة في حال المُخاطِب، والمُخاطَب، والغرض الذي سيق له النّص، والجو الذي نزل فيه، والتي تؤثّر في فهمه.

أمّا السّياق القرآني فهو جزء من مفهوم السّياق بشكل عام، إلّا أنّه مختصّ بالنّص الربّاني المبارك، ولا تتضح مقاصد السّور والآيات القرآنية الشريفة إلّا باستعماله، وهو أصل من أصول الفهم القرآني السّليم، ووجه من وجوه إعجازه، وهو من الأهميّة بمكان، فقد اعتنى المفسّرون والأصوليّون به حتى جعلوه أساساً لا بُدّ منه في تعاملهم مع كتاب الله.

والسّياقُ منهجٌ حاضرٌ في أنواعِ العلومِ العربيّةِ والإسلاميّةِ كافّة؛ إذ إنّه من أسس التعامل مع النّص القرآني، ونصوص السّنة النبويّة المطهّرة، والنّصوص اللغوية بشكل عام، فهو حاضرٌ في علوم اللغة والنّحو والبلاغة، وعلم التّفسير، وعلم الأصول، وعلوم القرآن، وهو يعين القارئ على استجلاء دلالة الكلمة أو الجملة، وهو من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلّم، ومن أهمله فَقَدَ

---

(١) الكلمة دراسة لغويّة معجميّة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، (د ط)، ١٩٩٨م: ١٦١.

(٢) ينظر: السياق القرآني وأثره في ترجيح دلالة ألفاظ التضاد (رسالة ماجستير): فاطمة محمد طحان، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين ـ قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م: ٣١، والمقصود بالسباق: ما يسبق الكلمة، وأمّا اللحاق فهو ما يلحقها.

(٣) قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه (اطروحة دكتوراه): إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، كلية البنات للآداب والعلوم التربوية ـ قسم اللغة العربية: ٣٣. نقلاً عن: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: د. سلوى محمد العوا، تقديم: أ. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م:٧٧.

إحدى أهم الأدوات المُشرّعة لفهم النّص، ودلالة السياق إنّما تؤثّر في الدّلالة على المقصد ما لم تقم قرينة أقوى منه على خلافه.

وقد صرّح زعيم المدرسة السياقية فيرث(Firth) بأنَّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال (تسييق الوحدة اللغوية)، أي: وضعها في سياقات مختلفة، وعليه فإن دراسة دلالات الكلمات تتطلب تحليلا للأنماط السياقية والطبقات المقامية التي ترد فيها، فمعنى الكلمة يتحدد وفق السياقات التي ترد فيها، وعلى هذا فمعنى الكلمة يتعدد بتعدد السياقات الواقعة فيها[1].

أمّا على مستوى التّركيب فقد أشار بعضهم إلى أهميّة السياق للوصول إلى (المعنى النّحوي الدّلالي)، يقول الدكتور محمد حماسة: ((ولا تكون للعلاقة النحوية ميزةٌ في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كلّه في سياق ملائم))[2].

وتتضاعف أهميّة دراسة السّياق في العربية؛ لأنّها لغة عميقة المقاصد، وهي لغة القرآن، فقد زادها شرفاً أن أنزل الله تعالى كتابه الكريم بلسانها، فهي لغة ثريّة بمفرداتها، وجميلة في أساليبها وروعة بيانها، وقد أولى الدارسون أهميّة كبيرة لفهم المقاصد القرآنيّة من خلال فهم المفردات في سياقها من دون اجتزاء؛ وذلك أنّ المفردة في ذاتها لا تدلُّ على المعنى ذاته لو اندرجت ضمن سياقٍ كلاميّ آخر. وفيما يلي ستعرض الدّراسة لأهميّة السّياق في بيان دلالة بعض التّراكيب اللغويّة.

---

(1) ينظر: علم الدلالة: الدكتور أحمد مختار عمر: ٦٨.٦٩.

(2) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م: ٩٨.

١ـ الاستفهام

لغةً: الفهمُ في اللغةِ مِن: ((فهمتُ الشيءَ فَهَماً وفَهْماً: عرفته وعقلته، فهّمتُ فلاناً وأفهمتهُ: عرّفتُه))[١]، واستفهمه: سأله أن يُفهمَه، وقد استفهمني الشيء فأفهمتُه وفهَّمته تفهيماً[٢].

وفي الاصطلاح البلاغي: هو طلب حصول العلم بشيء لم يكن معلوماً في ذهن المُتكلّم وقت الطَّلب[٣]، أي أنْ يطلب معرفة أمر لم يكن يعرفه من قبل.

وأسلوب الاستفهام يجذب ذهن السّامع، ويشدّ انتباهه، وهو من أشدّ الأساليب الطلبية إثارة لفكر المتلقي، إذ إنّ بنية الاستفهام تتجه من الخارج إلى المستوى الذهني(العميق) ومن هنا قِيل: إنّه أشدّ أساليب الطلب إثارة للفِكر[٤].

وقد أشار أبو حيان صاحب البحر المحيط إلى أنّ أكثر الاستفهامات القرآنية لا تحتاج جواباً؛ لأنّها من عالم الغيب والشهادة، ثم جعل الاستفهامات القرآنية في غرضٍ واحدٍ هو التّقريع[٥]، ولعلّه كان يقصد أنّ أغلب استفهامات القرآن الكريم تخرجُ عن الحقيقة إلى أغراضٍ مجازيّةٍ كثيرةٍ، ومن ضمن هذه الأغراض وأكثرها: غرض التّقريع، ويُستَدلّ على هذه الأغراض من السّياق والقرائن، والموضوع، وطبيعة الأشخاص المُخاطَبين.

وقد نالت الآيات الدالة على الفساد والإفساد نصيبها الوافر من هذا الأسلوب، ومن المعاني والأغراض المجازية التي يخرج إليها، ومن هذه الأغراض؛ غرض الاستهزاء الذي يُلحظ في قوله تعالى في سياق محاورة نبي الله شعيب (عليه السلام) مع قومه الفاسدين: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ

---

(١) العين، مادة (فهم): ٣٤٤/٣.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (فهم): ٣٤٣/١٠.

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٣٢/١ ، وينظر: معجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م: ٥٢٣ ، وينظر: جواهر البلاغة: ٧٨.

(٤) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: الدكتور محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م: ٢٨٥.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٤١٨/٢.

تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[1]، فقد أرادوا بصفتي الحليم والرّشيد السّفيه الجاهل[2] والعياذ بالله، فقد خرج الاستفهام عن غرضه الرّئيس وهو طلب الإفهام إلى إرادة معنى الاستهزاء[3]، والسّياق القرآني هو الذي يفتح أعيننا على هذا الفهم؛ لأنّ سياق الخطاب القرآني في هذهِ الآيات يتحدث عن دعوة نبي الله شعيب (عليه السلام) لقومه والحوار الذي جرى بينهم، فقال الله تعالى عن لسان نبيّه شعيب (عليه السلام) ناهياً إيّاهم عن الفساد الاقتصادي الذي كانوا يشتهرون به من إنقاص الميزان، وبخس النّاس أشياءهم: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4]، فكانوا يتوعّدونه بالرّجم والقتل مقابل ذلك: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[5]، فمقامُ هذا الكلام يقتضي الغِلظة والشّدة في القول فكيف يمدحونه ويصفونه بالحلم والرّشد وهم يُسفّهونَ دينَه ويتوعّدونَه بالقتلِ هو ومن معه من المؤمنين؟ وهذا يخالف المنطق السّليم في فهم النّص، فهم أرادوا العكس تماماً حيث اتهموه بالسّفاهة والجهل...

أو قد يخرج إلى التّوبيخ، نحو قوله تعالى لإبليس: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[6]، فهذا الاستفهام جاء في سياق أمر الله تعالى الملائكة بالسّجود لأبي البشر النبي آدم (عليه السلام) ففعلوا جميعاً إلّا إبليسَ فقد شذَّ وتمرّدَ وعصى الأمر الإلهي، فجاء السؤال من الرّب عزّ وجلّ لتوبيخ إبليس، أي أكان عدم سجودك لآدم إذ أمرتك لأنّك

---

(1) سورة هود: ٨٧.

(2) ينظر: البرهان في تفسير القرآن: العلامة السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٩هـ. ق: ٣/ ١٣٠.

(3) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٢٨.

(4) سورة هود: ٨٥.

(5) سورة هود: ٩١.

(6) سورة ص: ٧٥.

استكبرت؟ أم إنّك ظننت نفسك من الذين يعلون ـ يعلو قدرهم ـ أنْ يُؤمروا بالسّجود؟[١] وهم محمد وآل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فقد سُئلَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن هؤلاء العالين، فأجاب: ((أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كُنّا في سرادِق العرش نُسبّح الله، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا قبل أنْ يخلق الله آدم (عليه السلام) بألفي عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم (عليه السلام) أمر الملائكة أنْ يسجدوا له، ولم يُؤمروا بالسّجود إلّا لأجلنا))[٢]، ويبدو أنّ التّوبيخ في هذه الآية جاء بلفظ الماضي (أستكبرتَ) بمعنى: ما كان ينبغي استكبارك علينا[٣]، وعلى الرّغم من أنّ هذا السّؤال من علّام الغيوب قد جاء لتوبيخ إبليس، ولم يُرد منه الجواب إلّا أنّ اللعين إبليس أجاب عن السؤال بكلّ وقاحة: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٤]، مُتفاخراً بعنصره النّاري الذي زعمَ أنّه أفضل وأشرف من الطّين، وهذا أوّل فساد أحدثه اللعين إبليس، فكان أوّل ما عُصيَ الله عزّ وجلّ به الأنا وهو قوله (أنا خيرٌ منه).

وتأتي أهميّة السّياق في فهم مقاصد النص القرآني من خلال ما يتضمّنه السياق من القرائن اللفظية والمعنوية وهي معروفة عند علماء الأصول، وهذه القرائن التي يمكن أن يتضمنها النّص تكون بمثابة عوامل مساعدة تشير إلى المراد من النّص على وجه الدّقة وماذا يراد من الكلمات التي وردت في ذلك النص، فالسياق يوجه دلالة الكلمة بالاتجاه الذي ينصب فيه السياق فلا تكون الكلمة مستقلّة عن المقاصد المستنتجة من السّياق كلّه، ولهذا يقول الدكتور نجد الدين الزنكي: ((تتجلى من خلال القرائن اللفظية في السّياق مقاصد النّص))[٥].

---

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٢٦/١٧ ، وينظر: البحث البلاغي في تفسير الميزان: د. حيدر هادي أحمد، دار الصنوبر، بغداد، ط١، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م: ٤٤.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ٦٨٤/٤.

(٣) ينظر: فصول في البلاغة العربية: الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، عمّان، ط١، ١٩٨٣م:٣٩.

(٤) سورة ص: ٧٦.

(٥) نظرية السياق، د. نجد الدين قادر كريم الزنكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ١٣١.

والقرائن في اللغة: جمع قرينة، وقَرَنْتُ الشيء أقرنه قرناً أي شددته إلى شيء، والقَرَنُ: الحَبلُ يُقرن به، وهو القِران أيضاً... والقَرَنُ: جعبة صغيرة تضم إلى الجعبة الكبيرة،.. والقَرونُ: الناقة إذا جرت وضعت يديها ورجليها معاً، والقِرانُ أن يُقارن بين تمرتين يأكلهما معاً.. والقِرانُ أن تقرِنَ حجة وعمرة معاً.. وقَرينهُ الرجل: امرأته[١]، ويتبيّن أنّ الجامع بين كلّ هذه الدلالات لمادة (قرن) هو الجمع بين الأشياء.

وفي الاصطلاح هي: ((ما يبين معنى اللفظ ويفسّره))[٢]، وهي من الأمور الكاشفة عن قصد المتكلم والمحددة لدلالته، والمشيرة لمطلوبه.

وتنقسم القرينة إلى: **قرينة مقاليّة (لفظية)**، والمراد بها:((الكلام الذي يكتنف الشيء في بيان المقصود منه))[٣]، أي: ما احتواه النّص من التّعبير والتّركيب.

وقرينة حاليّة (مقاميّة): ويُراد بها ((ما يحفُّ بالشيء من أفعالٍ أو أقوالٍ مما له علاقة بإيضاح المراد منه))[٤]، أي الظروف والملابسات التي قيل فيها النّص، أو الأسباب والأحوال التي نزلت الآية فيها. وهي ما يُسمّى في علم التّفسير وعلوم القرآن بـ (أسباب النّزول).

فقد يجهل المتلقّي مصاديق الآية القرآنيّة والمقصودين الذين توجّه إليهم الاستفهام فيها، فتعينه القرينة المقاميّة (سبب النّزول) في تشخيص هذه المصاديق، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٥]، ناهياً عن مفسدة متجذّرة في نفوس المنافقين عن طريق أسلوب الاستفهام، فالآية الكريمة لا تشير ولا تشخّص المخاطب في هذه الآية، وإنّما الذي يُعيننا على الفهم الصحيح لها القرينة المقاميّة المتمثّلة في المناسبة والظّرف الذي نزل

---

(١) ينظر: العين، مادة (قرن): ٣/ ٣٨٣. ٣٨٤.

(٢) التبصرة في أصول الفقه: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي: تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ: ٣٩.

(٣) الكاشف عن المحصول في علم الأصول: أبو عبد الله محمد بن محمود بن عبَّاد العجلي الأصفهاني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م: ٢/٣٠٠.

(٤) المصدر نفسه: ٢/٣٠٠.

(٥) سورة البقرة: ٤٤.

لأجله النّص، فقد ورد في الخبر عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) أنّه قال: ((قالَ عزّ وجلّ لقوم من مردة اليهود ومنافقيهم المحتجبين لأموال الفقراء، المستأكلين للأغنياء، الذين يأمرون بالخير ويتركونه، وينهون عن الشّر ويرتكبونه، قال: يا معاشر اليهود، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالصّدقات وأداء الأمانات ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما به تأمرون ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة الآمرة بالخيرات والنّاهية عن المنكرات المُخبرة عن عقاب المتمرّدين..))[1]، فقد كشفت لنا القرينة المقاميّة طبيعة الشّخوص المخاطَبين التي تمثّلت في صنفٍ من النّاس وهم يهود المدينة، ويبرز حالتهم وطبيعتهم من أنّهم كانوا ينصحون غيرهم بالخيرات، ويكفرون بها، وهذا مخالفٌ لفطرة الإنسان، ((فلا يخفى على عاقلٍ قبح عمل من يأمر غيره بالخير، ويتركه هو، أو أن ينهاه عن فعل ما يضرّه وهو يعمله))[2] وهذا لعمرك قمّة النّفاق، فهو بذلك كالأعمى الذي يُرشد النّاس للطريق، والمريض الذي يريد مُعالجة النّاس! وقد خرج الاستفهام في الآية المباركة عن غرضه الرّئيس إلى النّهي عن قول الشيء وعدم العمل به، كما قد يفهم منه التّعجب والإنكار لهذا الفعل.

٢ـ الأمر

الأمر لغةً: للأمر في اللغة وجهان: أوّلهما ما كان جمعه أوامر، أمّا الآخر فهو نقيض النّهي[3]، وهو استدعاء الفعل من الأعلى إلى الأدنى[4]، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[5].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ١/ ٢٠٥.

(٢) تفسير المنار: السيد محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط٢، ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م:١/١١١.

(٣) ينظر: العين، (أمر): ١/٨٥.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٥/١٥٩.

(٥) سورة طه: ١٣٢.

واصطلاحاً: عرّفه يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٠٥هـ) بأنّه ((هو صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء))[١]، أو هو: ((طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء والإلزام))[٢]، أي من جهة عُليا إلى جهة أدنى، وعلى سبيل الإلزام.

ويتّخذُ أسلوب الأمرِ في العربيّةِ أربعَ صورٍ صريحةٍ تشتركُ في الدلالةِ على الأمرِ، وهي: فعل الأمر المباشر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر[٣].

والأغراض التي تؤدّيها صيغ الأمر بعضها حقيقيّة وبعضها الآخر أغراض مجازيّة؛ ((ليثير الانتباه، ويوقظ الذهن، ويُعمل العقل، ويأخذ المُتلقّي إلى ما وراء الظّاهر، ويُمتع النّفس بالمشاركة الوجدانيّة بين المتكلّم والسّامع أو المُتلقّي))[٤]، وتتكشّف هذه الأغراض البلاغيّة لفعل الأمر من سياق الكلام وقرائن الأحوال ومقتضياتها، ومن خلال معرفة الجو النّفسي المُسيطر على المشاعر في النّص.

ومن هذه الأغراض المجازيّة التّحدي والتّعجيز، من ذلك قوله تعالى حكاية عن اليهود والنّصارى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٥]، فـ (هَاتُوا) فعل أمر جاء للتّحدّي والتّعجيز[٦]، والآية جاءت لتنعى وتسفّه هذا الرّأي المتعنّت، وتحقّر هؤلاء الذين جعلوا الجّنة حِكراً على اليهود والنّصارى بزعمهم، وكأنّهم شركاء

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣/٢٨١.٢٨٢.

(٢) أساليب علم المعاني في القرآن: ٥١، والبلاغة الاصطلاحية: د. عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م: ١٥١.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت) : ٧١، وأساليب علم المعاني في القرآن: ٥١.٥٢، وينظر: البلاغة الاصطلاحية: ١٥٢. وينظر: مدخل إلى البلاغة العربيّة: ٦٦.

(٤) الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني: أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ط٢، (د ت): ٣٣٢.

(٥) سورة البقرة: ١١١.

(٦) ينظر: الكافي في البلاغة: ٢٣٤.

الرّب في جنّته، فيدخلون فيهما ويخرجون من يشاءون! وقد يُلمس من سياق الأمر دلالة التّكذيب لهم أيضاً، فقد جاءت (إنْ) التي تفيد الشّك في صدقهم مع القطع بعدم الصّدق؛ لاستدراجهم حتّى يعلموا أنّهم غير صادقين حين يعجزون عن الإتيان بالبرهان الذي طلبه منهم الله عزّ وجلّ، لأنّ كلّ ادّعاء أو اعتقاد لا يقوم على دليل إنّما ادّعاء واعتقاد كاذب وباطل[1]، ومما يؤكّد ويقوّي القول بأنّ الخبر فيه دلالة التّكذيب قرينة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فهي قرينة واضحة لتكذيب القرآن الكريم لقولهم وإبطاله.

وللدلالة ذاتها جاء فعل الأمر في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[2]، فقد جاءت صيغة الأمر (فليأتوا) لتحدّي وتعجيز وتكذيب من قد فسدت عقائدهم بقولهم أنّ هذا القرآن صناعة بشريّة، أي إنّه من تأليف النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذه المقولة نفسها يُرددها بعض المستشرقين غير المنصفين اليوم، والرّد على هؤلاء نفسه الذي طرحه القرآن الكريم، فإذا كان النّبي وهو بشرٌ قد افترى وتقوّل هذا القرآن ـ حاشا له ـ فليأتوا بمثله إن كانوا صادقين!

وقد تأتي صيغة الأمر لدلالة التّهديد، نحو قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[3]، فقد علّق الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) على معنى التّمتّع هنا، والمراد به ليس الأمر وإنّما التّهديد[4]، ووافقه على ذلك الرأي الصابوني فقال: ((أمرٌ للتهديد، أي: تمتع بهذه الدّنيا الفانية، وتلذذ بها وأنت على كفرك، عمراً قليلاً وزمناً يسيراً))[5]، وقد أفادت قرينة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا المعنى، وهو كقول شخصٍ لشخص: (تكلّم ما شئتَ فسوفَ تندم).

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط)، (د ت):١٤٧/١، وينظر: التحرير والتنوير: ٦٧٤/١.

(2) سورة الطور: ٣٤.٣٣.

(3) سورة النمل: ٥٥.

(4) ينظر: معاني القرآن: ٤١٦/٢.

(5) صفوة التفاسير: ٧٢/٣.

وقد وردت في القرآن بعض الألفاظ التي يستحيل فهمها من دون إمعان النظر في سياقها الذي وردت فيه، لنأخذ مثلاً قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[1]، ففعل الأمر في هذه الآية ظاهره يدلّ على مدح هذا الشّخص المقصود بصفتي العزّة والكرم لو اجتزأت من سياقها وقطعت عنه، فالعزيز والكريم ألفاظ تدل على اتّصاف هذا الشخص بالعزة والكرم، لكنّها لمّا جاءت في هذا السياق: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[2]، خرج السّياق فعل الأمر من غرض المدح، ودلّ على أنّه للإهانة[3]، ((فمعنى العزّة والكرامة ليسا مرادين هنا، وإنّما ضدّهما هو المراد))[4]، فكيف بمن يأكلُ من شجرة الزّقوم التي طعامها يصلُ إلى غاية الفوران، ثم يُقاد من تلابيبهِ فيُؤخذُ إلى وسطِ العذاب، ثُمّ يُصبُّ الحميمُ من فوقِ رأسِه أنْ يكونَ عزيزاً كريماً! فسياق الآيات المباركات قد أخرج هذا التعبير من صفة المدح التي وضعت له إلى الذم؛ لأنّ أبا جهل كانَ يدّعي أنّه كانَ عزيزاً وكريماً في قومه في الحياة، ويقول: ((أيوعدني محمد، والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها))[5]، وقد قرأ الكسائي (ذُق أنّك أنتَ العزيزُ الكريمُ) بفتح (أنّك)، أي: لأنَّكَ قُلْتَ إنك أنت العزيز الكريم، وذلك لأنّه كان يقول: أنا أعزُّ أهلِ هذا الوادِي وَأَمْنَعُهمُ[6]، ولولا سياق الآية لما وصل الفهم إلى هذا المعنى.

وفي ختام هذا المبحث يُسجّل الباحث أهميّة السياق في تشكيل الفهم السليم للنّص القرآني، فالنّص قد يدلّ على المعنى المراد منه بمبناه أي دلالة الألفاظ على المعنى من خلال السّياق اللغوي الذي يرتبط بمعنى الكلمة في إطار الحديث أو النّص، وقد يدلّ على معناه بالاستعانة بعوامل محيطة به تكون خارج النّص غير أنّها تعمل في بنيته، وهو سياق المقام الذي يزيل اللبس

---

(1) سورة الدخان: ٤٨.٤٩.

(2) سورة الدخان: ٤٣. ٤٩.

(3) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٢٩.

(4) دلالة السياق: د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية . مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ : ١٤٠

(5) جامع البيان في تأويل القرآن: ٤٨/٢٢.

(6) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م: ٤/ ٤٢٨.

والغموض عن النّص؛ لأنّه هو العامل الاجتماعي أو السببي أو البيئي الذي يفهم به الخطاب ويحدد مقاصده، كالفضاء الزّماني والفضاء المكاني، والبيئة اللغوية التي أحاطت بالنّص.

الفصل الثاني

بلاغة التّركيب في الآيات الدّالة على الفساد والإفساد

- ❖ المبحث الأول: التّقديم والتّأخيـــر
- ❖ المبحث الثاني: التّعريف والتّنكير
- ❖ المبحث الثالث: الذِّكــر والــحذف

توطئة:

إنّ الاعتقادَ العميقَ بالعلاقةِ الرّاسخةِ بينَ القرآنِ الكريمِ واللغةِ العربيّةِ يُمهّدُ السّبيلَ للولوجِ في دراسةِ بعضِ مستوياتِ اللغةِ التي حواها كتابُ اللهِ العظيم الذي سيظلّ نوراً ومصدراً لكلِّ نورٍ، يُمدّ كلّ من تتلمذَ على يديهِ بالجديدِ، فمهما كتبَ الكاتبونَ وأبدعَ المبدعونَ فسيبقى الذي فاتهم من القرآنِ أعظم مما أخذوا ونهلوا.

ولقد نشأت علومُ البلاغة، وعلم المعاني على وجه الخصوص من رَحِمٍ دينيّ، وذلك في إطار الدّراسات القرآنيّة[١]، والبحث عن مسوّغات لمجموعة من الأساليب التي تقتضي تأويلاً أو تخريجاً؛ لخروجها عمّا يميّزها عن أشكال التراكيب المعياريّة القياسيّة، فإذا كان اللحن في النّطق والقراءة هو الباعث لوضع علم النّحو، فإنّ الحرص على فهم القرآن الكريم واستكشاف أسراره وسبر أغواره هو الدّاعي لوضع علم البلاغة، فيمكن القول أنّ البلاغيين بدأوا بعلم النّحو وانتهوا بعلم المعاني، وذلك يتبيّن في العلائق القائمة بين علمي النّحو والمعاني، فهما علمان يكمّل أحدهما الآخر، حتّى أنّ من العلماء كان يدعو إلى ضم أحدهما إلى الآخر، ويرى في الفصل بينهما إخلالاً بمنهج الدراسة اللغويّة[٢]، فالتركيبُ أهمّ مظهر لغويّ لإدراك طبيعة النّظام النّحوي في التّواصل اللساني الإنساني للناطق بلغة القرآن.

والجملة العربيّة تسير على وفقِ نسقٍ معيّنٍ في ترتيب مكوّناتها، ولكلِ عنصرٍ فيها رتبةٌ خاصّةٌ، وعلم المعاني هو علم القواعد المتعلّقة بأركانِ الجملةِ ومتعلّقاتها في اللغةِ العربيّةِ، فهو يبيّن كيف تُصاغ الجملة صياغة مثلى تتلائم ومقتضى الحال، ويبيّن الحالة التي ينبغي أنْ يكونَ عليها المُسند والمُسند إليه[٣]، فمتى يجب الذّكر ومتى يجب الحذف، ومتى يجب التقديم أو التأخير، أو التّعريف أو التّنكير.. وما إلى ذلك من المباحث.

وهذا ما سيدرسه الباحث في هذا الفصل إن شاء الله، فسيعرض لدراسة التّراكيب القرآنية في الآيات عيّنة الدّراسة، وتحليلها في ضوء علم التّركيب ـ المعاني ـ ومقتضيات مجيء تركيبها على

---

(١) ينظر: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: أ. د توفيق الفيل، (د ط)، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ت): ٣، وينظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم: الدكتور عمار ساسي، ط١، دار المعارف، البليدة، ٢٠٠٣م: ٩.
(٢) ينظر: الموجز في علوم البلاغة: مازن المبارك، (د ط)، دار الفكر ـ بيروت، (د ت): ١٢٠ـ ١٢١.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٩ـ١٢٠.

هذه الحال، وسيدرس ثلاثةَ أبوابٍ من أبوابِ علمِ المعاني: التّقديم والتّأخير، والتّعريف والتّنكير، والحذف والذّكر؛ لكثرة ورود هذه التّراكيب في الآيات عيّنة الدراسة.

المبحث الأول: التّقديـــم والتّأخيـــــر

تتألّف الجملة في العربيّة من ركنين أساسيين هما: المسند والمسند إليه، ولا تكون الجملة تامةً تركيبياً إلّا إذا حوت هذين العنصرين، ولا تظهر الفائدة إلا باجتماع هذين العنصرين[١]، وقد نصّ النّحويون على ذلك، قال سيبويه: ((هذا باب المُسند والمسند إليه وهما ما لا يغنى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلّم منه بُدّاً))[٢]، فأينما حلَّ المسند يلازمه المسند إليه، واللغة العربية في الأصل محكومة ببلاغة شعرية و كان لذلك أثرٌ واسعٌ في عدم التزام عناصر الجملة بترتيب مُعيّن، فالأساس ترتيبها حسب أنغام البيت لا حسب نظامها النّحوي وترتيبه، ومن أجل ذلك كانت عناصر الجملة العربيّة تتقدم و تتأخر في الشعر القديم دون نظام . وحاولَ النّحاة أنْ يضعوا لذلك قواعدَ دقيقة[٣]، ونظراً لاقتران التّقديم والتّأخير بالمعنى كان ذلك وسيلة للحكم على بلاغة القول وفصاحة الكلام.

وقد تناول النّحاة الأوائل مسألة التقديم والتأخير ـ الواجب منه والجائز ـ بالبحث، فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) حينما يعرض لمسألة التقديم والتأخير في كلام العرب يرى بعضه حسناً وبعضه قبيحاً، بيد أنّه لا يبيّن السّر البلاغي في التّقديم، وإنّما يكتفي بضرب الأمثلة لذلك، ويُعقّب عليه بأنّه عربيّ جيّد، في حين نرى سيبويه يلفت النّظر للسّر البلاغي الكامن في ظاهرة التقديم والتأخير، ويشير إلى أهميّته ودوره في المعنى[٤]، يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): ((فإن قدّمت المفعول وأخّرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضربَ زيداً عبدُ الله؛ لأنّك إنّما أردت به مؤخّراً ما أردّت به مقدّماً، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأوّل منه وإن كان مؤخّراً في اللفظ. فمن ثم كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مُقدّماً، وهو عربيّ جيّد كثير، كأنّهم (إنّما) يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يُهمّانِهم ويَعنيانِهم))[٥]،

---

(١) ينظر: أساليب بلاغية الفصاحة ـ البلاغة ـ المعاني: الدكتور أحمد مطلوب، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩ـ ١٩٨٠م: ١٣٢.

(٢) كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م: ٢٣/١.

(٣) ينظر: تجديد النحو: الدكتور شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، القاهرة، (د ت): ٤٦.

(٤) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي: د. عبد القادر حسين، (د ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م: ٥٩.

(٥) كتاب سيبويه: ٣٤/١.

فسيبويه يرى أنّ التقديم والتأخير وسيلة للاهتمام والعناية، أو إنَّه يأتي للتنبيه عليه فالمفعول من شأنه أنْ يتأخّر عن الفاعل، أمّا إذا تقدّمه فلأجل علّة قصدها المُتكلّم، وهي العناية به والاهتمام بشأنه.

وقد عُنيَ البلاغيّون بهذا الباب، فاعتنوا بالمعاني التي تنشأ عن التقديم والتأخير، فهو بابٌ تتبارى فيه الأساليب، وتظهر في مواهب المتكلّم وقدراته، وهو دليل على تمكّن المتكلّم في الفصاحة والبلاغة، وحسن تصرّفه في الكلام، ووضعه الوضع الذي يقتضيه[١]، قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ) عن ظاهرة التّقديم والتّأخير في البلاغة العربيّة: ((هو أحد أساليب البلاغة؛ فإنّهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم. وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق))[٢]، ولأهميّة باب التقديم والتأخير يقول شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ): ((هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفترُ لك عن بديعه، ويُفضي بك إلى لطيفه ... ثمّ تنظر فتجد سبب أنْ راقكَ ولطُف عندك، أنْ قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان))[٣]، والتقديم والتأخير من الأهميّة بمكان، فهذا ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) يقول عنه: ((ورأيتُ من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدّم، ولا يقضي له بالعلم، إلّا أن يكون في شعره التّقديم والتأخير))[٤].

ويُلاحظ أنّ البلاغيين قد زادوا على النّحاة في رتبة التقديم والتأخير أحكاماً بلاغيّة أخرى، لأنّ النّحاة إنّما قصروا أحكامهم على وجهين: أوّلهما تقديم على نيّة التأخير، كتقديم الخبر على المبتدأ في قولنا: منطلقٌ زيدٌ، فقُدّم الخبر (منطلق) على نيّة التأخير؛ لأنّ محلّه التأخير، أمّا الوجه الثاني الذي أثرّه النحاة فهو تقديم لا على نيّة التأخير، في حين إنّ البلاغيين ذهبوا إلى أنّ هذا التّقديم يصاحبه نقل الكلمة من حُكمٍ إلى حُكم، ومن وظيفةٍ نحويّةٍ إلى أخرى، ومن معناه القديم إلى معنى جديد آخر، وقد حملوا على النّحاة الأوائل أوجه التغافل وإهمال البحث في هذه الظاهره، وقللوا من شأن التّقسيم الذي ذهب إليه النّحاة[٥].

---

(١) ينظر: أساليب بلاغية: ١٦٨.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٣/٣.
(٣) دلائل الإعجاز: ١٠٦.
(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م: ٢٦١/١.
(٥) ينظر: رتبة التقديم في القرآن الكريم (بحث منشور): م. عبد الجواد البيضاني، مجلة المصباح، العدد:٤، شتاء (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م): ٣٠١.

فالتّقديم والتّأخير إذن من مظاهر النّظم بل هو لبّه وقَلبُه، فما النظم إلّا ترتيب الألفاظ في النّطق تبعاً لترتيب المعاني في النّفس، فقد يكون الكلام واحداً في مادّته وحروفه، ولكن تختلف صيغته وترتيب كلماته من شخص لآخر، بل عند الشخص الواحد إذا اختلف المعنى في نفسه، وهو ((مراعاة أحوال التّأليف، الذي يعني توخّي معاني النَّحو فيما بين الكَلِم))[١]، فهو من أهمّ أبواب علم المعاني، ومن أهمّ مسائل قضيّة (النّظم)، فهو يشكّل ((بؤرة مباحث الأسلوب الدائرة حول التّركيب))[٢].

ولهذه الظاهرة أهميّة خاصّة تستوحيها الواقعة الخطابيّة لتشويق السّامع، وإرواء حاجته للاستعلام عن أمرٍ أو موضوعٍ ما، فيكشف عن دقائق المعاني المختلجة في النّفس، وينجلي المستورُ من وراء الألفاظ، وهنا يبرز تأثير المتكلّم وقدرته على استثمار الكلام في التّعبير عن غرضه بأبلغ عبارة وأحسنها وأشدّها وقعاً في نفس المتلقّي[٣].

إنّ التّقديم والتّأخير يحدث طلباً لإظهار ترتيب المعاني في النّفس[٤]، وهذه المعاني إنّما تنكشف بالوقوف على دلالات التراكيب التي احتضنتها؛ ولاسيّما أنّ القرآن الكريم خطاب إلهي وكتاب لا يأتيه الباطل من بيد يديه ولا من خلفه، فهو معجز في كلّ شيء يحويه، حتى سكناته وحركاته، وكذا التقديم والتأخير فيه قد وضع في المحلّ الذي يستحقه التعبير، بحيث لا يناسبه إلّا الموضع الذي استقر فيه[٥].

أهميّة التّقديم وأسبابه:

إنّ ظاهرة تقديم بعض الألفاظ في أسلوب المشاهد القرآنية ظاهرة تلفت الأنظار، وللتقديم فائدة عظيمة قد لا توجدُ في التّأخير، فالتّقديم والتّأخير في أجزاء الكلام لا يأتي اعتباطاً، وإنّما يكون لغرض ومقصد بلاغيّ، فالألفاظ القرآنية تأخذ مكانها اللائق بها، بحيث لو غُيِّرَت الكلمة من مكانها اختلّ النّظام وتغيّر

---

(١) ري الظمآن في بيان القرآن: فهد بن عبد الله الحبيشي، (د ط)، دار ابن الجوزي، الرياض، (د ت):٤٠.

(٢) نظرية اللغة في النقد العربي: الدكتور عبد الحكيم راضي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م: ٢١٥، ومسوغات التقديم والتأخير في سورة البقرة (بحث منشور): د. هديل عبد الحليم داود، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد:٩، العدد:٤، ٢٠١٠م: ٢٠٥.

(٣) ينظر: لغة القرآن الكريم: الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م: ٣٣١.

(٤) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق (دراسات في ضوء علم اللغة المعاصر): الدكتور خليل أحمد عمايرة، ط١، عالم المعرفة، جدة ـ السعودية، ١٩٨٤م: ٨٨.

(٥) ينظر: التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط٤، دار عمار، عمان، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م:٥٣.

المعنى ولم يعد له الرّونق والسّبك الذي كان عليه، ((وإذا لم يُحقق التّقديم والتّأخير معنى من معاني الكلام ودلالاته عُدَّ ذلك من باب الغموض والتّعقيد الذي يُفقد النّص قيمته البلاغيّة))[١].

ونسوق لهذه الأهميّة أمثلة توّضّحها، من ذلك قوله تعالى عن مظهر من مظاهر فساد العقيدة، وهو العداء لملائكة الله تعالى، ووصفهم بما لا يُناسب مقامهم الشَّريف، قال عزّ من قائل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[٢]، فقدّم الباري عزّ وجلّ اللفظ الفاضل المُقدّس (لفظ الجلالة) على المَفضُول (الملائكة والرُّسل) بحسب رتبة الأهمّ فالمُهم، وجعل مزية النّظم في الآية الكريمة بأنّ الكافر يوجّه العِداءَ للهِ تعالى أوّلاً ثمّ لملائكته؛ كونهم يمثّلون امتداداً للخط الإلهي[٣].

وللغرض ذاته قُدّم القلبُ على السّمعِ والبصرِ في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤]، قال الشيخ الطّبرسي (رحمه الله): ((نزلت في المنافقين: وهم: عبد الله بن أبي سلول، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير، وأصحابهم، وأكثرهم من اليهود))[٥]، فقد قدّم المُسند (الجار والمجرور) على المُسند إليه (غشاوة)؛ لأنّ المُسند إليه نكرة محضة[٦]، وهذا التّقديم لشرف الإدراك، لأنّ الحواس خَدّمَةٌ للقلبِ، وموصّلة إليه، وهو موضع فكر الإنسان وأشرف شيءٍ فيه[٧]، ولأنّه مكان الهداية والضلال، فإذا خُتم على القلبِ حينئذٍ لا ينفعُ سمعٌ ولا بصرٌ، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٨]، وقد جاء في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((ألا وإنّ في الجَسدِ مضغةً إذا صَلُحت صَلُحَ الجسدُ كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب))[٩]، فهو دليل الإنسان وقائده إلى كلّ خير أو شر.

---

(١) التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية سورة البقرة نموذجا (رسالة ماجستير): بوكليخة فاطمة معمر، جامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة ـ كلية الآداب واللغات والفنون ـ قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م:١.
(٢) سورة البقرة: ٩٨.
(٣) ينظر: رتبة التقديم في القرآن الكريم: ٣١٢.
(٤) سورة البقرة: ٧.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦٠/١.
(٦) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م: ٢٣٠/١.
(٧) ينظر: البحر المحيط: ١٧٧/١. وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٦/١
(٨) سورة الحج: ٤٦.
(٩) بحار الأنوار: ٢٣/٥٨.

فالتّعبير القرآني تعبيرٌ مقصودٌ، وقد وُضِعت كلّ لفظةٍ فيه وضعاً فنيّاً مقصوداً، لذلك نجد القرآن يقدّم الكلمة تارةً ويؤخّرها تارةً أخرى حسب المقام والسّياق الذي يقتضيه النّص، فقد يكون سياق الكلام متدرّجاً حسب القدم والأوليّة في الوجود، فيرتّب الكلمات والألفاظ على هذا الأساس، فيبدأ بالأقدم فالأقدم، أو قد يكون الترتيب بالشّرف، فيبدأ بالأشرف ثمّ الشّريف، فالتّقديم والتّأخير يأتي لأسبابٍ[1]، منها: السَّبق بحسب القدم والأولية في الوجود، والتّعظيم وكمال القدرة، والسّببيّة، والرّتبة، وبحسب الكثرة والقلّة حيث يرتب المذكورات بالتدرّج من القلّة إلى الكثرة حسبما يقتضيه المقام، ومنها تقديم النَّفع على الضَّر أو الضَّر على النَّفع أو القلب على السّمع، أو المغفرة على الرحمة ... وغيرها من الأسباب التي لا يسع المقام لتفصيلها، ((وغالباً ما يكون العنصر المتقدّم بؤرة محوريّة في تشكيل الدّلالة، فيكون الانزياح التّركيبي لتأليف المعنى هو المقصود، وتتعاضد العناصر التّركيبيّة في مختلف مواقعها في إبرازه، ولهذا كثيراً ما يكون الخروج عن الرّتبة المحفوظة مقترناً بدلالة جديدة))[2]، الأمر الذي أدّى بالنّحاة القدماء أنْ يلتمسوا تسويغات لهذا الخروج عن مقتضى الأصل الدّلالي فوضعوا بذلك مبدأ (التّقدير)، أمّا البلاغيّون فراحوا يستشرفون المعاني والدّلالات الجديدة التي نتجت عن هذا الفن[3].

مظاهر التّقديم والتّأخير وأغراضهما:

من مظاهر هذا الفنّ الذي يُلحظ وجوده بكثرة في الآيات محلّ البحث، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[4]، فقدّم الحال (مِنْ قَوْمِهِ) على الصّفة (الَّذِينَ) والصّلة (كَفَرُوا)، ولو تأخّر لتوهِّم أنّه من صفة الدّنيا؛ لأنّها هاهنا اسم تفضيل؛ من الدُّنو، وليست اسماً، والدُّنو يتعدّى بـ (من)، وحينئذٍ يشتبه الأمر في القائلين أنّهم أهُم: من قومهِ أم لا؟ فقدِّم لاشتمال التّأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود؛ وهو كون القائلين من قومه[5]، وحين أمِنَ هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٣٣/٣ وما بعدها.
(2) التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية سورة البقرة نموذجا: ٢.
(3) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(4) سورة المؤمنون: ٣٣.
(5) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٣٨/١-٢٣٩.

مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[١]، بتأخير المجرور عن صفة المرفوع[٢]، وقد نزلت هذه الآية في قوم ثمود، الذين بعث الله لهم النبي صالح (عليه السلام)[٣]، والقرآن الكريم يحدّثنا عن مفاسد هؤلاء الملأ الذين يملأ ظاهرهم العيون، إلّا أنّ باطنهم خاوٍ وفارغ، فهم يحتجّون على بشرية الأنبياء، ويزعمون أنْ لا فارق بينهم وبين أنبيائهم كونهم من البشر أيضاً، وكان سبب فسادهم الذي شخّصه القرآن الكريم هو التّرف، والرّفاهية المطلقة.

وقوله تعالى عن لسان هؤلاء المكذّبين أنفسهم، وفي السياق ذاته: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٤]، فقدّم الباري عزّ وجلّ الموت على الحياة، والمعلوم أنّ الحياة تكون قبل الموت، والموت يأتي بعد الحياة، إلّا أنّ هذا التّقديم جاء لغرض مراعاة الجانب الصّوتي ومناسبة رؤوس الآي[٥]، وقد أضيف إلى مفاسدهم العقديّة تكذيبهم بالبعث وإنكارهم له، فهم يزعمون أنْ لا بعث بعد الموت، ليُبرروا بذلك أعمالهم الفاسدة، ويُقنعوا أنفسهم بعدم وجود الحساب بعد الموت.

ومن فساد الاعتقاد أنْ يجعلَ الإنسانُ شريكاً لله من خلقه، قال تعالى عن بعض من يشرك بالله فيجعل الجنّ أنداداً لله، وينسب له البنين والبنات: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٦]، فقد قدّم الجار والمجرور(لفظ الجلالة) على المفعول الأوّل (شركاءَ)؛ لأنّ الإنكارَ متوجّه إلى هذا الجعل ـ الجعل لله ـ وليس إلى مطلق الجعل[٧]، فهو جعلٌ فاسدٌ بالطبع، والأصل في القول (الجنَّ شُركاءَ) فقدّم المفعول الثاني (شركاءَ) على المفعول الأوّل (الجنَّ)؛ لإرادة التّبكيت والتعجّب من حال المذكور، والتّوبيخ لهم، وتقديم الشركاءِ عليهم أبلغ في حصولهِ[٨]، والشّرك أعظم الذّنوب كما وصفه الباري عزّ وجل عن لسان لقمان الحكيم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

(١) سورة المؤمنون: ٢٤.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٤/٣.
(٣) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٢٢
(٤) سورة المؤمنون: ٣٧.
(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٤٤.
(٦) سورة الأنعام: ١٠٠.
(٧) ينظر: سورة البقرة دراسة أسلوبية بلاغيّة (اطروحة دكتوراه): صدقية عوض فلاح الطراونه، جامعة مؤتة ـ عمادة الدراسات العليا، ٢٠١٠م: ١٤٩.
(٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٣/ ٢٣٦.

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[2]، وهو محبطة ومحرقة لعمل الإنسان.

وفي سياق الشِّرك يقول ربُّنا عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[3]، نزلت هذه الآية في الزّنادقة الذين قالوا: إنّ الله عزّ وجلّ وإبليس أخوان، والله تعالى هو خالق الناس والدّواب والأنعام، أمّا إبليس فخالق الحيّات والعقارب والسّباع[4]، وقد قُدِّمَ ذِكر المُحدَّث عنه بالفعل، فهو آكد لإثبات ذلك الفعل له، وليس إعلامك الشيء بغتة غفلاً، مثل إعلامك له بعد التّنبيه عليه والتّقدمة له، لأنّ ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التّأكيد والإحكام[5]، فلو قيل في غير القرآن: (واتخذوا آلهة من دونه) ما أدّى هذا المعنى ـ التّوكيد ـ.

وقوله تعالى استنكاراً على الذين ينسبون لله تعالى ما يجلّ عنه، بأن يجعلوا له بناتاً:﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾[6]، وهو قول بعض قريش بأنّ الملائكة هم بنات الله[7] تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، فتقديم الذَّكر على الأنثى في هذا الموضع القرآني يُحقق غرض التَّهكُّم؛ كون العرب تعتزُّ بالذَّكَر وتُقدّمهُ على الأنثى، وفيه إشارةٌ من طرفٍ خفيّ إلى فعلهم المُشِين في وأدهم البنات، وأمّا تقديم الإناث على الذكور في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[8]، فلعلّه لجبرهنَّ، ((إذ هُنَّ موضع الانكسار، ولهذا جبر الذكور بالتعريف، للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التّقديم))[9]، أو لمراعاة الفاصلة.

ومن المفاسد الاقتصاديّة التي تؤدّي إلى الإضرار بالمجتمع، ونشوء الطّبقات الاجتماعيّة وتفاوتها، أكل أموال النّاس بالباطل، واحتكار هذه الأموال وجمعها، وعدم إنفاقها في سبيل الله، وعدم إيتاء ما كَتَبَ اللهُ من حقوقٍ عليها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ

(1) سورة لقمان: ١٣.
(2) سورة النساء: ٤٨.
(3) سورة الفرقان: ٣.
(4) ينظر: أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، ط١، دار الميمان، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م: ٣٧٦.
(5) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٣١ـ١٣٢.
(6) سورة النجم: ٢١.
(7) ينظر: تفسير القمي: ٣٣٨/٢.
(8) سورة الشورى: ٤٩.
(9) البرهان في علوم القرآن:٢٥٢/٣.

بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، فقد قدّم الباري عزّ وجل (الذّهب) على (الفضّة) لشرفه وأفضليّته[2]، ولأنّ القوةّ الماليّة للذهب تفوق قوّة الفضّة الماليّة، فيكون الفساد الناتج عن أخذه أكبر من فساد أخذ الفضّة، وهذه الآية على سبيل نهي المسلمين عن التّشبّه بأفعال علماء اليهود، ويمكن أن يكون الغرض لتخصيص اكتناز الذّهب بالعقوبةِ المذكورة.

وقوله تعالى في ذات السّياق: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[3]، نزلت في العلماء وقُرّاء أهل الكتاب الذين كانوا يأخذون الرُّشا من سفْلَتهم[4]، فقدم الجباه ثم الجنوب ثم الظهور؛ ((لأنّهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمّهم وإيّاه مجلس ازورّوا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم))[5]، فتدرّج من الجباه إلى الجنوب إلى الظهور بحسب الرّتبة، ولكون الجبهة من أشرف الموضع في جسم الإنسان؛ لذلك خصّها الله تعالى بالعذاب ابتداءً.

وقوله تعالى في حديث القرآن عن المنّ بالصّدقات وإخراجها من أجل الرّياء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[6]، أمّا في الحديث عن الكافرين وأعمالهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[7]، فتقدم في الآية لفظ (الشيءَ) وتأخَّرَ (الكسبَ) في سورة البقرة، وفي سورة إبراهيم قدّم (الكسبَ) وأخّر (الشيءَ)؛ ((لأنّ آية البقرة في سياق الإنفاق والصّدقة والمنفقُ معطٍ وليس كاسباً، لذلك أخّر الكسب، أمّا في سورة إبراهيم فالآية في سياق العمل والعاملُ كاسبٌ، لذلك قدّم الكسب))[8]، فالله تبارك اسمه ينهى عن هذا النّوع من الإنفاق ـ وسيأتي تفصيل الآية والمراد منها في مبحث التّصوير في الفصل الثالث إن شاء الله.

---

(1) سورة التوبة: ٣٤.
(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢٥٨/٣.
(3) سورة التوبة: ٣٥.
(4) ينظر: أسباب نزول القرآن: ٤١٠.
(5) الكشاف: ٤١/٣.
(6) سورة البقرة: ٢٦٤.
(7) سورة إبراهيم: ١٨.
(8) سورة البقرة دراسة أسلوبية بلاغية: ١٥٢.

ومن الفساد الاقتصادي السّرقة أيضاً، فهي مصادرة لجهود الآخرين، وقد وضع الشّارع المقدّس عقوبة بإزاء هذه الجريمة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] فقد قُدّم السّارق على السّارقة؛ لكثرة وقوع السّرقة من الرّجال، وقلّتها من النّساء، ولكون الرّجل عليها أجرأ، وهو عليها أقدر، فعادة ما يكون اللصوص من الرّجال دون النّساء؛ ذلك لأنّ خروج الرّجال أكثر من خروج النّساء، وهذا ما حدده الشّارع المُقدّس وخصَّ به المرأة دون غيرها؛ لكي يحافظ عليها ويصونها، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[2]، ومنه تقديم الزانية على الزاني في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] فقدّم الزّانية على الزّاني؛ لأنّ الزّنى فيها أكثر، فهي المادّة الأولى للخيانة، ولو أنّها لم تُطمع الرّجل وتمكّنه، لم يطمع ولم يتمكّن، ولأنّ الزنى من المرأة أقبح، وجرمه أشنع[4]، فجعل هذه العقوبة بإزاء جريمة الزّنى؛ لما فيه من الفساد، وقتل الأنفس، وذهب الأنساب، وفساد المواريث إلى غير ذلك من مظاهر الفساد[5].

وقد يأتي التّقديم بالمرتبة، كقوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[6]، مشّاء: صيغة مبالغة من الفعل (مشى)، أي: كثير المشي، والهمّاز: أيضاً صيغة مبالغة من الفعل (همز)، والهمز: أخذ الغيبة واستقصاء عيوب الآخرين[7]، وتقديم الهمز على النّميمة تقديم بالمرتبة، ((فبدأ بالهمّاز وهو الذي يعيب الناس ويأخذ غيبتهم وهذا لا يفتقر إلى مشي ولا حركة، ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو المشي بالنميمة، ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو أنه يمنع الخير عن الآخرين، وهذه مرتبة أبعد في الإيذاء مما تقدمها، ثم انتقل إلى مرتبة أخرى أبعد مما قبلها وهو الاعتداء، فإنّ منع الخير قد لا يصحبه اعتداء، أما العدوان فهو مرتبة أشد في الإيذاء، ثم ختمها بقوله تعالى: (أثيم) وهو وصف جامع الأنواع

---

(1) سورة المائدة: ٣٨.
(2) سورة الأحزاب: جزء من الآية: ٣٣.
(3) سورة النور: ٢.
(4) ينظر: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ط٤، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م:٢٣/٢.
(5) ينظر: علل الشرائع: العلامة الشيخ الصّدوق، ط١، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ٤٦٩.
(6) سورة القلم: ١١-١٢.
(7) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٩٣/١٤.

الشرور، فهي مرتبة أخرى أشد إيذاء))[١]، وهذه الصّفات جميعها من المفاسد الأخلاقيّة، والأمراض التي تصيب قلب الإنسان، ولا شكّ أنّ مرضَ القلبِ أشدّ تعقيداً من مرض البدن.

أو قد يكون للسّببيّة، كقوله تعالى:﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٢] تقديماً للمُسبب على السَّبب، أو العلّة على المعلول؛ وذلك لأنّ الإفك سببُ الإثم، والأفّاك: صيغة مبالغة: كثير الكذب، وقد تُقال لمن يكذب كذبة عظيمة، والأثيم صيغة مبالغة أيضاً، أي: المُجرم العاصي كثير الإثم[٣]، وكذا التّقديم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[٤]، للسبب نفسه؛ لأنّ الاعتداء من أسباب الإثم[٥].

وقوله تعالى في سياق الاستفهام الإنكاري من قبل نبي الله إبراهيم (عليه السلام) على أبيه وقومه: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾[٦]، فقد قدّم رتبة المفعول لأجله، ثمّ المفعول به الموصوف بشبه الجملة، ثمّ الفعل والفاعل، فقد ترتّبت الكلمات في عبارة الاستفهام الإنكاري بحسب الأولويّة في استحقاق الإنكار، وأولى الألفاظ بالتقديم في سبك الآية المقدّسة هو الإشراك بالخالق جلّ وعلا؛ لأنّه انحراف متعمّد عن الحقّ، ثمّ يلي ذلك الكفر والنّكران، ولو كان ترتيب العبارة في غير القرآن الكريم (أتريدون آلهة دون الله إفكا)، وحينها ينطفأ كلّ ما في الكلام من حرارة الإنكار[٧].

وقوله تعالى في بيان مصير الذين ينصبون العداوة للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ويحاربون من خلال إفساد المجتمع الذي يسعى لإصلاحه وبنائه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٨]، فالآية على التّرتيب لا التّخيير[٩]، فقد قدّم الباري عزّ وجلّ العقوبة الأغلظ وهي القتل، وتدرّج بالعقوبات الأخف بعد ذلك.

---

(١) التعبير القرآني: ٥٦.
(٢) سورة الجاثية: ٧.
(٣) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٢٧/١٣ـ٤٢٨.
(٤) سورة المطففين: ١٢.
(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢٤٧/٣.
(٦) سورة الصافات:٨٦.
(٧) ينظر: رتبة التقديم في القرآن الكريم: ٣٠٥
(٨) سورة المائدة: ٣٣.
(٩) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢٧٤/٣.

وقد ورد التّقديم للتعجّب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[1]، والإفساد في الأرض هنا: الكفر وموالاة أهله، وتفريق النّاس عن الإيمان بالنبي (صلى الله عليه وآله) والقرآن الكريم[2]، فقد تقدّم الجار والمجرور (في الأرض) على الجملة الفعلية (قالوا)؛ لأنّه محلّ التّعجّب من حالهم[3]، فالمنافقون الذين وُجِّه الخطاب إليهم برّءوا أنفسهم من الفساد بقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؛ وذلك لفرط غرورهم، وهذا شأن كل مفسدٍ يزعمُ فساده إصلاحاً.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[4]، فقد تقدّم الخبر (مَانِعَتُهُمْ) على المُبتدأ (حُصُونُهُمْ)، والتّقدير: ظنوا أنّ حصونهم مانعتهم من بأس الله، ولو جاءت على التّرتيب الصّحيح؛ لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إيّاهم[5]، فأفاد هذا التّقديم دلالة الاختصاص، فكأنّه لا حصن أمنع من حصونهم، وهو دليل على الإفراط في اعتقادهم لحصانتها، ومبالغة في شدّة وثوقهم بمنعها إيّاهم، فهم لا يبالون بأحد معها[6].

وفي قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[7]، وأصل الكلام (اتخذ هواه إلهه)، كما تقول: اتخذ الصنم معبوداً، لكن قدّم المفعول الثاني (إِلَهَهُ) على المفعول الأوّل (هَوَاهُ)؛ للعناية، كما تقول: علمتُ منطلقا زيداً، لفضل عنايتك بانطلاقه[8]، أي أنّ الهوى هو من يتملّكهم حتّى يُصبح إلهاً لهم من دون الله.

---

(1) سورة البقرة: ١١.
(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٦/١.
(3) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٣/١
(4) سورة الحشر: ٢.
(5) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢٧٦/٣.
(6) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥ هـ: ١٤/ ٢٣٤، وينظر: أساليب المعاني في البيان: ١٨٢.١٨١.
(7) سورة الفرقان: ٤٣.
(8) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٧٧/٣.

وقوله تعالى مُحدثاً عن الكافرين الذين يصدّون النّاسَ عن الإيمان بالله تعالى من خلال التّغرير بهم، وإيقاعهم في الغلط، وعد إيمانهم بالبعث والمعاد: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[١]، فقدم الجار والمجرور (بالآخرة) على (خبرِ هُم الأولى)؛ لمّا كان تكذيبهم لها شديداً، وأعاد الضمير (هُم) تأكيداً لتعيينهم وإثبات غاية الفساد[٢]، ولتأكيد كفرهم وتخصيصهم به، حتّى ((كأنَّ كُفر غيرهم بها ليس بكفرٍ في جنبه))[٣].

وفي سياق الإصلاح والنّهي عن الفساد، قال تعالى عن لسان نبي الله شعيب (عليه السلام): ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤]، فالآية قد حوت نهياً يتضمّنُ الأمرَ بالإيفاء، وأمراً يتضمّن معنى النّهي عن إنقاص الميزان والمكيال، وقد قُدّم النّهي على الأمر؛ لأنّ درأ المفاسد أولى من جلب المنافع والمصالح[٥]، فإذا تعارضت مفسدة ما مع مصلحة فإنَّ المُقدّم شرعاً هو دفع المفسدة؛ لما يترتّب على هذه المفسدة من الأضرار.

وفي نهاية هذا المبحث نخلص إلى أنّ هذا الأسلوب لا يزالُ يخرج للمُتلقّي الدُّرر والمعاني البديعة التي لا منتهى لجمالها وقصديّتها، فضلاً عن انفتاح النّص القرآني وعُمق بلاغته، وأنّ التّركيب الجُملي للنّص القرآنيّ يحمل إشعاعات دلاليّة معنويّة تتكشف أمام المتلقّي عن طريق تقديم بعض الألفاظ وتأخير بعضها الآخر، فهذه الظاهرة تشكّل إحدى أساليب القرآن الكريم البلاغية المعجزة، وهي من تجلّيات القصديّة القرآنيّة، إذ إنّ الألفاظ في النّص القرآنيّ المبارك لم توضع اعتباطاً، وإنّما وضعت لأجل غاياتٍ يقتضيها المقامُ والسّياق، وقد اتضحت بعض تلك الغايات من خلال البحث المتقدّم، وأنّ مما يعين على استجلاء غايات ولطائف هذا الفن الإلمام بقواعد اللغة العربيّة، فهي تشكّل أساس وأصل هذا الفن.

---

(١) سورة هود:١٩.
(٢) ينظر: أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة بلاغية في سورتي هود وطه (بحث منشور): محمد الصالح بوضياف، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد٣، العدد٦، ٢٠٢٠م: ٩٢.
(٣) روح المعاني: ٢٣٢/٦.
(٤) سورة الأعراف: ٨٥.
(٥) ينظر: أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة بلاغية في سورتي هود وطه: ٩٤.

المبحث الثاني: التّعريـف والتّنكيـر

التّعريف والتّنكير من الأساليب التي أولاها النّحويّون والبلاغيّون عناية بالغة، ولكلّ منهما مقامٌ لا يليق إلّا به في النّظم القرآني[١]، وهما من الظّواهر السّياقيّة التي تقتضيها أحوال المخاطَبِين، ويقصدها المتكلّم لأغراضٍ ومعانٍ في نفسه، فَيُعرّف ما يُعرّف لغايةٍ ومقصد، ويُنكّر ما يُنكّر لمقصدٍ وغايةٍ أيضاً، فلكلّ منهما سياقٌ ومقامٌ يقتضيه، وفيما يلي ستبحث الدّراسة هذه الظّاهرة وتبيّن الدّلالات المقصودة في كلّ من التعريف والتنكير.

١ـ التّعريف

لغة: يعودُ إلى الجذر الثلاثي (عرفَ)، يُقال: عَرفه، يعرفه، عرفةً وعرفاناً ومعرفةً، عرّفه الأمر: أعلمه إيّاه، وعرّفه: بيّنه، وعرّف الشيء عرفاناً ومعرفةً: أدركه بحاسّة من حواسّه، والعرف ضدّ النّكر، وهو ما تعرفه النّفس من الخبر[٢]، والمعرفة في الأصل مصدر (عرفت الشيء أعرفه معرفةً وعرفاناً)[٣]، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[٤]، وقال عزّ من قائل: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[٥]، من خلال ما تقدّم يظهر أنّ المدلول اللغوي للتعريف هو المعرفة بالشيء وإدراكه.

أمّا في الاصطلاح: فقد ذهب النّحويون إلى أنَّ المعرفةَ: هي ((ما وُضعَ ليدلَّ على شيءٍ بعينه))[٦]، أي ما دلّت على شيءٍ معيّنٍ في الواقع الخارجي، كقولنا: محمد، وعلي، وغيرهما من المعارف، والمعارف أنواع: منها ما يكون بالألف واللام، والإشارة، والموصول، وبالإضافة إلى أحد المعارف، وبالضمير[٧].

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م: ٤٠٥.
(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (عرف):١٥٣/٩.
(٣) ينظر: العين، مادة (عرف): ١٣٥/٣.
(٤) سورة يوسف: ٥٨.
(٥) سورة الرحمن:٤١.
(٦) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: محمد بن الحسن الرضي الإستربادي (ت ٦٨٨هـ)، دراسة وتعليق: يحيى بشير مصري، ط١، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م: ٤٩١/١.
، وجامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، ط٣٦، المكتبة العربية، صيدا ـ لبنان، ١٩٩٩م: ١٥٠.
(٧) ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ٤٩١/١.

وقد وردت الآليّتان ـ التعريف والتنكير ـ معاً في آيات الكتاب العزيز؛ وذلك لبيان الوظيفة التي تُخفي معانيَ كثيرةٍ تُغيّر من فصاحة الكلام وبلاغته، وما لهذه الظاهرة من وظيفة عظيمة تؤدّيها، تكمن في إبراز تلك القيم الفنيّة والجماليّة التي تُفضي إلى معانيَ عميقةٍ تُظهر عظمة هذا الكتاب الكريم، كما تُسهم في إبراز بعض جوانب الإعجاز البياني في النّص القرآني المبارك، وما يتوارى خلف كلماته العظيمة من دلالات جديدة تخفى على قارئ القرآن، كما تتقاصر أمامها أساليب الفصحاء والبلغاء، وتتحدّى من يتجاهلها من أعداء الإسلام، فمجيء بعض الألفاظ معرّفة، وبعضها نكرة في القرآن الكريم ليس وليد الصّدفة، إنّما هي ظاهرة مقصودة في كلّ موضع، وإنَّ لِتدبّر الآيةِ في سياقها الكامل أهميّة كبيرة، تقود إلى معرفة الحكمة والغاية من ذلك التّعريف أو التّنكير. وفيما يلي ستتناول الدراسة بعض دلالات التعريف في الآيات محلّ الدراسة.

أ- التعريف بالضمير

قد يأتي التّعريف بالضمير ليفضي إلى دلالات مقصود، ومن التّعريف بالضمير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]، فقد تكرر ضمير المخاطَب مرات عديدة في الآية المباركة، نحو: (بِكَ، لِيُثْبِتُوكَ، يَقْتُلُوكَ، يُخْرِجُوكَ) والمعلوم أنّ المخاطَب في جميع هذه الضمائر هو الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لتحذيره من مكر هؤلاء المنافقين، وهم كُبّار وسادة المشركين من قريش، الذين كانوا يخططون لاغتيال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والقضاء على رسالته التي تهدد مصالحهم، ومن الجدير بالذّكر أنّ الأساليب التي أشارت لها الآية المباركة، وهي (السّجن، القتل، النّفي) ليست مقتصرة ومختصّة بهؤلاء المشركين في مواجهة دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) فكلّ الطّغاة والمستكبرين يلجأون إلى مثل هذه الأساليب للقضاء على المصلحين وتكميم أفواههم[2]، فجاءت هذه الضمائر لبيان حقيقة هؤلاء وما يدبّرونه ويخططون له من مؤامرات للقضاء على هذا الدِّين الجديد.

(1) سورة الأنفال: ٣٠.
(2) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٦/٩/٥.

ومنه قوله تعالى في ذات السياق: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[1]، وهذه الآية المباركة تتناول حقيقة ردّ (الملأ) المستكبرين من مشركي قريش حين نزول الذّكر الحكيم، وقد أدهشهم نظم القرآن، وراقهم أسلوبه، وانبهروا ببلاغته وفصاحته، وهم أرباب الفصاحة والبيان، وأخذ بعض منهم يلين قلبه لهذا الدين، إلّا أنّ عزّة الجاهليّة، وأنفتهم وكبريائهم، والخوف من خسارة مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية كان السبب وراء جحد هذه الرّسالة، ومحاربتهم للإسلام، فكانوا عند سماعهم للقرآن يقللون من شأنه ويستهزئون به، ولا يملكون إلّا أن ينعتوه بالأساطير والأكاذيب، وقد جِيئ بالضمير لإظهار حالة التّعصب والعناد عند هؤلاء المعاندين، وذلك عن طريق الإعلاء من شأن المخاطِب، والحطِّ من شأن المُخاطَب[2]، والملاحظ أنّ ذكر الضمير كان لأجل المبالغة في التعصب والعناد، وكان وراء ذكر اسم الإشارة (هذا) الدّال على القرآن الكريم التقليل والتحقير من شأنه ونظمه، ويلاحظ في هذه الآية وجود أكثر من ضمير للمتكلم (سمعنا، نشاء، لقلنا،) ولعلّ سبب ورودها لبيان حال وحقيقة هؤلاء المعاندين، فتكلمت بلسانهم، وأشارت لهم بالتحديد دون غيرهم؛ لتفضحهم، وتظهر الكفر الذي تجذّر في نفوسهم، والعناد الذي تغلغل في أعماقهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3]، فالآية المباركة تنعى وتشنّع على اليهود مفاسدهم المتوارثة، فهم لم يكتفوا بتحريف ما في شرعِهم ومنه صفة النّبي (صلّى الله عليه وآله)، بل إنّهم يجاهرون بالعناد والمعصية، وذلك بقولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك[4]، معبّرين بذلك عن تبجّحهم وما انطوت عليه أنفسهم وسرائرهم بالضمير

(1) سورة الأنفال: ٣١.
(2) ينظر: دلالة التعريف والتنكير في القرآن الكريم (آيات التعصب والعناد إنموذجا) (بحث منشور): أ.م.د . عزيز سليم علي القريشي، والباحث: عباس يونس حمزة، مجلة كلية التربية، العدد٣١، ٢٠١٨م:١٥٣.
(3) سورة النساء: ٤٦.
(4) ينظر: البحر المحيط: ٣٦٣/٣.

(نا) الدّال على المتكلّمين، وهذا شاهد على جرمهم الجماعي، وتحامي بعضهم ببعض وشدّ بعضهم أزر بعض في محاربة الدّين وعصيان الأوامر الإلهيّة[١].

ب ـ التعريف باسم الإشارة

اسم الإشارة مُبهمُ الذّات يعين مدلوله تعييناً مقروناً إمّا بالإشارة الحسيّة أو بالصفة[٢]، فيأتي اسم الإشارة بمعانٍ تتوضّح من خلال النّظر إلى السّياق والمقام الوارد فيها، فقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾[٣]، فتعبيرهم عنه (صلّى الله عليه وآله) بقولهم: (هذا الرّسول) مع كونهم مكذّبين لرسالته يخرج إلى التّهكّم والاستهزاء[٤].

وهذا الأسلوب من التّعريف باسم الإشارة يُلحظ وجوده بكثرة في النّص القرآني المبارك، ومنه قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[٥]، فهذه الآية الشريفة بمجملها وفي سياقها العام توضّح موقف المشركين وهم ينذرون باقتراب يوم القيامة، والمؤدي إلى اقتراب حسابهم، وإنّ((أحد أسباب شقاء الجهلة والمتكبّرين هو اتخاذهم النّصائح ومواعظ الأخيار لهواً ولعباً دائماً، وهذا هو السّبب في عدم تنبههم من غفلتهم، في حين أنّهم لو تعاملوا بصورة جدّية مع تلك النصائح ولو مرة واحدة، ربّما تغير مسير حياتهم في تلك اللحظة!))[٦]، فالتعريف باسم الإشارة (هذا) المشار به إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد دلّ على الإنكار والتقليل من شخص ومقام النّبي (صلى الله عليه وآله)؛ فهم لم يصرّحوا باسمه، وما يزيد من هذا الإنكار هو ورود الاستفهام بـ (هل) التي سبقت المعنى المتقدم وزادت في أبعاده[٧]، فقد اتهموه (حاشاه) بالسّحر في هذا الموضع، واتهموه بأنّه مفترٍ وشاعر في الآيات التي

(١) ينظر: سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية (اطروحة دكتوراه): خديجة محمد أحمد البناتي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية ـ قسم الدراسات العليا، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م: ٥٢.
(٢) ينظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ١٨٥/١، وينظر: النحو الوافي: عباس حسن، ط٥، دار المعارف، مصر، (د ت): ٣٢١.
(٣) سورة الفرقان: ٧.
(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٨٣/١٥.
(٥) سورة الأنبياء: ٣.
(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٩٦/١٥/٨.
(٧) ينظر: دلالة التعريف والتنكير في القرآن الكريم (آيات التعصب والعناد إنموذجا):١٥٦.

تلي هذه الآية، وكل هذه الاتهامات والادعاءات دليل على عجز هؤلاء عن مواجهة القرآن الكريم ودين الإسلام بالعقل والمنطق، فهذا غاية جهدهم!.

ويُسهم اسم الإشارة في تمييز المشار إليه وإحضاره في ذهن السّامع، ليكون أكثر تصوّراً له، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[1]، فقد جاء التعريف باسم الإشارة لغرض تحقير[2] من تحدث عنهم القرآن، وقد كررت اللعنة في الآية المباركة تأكيداً لذمّهم وتحقيرهم.

وقد يأتي التّعريف باسم الإشارة دلالة على التّشريف، ومنه قوله تعالى في آية مباركة يبيّن فيها بعض صفات أهل الآخرة: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، فقوله عزّ من قائل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ وقد أشار إلى الآخرة ((بلفظ البعيد للدّلالة على شرفها وبهائها وعلوّ مكانتها وهو الشاهد على أنّ المراد بها الدار الآخرة السعيدة ولذا فسّروها بالجنة))[4]، وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[5]، فقد خصص الله تعالى الدار الآخرة للذين لا يستكبرون ولا يتكبّرون، ولا يفسدون على وجه هذه الأرض. فالتعريف ((بالإشارة وأدواته تحمل خصائص متفردة بالدلالة، ويغدو أسلوباً بلاغياً ممتعاً، في القرب والبعد والمتوسط ترتيباً وغاية؛ ونرى أنّ كلّ أداة قد تستعمل استعمالات شتّى؛ والسيّاق هو الفيصل والحكم الذي يحدد ذلك كلّه))[6]، فقد لاحظنا أنّ التّعبير باسم الإشارة يحمل دلالات عديدة، وقد تقدّم الحديث عن بعض هذه الدلالات، فقد يراد من التّعريف باسم الإشارة التّحقير، أو التّشريف، وقد يراد منه التّوبيخ أو التّعريض، إلى جانب الدلالات الأخرى.

---

(1) سورة البقرة: ١٥٩.

(2) ينظر: سورة البقرة دراسة أسلوبية بلاغية: ١٨٣.

(3) سورة القصص: ٨٣.

(4) الميزان في تفسير القرآن: ٨١/١٦.

(5) سورة يونس: ١.

(6) الجامع في علم المعاني: الأستاذ الدكتور جاسم عبد الواحد راهي، ط١، دار أبو طالب، النجف ـ العراق، ٢٠١٩م: ٢٧٠.

ت ـ التعريف بالاسم الموصول

الأسماء الموصولة مُبهمة، ولذا فهي ((تفتقر إلى صِلاتٍ تبيّنها وتوضّحها؛ لأنّها لا تُفهم معانيها بأنفسها))[١]، والاسم الموصول إمّا أن يكون اسماً خاصّاً، أي يدلّ على مفردٍ أو مثنى أو جمع، تذكيراً وتأنيثاً، وهي (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللائي، اللاتي)، أو أن يكون اسماً مشتركاً، وهو الذي لا يختص بنوعٍ معيّن، وإنّما يصلح للأنواع كلّها، وهي (أي، مَن، ما)، وللموصول صلةٌ، ولا موصول دون صلة؛ لأنّه مناط الحكم، وموضع الاهتمام.

فقد يُعرّفُ المُسند إليه بالموصوليّة، وذلك في نحو قوله تعالى في الحديث عن قوم الطّاغية فرعون وعذابهم: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[٢]، أي: الذي غشيهم، لأنّ (ما) هنا موصولة بمعنى (الذي)، وفي قوله تعالى: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ دلالة على التفخيم والتعظيم والتهويل لهذا العذاب[٣]، فقد غشيهم شيء كبير وأمر عظيم، وعلاهم وغمرهم من الأمر الهائل الذي ليس في طوقهم احتماله ما لا يمكن ادراك كنهه ولا سبر غوره، وهذه من جوامع الكلم التي يقل لفظها ويتشعب القول في معناها[٤]، فبهذا الأسلوب ترك الخيال يسبح ويغوص ليتأمّل ويتصوّر شدّة هذا العذاب، ويتفكَّر بنوع هذا العذاب، وذلك على عكس لو قيل في غير القرآن: فغشيهم من اليمّ كذا وكذا من ألوان العذاب، لانتفى هذا الغرض الذي سيق إليه التّنكير.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٥]، فقد عرّف امرأة العزيز بالموصول (التي)، وهو ((مسوق لتنزيه نبي الله يوسف (عليه السلام) عن الفحشاء))[٦]، ولم يُصرّح باسمها، ولعلّ ذلك راجع لصيانة شرفها واسمها وعدم شيوعه على ألسنة النّاس. لهذا عرّف البلاغيّون الاسم

---

(١) أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد بهجت البيطار، (د ط)، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، (د ت): ١٩٠.
(٢) سورة طه: ٧٨.
(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٣/٧ ، وينظر: الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه:٣٩٩/١٦/٨.
(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٧٠٩/١٦/٤.
(٥) سورة يوسف: ٢٣.
(٦) الجامع في علم العاني: ٢٧١.

الموصول بأنّه ما وُضعَ لأمرٍ مخصوصٍ بوساطة أداة، ويدلُّ على مُعيّن عن طريق جملة تأتي بعد الأداة تكشف المعنى لدى المُتلقّي[١].

ث ـ التعريف بـ (ال)

يُعرّف الاسم بدخول (ال) التعريف عليه، وهي تؤدّي في التّركيب شحنة عاطفيّة لا تكاد تُرى في الاسم النّكرة[٢]، والألف واللام المعرفة تكون: للعهد، ولاستغراق الجنس[٣]، فمثال التي للعهد، قول القائل: لقيت رجلاً فأكرمتُ الرّجل، ومثال التي لاستغراق الجنس قوله تعالى:﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٤]، فالمقصود بالآية جنس الإنسان، إلّا ما استثناه في الآية المباركة التي تليها.

ومن التّعريف بـ (ال) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾[٥]، فقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ فيه دلالة على علّة الكفر، فهم كافرون لفسقهم، ولا يبعد أن يكون اللام في قوله تعالى: (الفاسقون) للعهد الذّكري؛ إذ إنَّ فيها إشارة لقوله تعالى في أوائل السورة[٦]:﴿..وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٧].

ومن الفساد العقدي إنكار الإنسان ليوم البعث، وهذا الإنكار مدعاة لعدم العمل؛ فإذا آمن الإنسان أنْ لا بعث بعد الموت، أو كفر بالبعث، فلماذا يعمل؟ ولأي شيء يعمل؟ أمّا التّعريف في قوله تعالى﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[٨]، فقد يكون المراد هنا جنس الإنسان وقد يكون المراد بالإنسان هنا هو الكافر القائل بنكران البعث[٩]، وإنّما عبّر عن الإنسان لكونه لا

(١) ينظر: الجامع في علم المعاني: ٢٧١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٤.
(٣) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: قاضي القضاة بها الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري، ط١، دار الغدير، قم المقدسة، ١٤٣٦هـ: ١٦٢/١.
(٤) سورة العصر: ٢.
(٥) سورة البقرة :٩٩.
(٦) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٢٧/١ـ ٢٢٨.
(٧) سورة البقرة: ٢٦ـ٢٧.
(٨) سورة مريم: ٦٦.
(٩)ينظر: الكشاف: ٣٩/٤.

يترقّب منه ذلك وقد جهّزه الله تعالى بالإدراك العقلي[١]، أفليس من خَلَقَهُ من قبلُ ولم يكُ شيئاً بقادرٍ على إعادته ثانيةً!

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]، فتأتي لفظة (الكلب) معرفة؛ لتزيد من دقّة الصّورة وعمق التّحقير، فالموصوف هو كالكلب الحقيقي الذي نشاهده ونراه[٣]، ومثله تعريف لفظ (الحمار) في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤]، فقد أفاد ذات الغرض من التّعريف.

ج ـ التعريف بالإضافة

ومن ألوان المعارف: التّعريف بالإضافة، كقوله تعالى عن لسان فرعون وتعبيره ونعته نبي الله (عليه السلام) بالجنون، وهذا مما يُضاف إلى مفاسد فرعون المتعددة: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[٥]، فانظر إلى أسلوب الخطاب هذا، ولهجة فرعون المتعالية والساخرة من نبي الله موسى (عليه السلام) فهو لم ينكر رسالة النبي (عليه السلام) فحسب بل يتهكّم عليه وينعته بالجنون، فقد خرج كلامه مخرج الاستهزاء والتحقير، والتقليل من شأن النبي (عليه السلام) والدليل الذي يدلّنا إلى ذلك قرينة التهكّم (لمجنون)[٦].

---

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٨٧/١٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٥.١٧٦.

(٣) ينظر: أثر التعريف والتنكير في دلالة المجاز القرآني (بحث منشور): أ. م. د. عزيز سليم علي القريشي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ج٢، العدد٢٨، ٢٠١٨م: ٣.

(٤) سورة الجمعة: ٥.

(٥) سورة الشعراء: ٢٧.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦/١٤.

ومن أمثلة التعريف بالإضافة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1]، فالإضافة في (شركائي) مع إفادتها التخصيص فقد أفادت التّهكّم والاستهزاء بالمشركين[2].

٢ـ التّنكير

التنكير لغة: أشار الخليل (ت ١٧٥هـ) إل أنّ النّكرة ((نقيض المعرفة))[3]، وجاء في اللسان: ((النّكرة إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة))[4]، وقد ألمح إليها سيبويه (ت ١٨٠هـ) حينما قال: ((لأنّك إذا قُلت: مررت برجلٍ، فإنّك إنّما زعمت أنّك [إنّما] مررت بواحدٍ ممن يقعُ عليه هذا الاسم، لا تريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطب))[5].

أمّا في الاصطلاح: فالنّكرة خلاف المعرفة، وقد عرّفها بعضهم بأنّها: ((ما وضع لشيء لا بعينه))[6]، أي: إنّ اسم النّكرة لا يختص بمصداق واحدٍ، كقولنا: كتاب، فهذا الاسم المُنكّر ينطبق على مصاديق عديدة، ولم نعيّن أيّ كتاب هو المقصود، وعرّفها ابن عقيل بأنّها: ((ما يقبلُ (ال) وتُؤثّر فيه التعريف، أو يقع موقع ما يقبل (ال)))[7]، فمثال ما يقبل (ال) وتقلبه إلى معرفة: رجل، فتقول: الرجل، وأمّا مثال ما يقع موقع ما يقبل (ال) ف (ذو) التي بمعنى صاحب[8].

ويخرج التّنكير إلى معانٍ بلاغيّةٍ غير المعاني التي تفيدها النّكرة في أصلها، فقد تدلّ على التّعظيم، أو التحقير، أو التّقليل أو التّكثير، وهذه المعاني وغيرها إنّما تُستفاد وتبين من السياق

---

(١) سورة النحل: ٢٧.
(٢) ينظر: الجامع في علم المعاني: ٢٨٤.
(٣) العين، مادة (نكر): ٢٦٤/٤.
(٤) لسان العرب، مادة (عرف): ٣٥٣/١٤.
(٥) كتاب سيبويه: ٥/٢.
(٦) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ٥٤٦/١.
(٧) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٨٢/١.
(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٨٢.٨٣.

الذي ترد فيه اللفظة المنكّرة لا من التنكير فقط، فالسّياق هو الذي يدلّنا على المراد من هذا التنكير[١].

ومن الألفاظ التي يعتقد أنّها من ألفاظ العموم، لفظ شيء، وإنّما هو في الحقيقة أفاد العموم لكونه نكرة تقدمها نفي[٢]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾[٣]، فإنّ (شيئاً) نكرة، ((والنّكرة في سياق النّفي تعمُّ))[٤]، يعني: إنّ الذي ينقلب على عقبيه ويرتد عن الإيمان لن يضر الله شيئاً؛ لأنّ الله لن ينتفع بطاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين، سواء كانت المعصية من فرد أو جماعة. فهو جلّ جلاله غنيّ عن عباده، وهو القائل عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٥].

وقد تحدّث عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) عن بعض المواقف التي أكسبها أسلوب التّنكير قوّة، وأضفى عليها جمالاً وروعةً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٦]، فالتّنكير في قوله تعالى (على حياة) يفيد التّحقير[٧]، يقول: ((إذا راجعت نفسك، وأذكيت حسّك، وجدت لهذا التّنكير، وأن قيل (على حياة) ولم يقل (على الحياة) حسناً وروعة، ولطف موقع لا يقادر قدره، وتجدك تعدم هذا مع التعريف وتخرج من الأريحية والأنس إلى خلافها))[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[٩]، فالمراد بالنكرة (غشاوة) لا بدّ أن يكون نوعاً من الغطاء، يقول الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) معلّقاً على هذه الآية: ((أي نوع من الأغطية غير

(١) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها:٣٢٩.
(٢) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ١١٠/٣.
(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.
(٤) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عُمر بن أحمد بن محمد القزويني (ت ٧٣٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م: ٣٥٥.
(٥) سورة فاطر: ١٥
(٦) سورة البقرة: ٩٦.
(٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٢٦/١.
(٨) دلائل الإعجاز: ٢٨٢.
(٩) سورة البقرة: ٧.

ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التّعامي عن آيات الله))[١]، فهذه الغشاوة تحجب بصيرة هؤلاء الكافرين عن رؤية دلائل وآيات الحق المبين، فلا ينتفعوا حينئذٍ بأبصارهم دون البصيرة.

وقد يأتي التّنكير للدلالة على تعظيم الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[٢]، والآية جاءت في سياق الحديث عن الرّبا الذي يمثّل ذروة الفساد الاقتصادي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وتنكير مفردة (حرب) للدلالة على عظمة هذه الحرب، فهي أعظم من أن تُعيّن وتُعرف[٤].

وقد تُنكّر اللفظة لإرادة دلالة التّكثير والتّعظيم، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٥]، فالآية المباركة جاءت بعد الطّلبات التي طلبها المعاندون والمشركون من الأنبياء والرّسل على مرّ العصور، من هذه الطلبات أن يكون الرسول ملَكاً وليس بشراً، فهم يرون في بشريّة الأنبياء والرّسل نقصاً وعيباً، وما دام أنّه بشرٌ فما الفارق بينهم وبينه، وما الدّاعي إلى التّصديق برسالته والإيمان به! وقد جاء المُسند إليه (برُسلٍ) نكرة، وهذا التنكير يُلحظ منه التّكثير، أي قد كُذِّب رسلٌ كثيرون من قَبل النّبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، كما أنّ هذا الخبر وأمثاله في الآيات المباركة تسليةً للرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله)[٦]، وفيه دلالة التعظيم أيضاً، أي أنّ قولهم هذا يُعدّ عظيماً عند الله عزّ وجلّ، وقد نُكِّر لفظ الرّسل في مواضعَ عديدةٍ، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٧]، أي: وإن يكذبوك فلا تحزن واصبر فقد كذّبت رسل من قبلك يا رسول الله[٨]، فقد سيق التّنكير لذات الدلالة المتقدّمة، وهي مواساة النّبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، بدلالة السّياق:

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٩.
(٢) سورة البقرة: ٢٧٩.
(٣) سورة البقرة: ٢٧٨.
(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤٠٥.
(٥) سورة الأنعام: ١٠.
(٦) ينظر: دلالة التعريف والتنكير في القرآن الكريم (آيات التعصب والعناد إنموذجا): ١٦٠.
(٧) سورة فاطر:٤.
(٨) ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مصطفى عبد السلام أبو شادي، (د ط)، مطبعة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت): ٢٧.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فهو تصبير وتسلية لقلب النّبي الكريم، فهم بعد تكذيبهم هذا سيُردون إلى الله تعالى ويحاسبهم على ما اقترفوه.

وقد تُنكّر الفضلة في الجملة لدلالة معيّنة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[1]، فقد نكر لفظ (أرضاً)؛ لعدم دلالتها على أرض معّينة، فهي أرض مجهولة بعيدة عن كل معاني الحياة، وتنكيرها يعني أنها أرض خالية مبهمة، وهو تصوير بارع لهذه النفوس المريضة التي تآمرت على قتل مَن هو مِن لحمهم ودمهم، وتركه في أرض قفرة لا أنيس فيها، وهذا تعظيم واستنكار لفعلهم الشنيع الذي تأبى بعض الحيوانات أنْ تفعله[2].

ومن الآيات القرآنية التي أنكر فيها المشركون واعترضوا على بشريّة الرّسل والأنبياء، قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[3]، فهؤلاء قوم نوح (عليه السلام) يطعنون به ويحتجّون على بشريّته، متّخذين من ذلك ذريعةً لصدّ النّاس عن الإيمان بالنبي، وسدّ أسماعهم عن رسالة الحقّ. فجاءت لفظة (بشرٌ) نكرةً؛ لدلالة التحقير والتصغير، وذلك بدلالة القرينة (هذا) الذي أشاروا به للنبي (عليه السلام) فعدلوا عن التّصريح باسمه إلى الإشارة إليه؛ لتصغيره وتحقيره أمام العامّة[4]، وصدّ النّاس عن الإيمان برسالته.

مما تقدّم يمكن أن نخلص إلى أنّ آليّة التّعريف والتّنكير من الآليّات التي أسهمت في إبراز الإعجاز القرآني من الجانب النّحوي والبلاغي والدلالي، وكانت لهذه الظاهرة وظيفة عظيمة تكمن في إبراز القيم الفنيّة والجماليّة التي تُفضي إلى معانيَ عميقةٍ تُظهر عظمة النّص القرآني، كما تُسهم في إبراز ما يتوارى خلف كلماته العظيمة من دلالات جديدة تخفى على قارئه، ومجيء بعض الألفاظ معرّفة، وبعضها نكرة في القرآن الكريم ليس وليد الصّدفة، إنّما هي ظاهرة مقصودة في كلّ موضع، وإنَّ لِتدبّر الآيةِ في سياقها الكامل أهميّة كبيرة، تقود إلى معرفة الحكمة والغاية من ذلك التّعريف أو التّنكير.

---

(1) سورة يوسف: ٩.

(2) ينظر: الجامع في علم المعاني: ٢٩٧. ٢٩٨.

(3) سورة المؤمنون: ٢٤.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢/١٨.

المبحث الثالث: الذِّكـــر والـحذف

الحذفُ لغة: للحذف في اللغة دلالتان، هما القطع، والإسقاط، قال الخليل: ((الحذفُ: قطفُ الشيء من الطرف كما يُحذَفُ طَرَفُ ذَنبُ الشّاة))[١]، وجاء في أساس البلاغة: ((حذف ذنب فرسه إذا قطع طرفه، وفرسٌ محذوف الذنَب. وزِقّ محذوف: مقطوع القوائم ، وحذف رأسه بالسيف: ضربه فقطع منه قطعة))[٢]، وفي لسان العرب: ((حذف الشيء يحذفه حذفاً، قطعه من طرفه))[٣]، قال الفيروزآبادي: ((حذفه يحذفه: أسقطَهُ، ومن شعره: أخذَهُ، وبالعصا: رماهُ بها))[٤]، وكلّ هذه المعاجم لم تتطرق للحذف في الكلام، إلّا ما ذكره الفيّومي (ت ٧٧٠هـ) بقوله: ((وحذف في قوله أوجزه وأسرع فيه، وحذف الشيء حذفاً أيضا أسقطه))[٥].

الحذف اصطلاحا: يُعدّ الحذف من القضايا المهمّة التي عالجها النّحويون والبلاغيّون بوصفه انحرافاً عن المستوى التعبيري العادي، وقد ورد الحذف عند سيبويه (ت ١٨٠هـ) بمعنى: إسقاط عنصرٍ من عناصر النّص، سواء كان هذا المُسقَط حرفاً أو كلمةً أو جملة[٦]، وعرّفه التهانوي بأنّه: ((هو إسقاطُ حرفٍ أو أكثر أو حركةٍ من كلمة))[٧]، وقد اتّفق كلا التّعريفين على أنّ الحذف هو إسقاط حرفٍ أو كلمةٍ من الكلام، ولم تبتعد الدلالة الاصطلاحيّة عن الدّلالة اللغويّة، إذ هو عموم الإسقاط.

إنَّ ظاهرة الحذف من الظّواهر اللغويّة التي تشترك فيها جُلّ اللغات الإنسانيّة، لأغراض متعددة في نفوس مستخدميها، بيدَ أنّ مظاهر الحذف تبدو في بعض اللغات أوضح من بعض، وهذه المظاهر أكثر ثباتًا ووضوحًا في اللغة العربيّة؛ لأنَّ من خصائص العربيّة الأصيلة الميل إلى الإيجاز والاختصار، والابتعاد عن الإسهاب، والحذف هو إحدى الوسائل الفاعلة في تحقق ذلك. ويُعدُّ الحذف ضرباً من ضروب البلاغة والفصاحة، حيث عَدَّ العربُ الحذفَ أحد نوعي الإيجاز

---

(١) العين، مادة (حذف):١/ ٢٩٧.
(٢) أساس البلاغة، مادة (حذف): ١٧٧/١.
(٣) لسان العرب، مادة (حذف: ٩٣/٣.
(٤) القاموس المحيط، مادة (حذف): ٧٩٩.
(٥) المصباح المنير، مادة (حذف): ٤٩.
(٦) ينظر: الكتاب: ٢٣/١ ، ١٧٣/٤.
(٧) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٦٣٢/١.

وهما: القصر والحذف، وتؤكد العديد من المصادر والاستعمالات اللغوية والشواهد التاريخية أنَّ العرب قد نفرت مما هو ثقيل في لسانها، ومالت إلى ما هو خفيف، ومِن ثَمَّ عمدوا إلى الحذف لتحقيق ما أردوا، فيظهر إطّراد الحذف من خلال ما نراه في كلام العرب القدامى في نحو قولهم: (والله أفعل) يريدون (لا أفعل)، وكذلك حذف النون في نحو (لم يكُ)، والياء في نحو (لا أدرِ)، وكذلك حذف الفعل في نحو (أنتَ سعياً) أي: تسعى[١]. كما يُعدُّ الحذفُ من المباحث البلاغيّة الهامّة والدّقيقة ذاتِ الصّلة بالتّفنن في العلاقة الإبلاغيّة بين المُرسل أو النّص والمُتلقي، إذ يهدف هذا الأسلوب لتنشيط ذهن المُتلقّي، وإثارته للّحوق بالصيغ[٢].

ولقد اشتغل النّحاة على الجملة العربية، بوصفها تركيباً لفظيًّا يجري به النّطق في سلسلة كلامية، تتتابع ألفاظها لتفضي إلى معنى يحسن السّكوت عليه، انطلاقاً من تصوّرهم للعملية الإسنادية القائمة أساساً على المسند والمسند إليه[٣]، وكان سيبويه (ت ١٨٠هـ) قد أشار إليها، وقد أشارت الدراسة لحديث سيبويه عن العلاقة الإسنادية للجملة العربية في المبحث السابق. وعقد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) باباً في الخصائص أسماه (في شجاعة العربية)، ووضع الحذف على رأس هذا الباب، قال: ((اعلم أنّ معظم ذلك إنّما هو الحذف.. قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة. وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه. وإلّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته))[٤]، فطبيعة الكلام العربي قائمة في ذهن صاحبها وماثلة في لفظه سواء كان ذلك تحقيقاً أو تقديراً، انطلاقاً ممّا اتفق عليه النّحاة جميعاً في كون العملية الإسنادية تشكّل مرتكز الجملة العربيّة وأساسها، إذ يستحيل تصوّر جملة –سواء كانت اسمية أو فعلية– مفيدة بقصدية المنشئ إلّا إذا تعيّن فيها كلّ من المسند والمسند إليه، التّي هي الأصل في تكوين جمل اللغة، لأنّ الفهم لا يتمّ بدونها، وهناك حالات أخرى يقصدها المنشئ قصداً، كأن يحذف أحد العناصر الأساسية

(١) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمّان ـ الأردن، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م: ٧٥.
(٢) ينظر: الجامع في علم المعاني: ٢٢٧.
(٣) ينظر: ظاهرة الحذف من منظور الدراسات الأسلوبية (بحث منشور): ملياني محمد، مجلة الترجمة واللغات، المجلد٧، العدد١، ٢٠٠٨م: ١٠٥.
(٤) الخصائص: ٣٦٠/٢.

المكونة للجملة العربية، ويخالف الكلام المعهود إلَّا أنّ الكلام في هذه الحالة لا يخلو من قرينة لفظية أو معنوية تدلّ على العنصر المحذوف.

وهذا الاهتمام بالحذف ليس حِكراً على النّحاة، فإنّ الجهود البلاغيّة أيضاً تحفلُ بأهميّة الحذف في اللّسان العربي، فهو خصّيصة من خصائصه في ضوء الحديث عن الجماليّات الأسلوبيّة، والعبقريّة التّعبيريّة التي حظي بها النّص القرآني والكلام العربي شعره ونثره[١]، وهو ما أدّى بعبد القاهر الجرجاني إلى الإشادة بظاهرة الحذف بوصفها شكلاً من أشكال التّعبير الذي يتكثّف من خلاله المضمون الدّلالي فصاحةً وإفادةً وبياناً، قال الجرجاني: ((هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسِّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن))[٢]، وعدّه بعض البلاغيين من مزايا اللغة ووجه استحسانها وروعتها، فقالوا فيه: ((من دقائق اللغة، وعجيب سرّها، وبديع أساليبها، أنّك قد ترى الجمال والروعة تتجلى في الكلام إذا أنت حذفت أحد ركني الجملة أو شيئاً من متعلقاتها، فإن أنت قدّرتَ ذلك المحذوف وأبرزته صار الكلام إلى غثٍّ سفساف، ونازل ركيك لا صلة بينه وبين ما كان عليه أوّلاً))[٣]، فهذا الباب يشغل حيزاً كبيراً في الحقل البلاغي؛ ولعلّ ذلك راجعٌ إلى الدلالات الجديدة التي تتولد جراء عملية الحذف، وما يتركه من أثر في بلاغة الخطاب.

وتُعدّ ظاهرة الحذف في بنية التراكيب اللغويّة من أدبيّات اللغة التي يتجاذبها أطرافٌ ثلاثة: المُبدِع، والمُتلقّي، والرّسالة التي بينهما. الأول: المبدع بيان الدافع الذي أدّى إلى إسقاط ما يمكن إثباته، كذا المتلقي ودوره بوصفه مبدعاً ثانياً للنّص، فإنّ السّياق هو الذي يدفع هذا الحذف ولا يأخذ المعنى نحو الالتباس، وفي هذا الإطار يقول رجاء عيد: ((قد يحذف أحد طرفي الإسناد، أو سواهما في التركيب اللغوي لأغراض فنيّة، اكتفاءً باللمحة الدّالة، وتكثيفاً لعطاء فني يستشف من السّياق، ولا يمكن فنيّاً حصر مواضع هذا الحذف؛ لأنّها ليست تقعيداً منطقيّاً مُقنناً، وإنّما هي

(١) ينظر:ظاهرة الحذف من منظور الدراسات الأسلوبية: ١٠٥.
(٢) دلائل الإعجاز: ١٤٦.
(٣) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: أحمد مصطفى المراغي، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م : ٨٩.

مواقف فنيّة تدركها من الموقف كله. فقد تكون هنالك أغراض أعمق وأدق من تلك التي حصرها البلاغيون، وعلينا أن نستشف العطاء الفني لنسق التركيب من داخل العمل نفسه، ومن بنيته الفنية الخاصة))[١]، وقد اقتصر المتقدّمون على ذكر الحذف وحده، فذكروا ما يتعلق به من أغراض ومسوّغات ومميزات ومحسّنات، أمّا الذكر فلم يعرض له إلّا بعض المتأخّرين من علماء البلاغة[٢]؛ ذلك لأنّ الذّكر هو الأصل والجوهر في الكلام، وليس من داعٍ يقتضي الحذف ابتداءً، أي أنّه لا توجد مزية بلاغيّة أو تبرير لهذا الحذف ما لم يوجبه المقام والسّياق.

وقد سُمّي هذا الفنُّ في علم لغة النّص بـ (الإضمار)، وهو من الوسائل الفاعلة التي تُسهم في الإيجاز والجودة، ((ففي استغلال النّصوص دون إضمار مضيعة للوقت والجهد، ومن جهة أخرى يؤدّي الإسراف في الإضمار إلى تبديد ما توافر من وقتٍ وجهدٍ))[٣]، فالإسراف في الحذف بطبيعة الحال يقتضي وقتاً طويلاً للتحليل، وإنّما تأتي الحاجة إليه بحسب ما يقتضيه المقام.

وللحذف شروط، منها: أن يكون في الكلام ما يدلُّ على الجزء المحذوف من قرائن[٤]، سواء كان المحذوف حرفاً، أو كلمة، أو جملة، وإلّا كان الكلام تعميةً وغموضاً للمعنى، أي أنّه إذا لم تتوافر في الكلام قرينة دالة على الحذف، أو كانت تلك القرينة ضعيفة فلا بُدَّ حينئذ من الذِّكر، و((يشترط النّحاة لصحّة الحذف وجود دليل مقاليّ أو مقاميّ وأن لا يكون في الحذف ضرر معنويّ أو صناعيّ يقتضي عدم صحّة التّعبير في المعيار النّحوي))[٥]، أمّا من شروط حُسنِه فإنّه متى ما ظهر المحذوف زال ما للكلام من الرّونق والطلاوة[٦]، وهذا الأمر كان يعيه البلاغيون جيّداً، ولا يختلفون على أنّ الحذف أكثر بلاغة من الذّكر.

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٨١.
(٢) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني: الدكتور فضل حسن عباس، ط١، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م: ٢٤٨.
(٣) مدخل إلى علم لغة النص: روبرت ديبوغراند، وغيره، ط١، مطبعة دار الكتاب، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م: ١٠٥.
(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: ٤٠/١.
(٥) الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٧٦.
(٦) ينظر: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع: ٨٩.

واختلف أهل البلاغة في الحذف أهو مجاز أم لا؟ فمنهم من ذهب إلى أنّه من المجاز، ومنهم من خالفهم في ذلك، وقد عرض الزركشي لتلك الآراء، ثم عرض رأيه المتمثّل بقوله: ((والتحقيق أنّه إنْ أريدَ بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك، لعدم استعماله، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره ـ وهو المجاز العقلي ـ فالحذف كذلك))[١]، فرأيه يحتمل الوجهين، وهو لم يرجّح أحد الآراء على الآخر، والأقربُ أنّ الحذف ليس من المجاز.

ويؤتى بالحذف لأغراضٍ بلاغيّةٍ يقصدها المتكلّمُ، ومن أمثلة الحذف التي تلحظ في مادّة الدّراسة، قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٢]، فالآية تصوّر حال الكافرين وقد مَثُلَ أمام أعينهم ما كانوا يجحدونه ويكذّبون به، وحين رأوهُ شاخصاً أمامهم أصيبوا بالذّهول، ويُلحظ في الآية المباركة حذف الفعل (قالوا) والاكتفاء بقولهم (يا ويلنا)، وحذف القول من الأمور المألوفة في النّص القرآني الكريم، لكنّ حذفه هنا يدلّ على شدّة حالهم التي أضحوا عليها، كما تدلّ الآية على ما أصابهم من الذّعر والهلع وما صاروا عليه من التّلاوم على غفلتهم التي قبعوا فيها في الحياة الدّنيا[٣]، وعلى ظلمهم لأنفسهم من خلال تكذيبهم لرسل الرّب، وعدم إجابتهم لدعوة الحق التي جاءتهم على ألسنة الرّسل.

وقد يرد الحذف لغرض الإيجاز، وهو غاية الحذف، ومن أمثلة الحذف للإيجاز قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٤]، فهؤلاء كأنّما يسعون لتعجيز الأنبياء والرّسل، أو تبرير كفرهم من خلال طلب المزيد من المعاجز والأمور الخارقة، ومع كلّ هذا فعندما تأتي المعجزة لا يؤمنون، وقد حذف من النّص المبارك مفعول (يعلمون) لإفادة الإيجاز، ((والمعنى يحتمل أن يكون أنهم (لا يعلمون الحق)، ويحتمل أنْ يكون المقصود نفي نسبة العلم المطلق إليهم، لا نفي علمهم بشيء مخصوص، كأنّهم لا حظّ لهم من العلم، لفرط جهالتهم، والله أعلم))[٥].

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ١٠٤/٣.
(٢) سورة الأنبياء: ٩٧.
(٣) ينظر: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: ١٣١ـ١٣٢.
(٤) سورة البقرة: ١١٨.
(٥) الجامع في علم المعاني: ٢٤٧ـ ٢٤٨.

أو قد يرد الحذف لضيق المقام عن إطالة الكلام، من ذلك قوله تعالى عن أيقونة الفساد فرعون: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[١]، فالتقدير: وقال هذا ساحر مجنون، فحذف المسند إليه (هذا)؛ لضيق المقام[٢]، وما أصاب فرعون من ذعر وهلع حين رأى الآيات التي جاء بها نبي الله موسى (عليه السلام)، وهذا دأب كلّ الفاسدين في مواجهاتهم مع المصلحين، لا يملكون إلّا أن ينعتوهم بالجنون أو السّحر، أو يحرّضوا النّاس عليهم، لأنّهم يعتمدون على منطق القوّة، لا على قوّة المنطق.

وقد يرد لغرض التحقير، كقوله تعالى عن المشركين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٣]، والتقدير: هم صمٌّ بكمٌ عميٌ[٤]، وقد حُذف الضّمير العائد عليهم (هم)؛ لتحقيرهم والحطّ من مكانتهم.

وورد الحذف في قوله عزّ من قائل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٥]، فكأنّ تقدير الكلام والله العالم: (لو كان في الأرض والسماء آلهة)؛ وإنّما حذف لأنّ انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم ضرورة، فعدم الفساد دليل على عدم تعدد الآلهة، ولذلك لم يذكر المقدمة الثانية عند استعمال الشرط بلوغاً لها[٦].

وفي حديث القرآن الكريم عن صفة البخل والشّح ـ وهو من المفساد الأخلاقية ـ التي تلازم الكافرين، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾[٧]، فكأن تقدير الكلام والله العالم: (لو أنتم تملكون تملكون) بالتكرار لفائدة التّوكيد، ثم حذف الفعل فانفصل الضمير، وأفاد الاختصاص، فالكافرون هم المختصون بالشّح المتناهي[٨]، فأعلمهم الباري عزّ وجلّ أنّهم لو ملكوا خزائن السماوات والأرض لأمسكوا شحّاً وبخلاً؛ لأنّهم لا يؤمنون بالغيب، وأنّ الله تبارك وتعالى هو الذي يرزق عباده ويعوّضهم عن ما ينفقون، فهم ينظرون

---

(١) سورة الذاريات: ٣٩.
(٢) ينظر: أساليب المعاني في القرآن: ٣٥٢.
(٣) سورة البقرة: ١٨.
(٤)ينظر: أساليب المعاني في القرآن: ٣٥٣.
(٥) سورة الأنبياء: ٢٢.
(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٠٩/٣.
(٧) سورة الإسراء: ١٠٠.
(٨) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٥/١، وعلوم البلاغة: ٨٥ـ٨٦.

إلى هذه الحياة كالأعور الذي يرى بعين واحدة، يرون المادّة فقط في هذه الحياة، ولا يحتسبون الأجر والعوض المستقبلي من الله تعالى.

وقد يحذف بعض الكلام؛ لظهور معناه، قال الفرّاء (ت ٢٠٧هـ): ((وإذا كان المعنى معلوماً طُرح منه ما يرد الكلام إلى الإيجاز))[١]، وذلك في نحو قوله تعالى في سياق النّهي عن البخل أيضاً: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢]، فكأنّ التقدير: ((ولا يحسبنّ الذين يبخلون البخل هو خيراً لهم، ولم يذكر البخل اجتزاءً بعلم المخاطب بأنّه البخل لذكره (يبخلون)))[٣].

وقد يُحذف (المسند إليه) أحياناً للعناية بالمسند، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٤]، أي: فجزاءه أنّ له نار جهنّم[٥]، وهو أمر حتمي لأنّه قد ((خَلَقَ اللهُ الجنّةَ لِمن أطاعَهُ وأحسَن، ولو كانَ عبداً حبشيّاً، وخَلَقَ النَّارَ لِمَن عَصَاهُ ولو كانَ وَلَداً قرَشِيّاً))[٦].

ومن أضرب الحذف حذف المفعول، إذ يحدّثنا الزّجاج (ت ٣١٠هـ) عن هذا اللون من الحذف، ويبيّن أنّ مثل هذه الأمور يدقُّ فيها النّظر، ولا يتسنّى للناظر فيها الإحاطة بها، فيسوق لنا مثالاً على حذف أحد المفعولين من الفعل الذي يتعدّى لمفعولين، ومثل ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[٧] أي: (اتخذتم العجلَ إلهاً) وعبادة العجل والشرك بالله هو من المفاسد العقديّة التي غلبت على بني إسرائيل، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا

---

(١) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م:٢٧٨/٢.
(٢) سورة آل عمران: ١٨٠.
(٣) الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٩٧
(٤) سورة الجن: ٢٣.
(٥) ينظر: أساليب المعاني في القرآن: ٣٥٦.
(٦) بحار الأنوار: ٨٢/٤٦.
(٧) سورة البقرة: ٥١.

أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]، أي: (باتخاذكم العجل إلهاً) فحذف المفعول الثاني في كلتا الآيتين، يقول الزّجاج: ((فحذف المفعول الثاني، لا بد من إضماره، لأنّهم عوتبوا بذلك، ولا يُعاتب أحدٌ باتخاذه صورة العجل))[2].

ولم يقتصر الحذف في العربيّة على حذف الكلمة بل تعدّاه إلى حذف الحرف، ولا شكّ ولا ريبّ في أنَّ هذا الحذف له مسوّغات ودلالات يحددها السّياق، ويقتضيها المقام، ومنه أمثلة حذف الحرف قوله تعالى عن قوم ثمود الظالمين المفسدين: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[3]، فقد حذفت ياء المنقوص في (واد)، والاسم بالألف واللام، وسبب هذا الحذف يرجع إلى مراعاة التناسب في الفواصل القرآنية[4].

ومن هذا القبيل الحذف في قوله تعالى عن لسان المستهزئين: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾[5]، أي: (بعثه الله رسولا) فحذفت الهاء لمجرّد الاختصار[6]، وهؤلاء قد نهجوا وشرّعوا هذا الأسلوب في مواجهتهم لكلّ داعية إلى الله، حتّى أنّ هذا الأسلوب ـ السخرية والاستهزاء ـ ممتدٌ إلى عصرنا هذا، فما إن يظهر الدّعاةُ والمصلحونَ حتى يجابهوا بالسخرية والاستهزاء؛ لثنيهم عن الدّعوة إلى الحق.

وعلى غراره الحذف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[7]، فالآية جاءت في سياق الحديث عن أشدّ أنواع الظلم الذي يقع من الكافرين والجاحدين الذين يفترون الكذب على الله، ويزعمون كذباً وبهتاناً أنّ الله سبحانه قد أوحى لهم، وتجبّروا وتطاولوا على مقام الرّبوبيّة، وادّعوا القدرة التي لله تعالى، ومشيئة مثل مشيئته، فقالوا سننزل مثل ما أنزل الله، ثمّ تبين الآية المباركة مصير هؤلاء الظالمين حين يأتي أجلهم، وتغشاهم

(1) سورة البقرة: ٥٤.
(2) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: تحقيق ودراسة: إبراهيم الابياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م: ٤١٣/٢.
(3) سورة الفجر: ٩.
(4) ينظر: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: ٥٠.
(5) سورة الفرقان: ٤١.
(6) ينظر: علوم البلاغة: ٩٧.
(7) سورة الأنعام: ٩٤.

غمرات الموت، فتصوّر ما هم عليه من الضّعة والهوان، فهم حينئذٍ فرادى في العذاب، وقد جُرّدوا عن كلّ ما كان سبباً في طغيانهم من أنصار، وأموال، فيقول تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، بحذف حرف التّاء، أي: (لقد تقطعت) بينكم الروابط والأسباب التي كنتهم تظنون أنّها متينة وقويّة، فها هي تتقطع وتتمزق، وفي الحذف ما فيه من إيحاء إلى ضعف هذه الرّوابط[١]، حتّى كأنّها تقطّعت لوحدها ومن دون فعل فاعل.

وقد يُحذف المضاف مكرراً، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[٢]، أي: من ترابِ أثر حافر الرّسول[٣]، والحديث في الآية المباركة عن الشّرك بالله، وصناعة الإلهة المزيّفة، فقد صنع السامريّ إلهاً ـ كما يزعم ـ لبني إسرائيل ليكون بديلاً عن عبادة الله عزّ وجلّ، وهذا هو سبيل المفسدين الذين جلّ همهم في صدّ النّاس عن الحق، وعن عبادة الله تعالى بشتّى الطّرق والوسائل.

ومن الحذف ما يُسمّى حذف (الاحتباك) أو (الحذف المقابلي) وهو: ((وَهُوَ أَنْ يَجْتَمِعَ فِي الكلام متقابلان، فيحذف مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُقَابَلَةً لِدَلَالَةِ الْآخَرِ عَلَيْهِ))[٤]، وقد أشار إليه السّيوطي بقوله: ((وهو من ألطف الأنواع وأبدعها، وقَلَّ مَن تنبّه له أو نبّه عليه من أهل فنّ البلاغة))[٥]، ومن هذا الحذف قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٦]، فالتقدير: ((ومثل الأنبياء والكفّار كمثل الذي ينعق والذي يُنعق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة (الذي ينعق) عليه. ومن الثاني الذي يُنعق به لدلالة (الذين

(١) ينظر: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: ٦٠ـ٦١.
(٢) سورة طه: ٩٦.
(٣) الخصائص: ٣٦١/٢.
(٤) البرهان في علوم القرآن: ١٢٩/٣.
(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٥٤٢.
(٦) سورة البقرة: ١٧١.

كفروا) عليه))[١]، وقيل أنّ التقدير: ((مثلُ الكافرين في دعائهم الأصنام كمثل النّاعِق بالغنم))[٢]، وسيأتي تفصيل الكلام في هذه الآية في مبحث التّصوير إن شاء الله.

٢ـ الذِّكـر

إنّ كلّ لفظ يدلُّ على معنى في الكلام جديرٌ بالذِّكر؛ لتأدية ذلك المعنى المُراد، فلهذا كان ذكرُ المُسند إليه واجباً في الأصل، حيثُ إنّ ذكره هو الأصل إذا لم يكن هنالك مقتضى للحذف، أو لعدم وجود قرينة تدلُّ عليه عند الحذف[٣]، ولذلك قالوا (لا حذف إلا بدليل)، ((أي أنّه إذا لم يوجد في الكلام قرينة تدلُّ على ما يُراد حذفه، أو وُجدت قرينة ضعيفة لا تنهض بدليلٍ يدعو إلى الحذف، فلا بُدَّ من الذّكر جرياً على قاعدة الأصل، وإلّا كان الكلامُ إيهاماً))[٤]، فالذّكرُ هو الأصلُ في الكلام، والحذفُ عارِضٌ يطرأ عليه.

فقد يُذكر المُسند لإفادة تخصيصه بالمُسند إليه، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥]، فقد كرر ذكر المسند، وهو قوله تعالى: (لهم) مرّتين، ولم يقل: (لهم في الدنيا خزي وفي الآخرة عذاب عظيم)؛ لأنّ الهدف أنْ يبيّن أنّهم كما استحقوا الخزي والهوان في الحياة الدّنيا، فهم كذلك يستحقون العذاب العظيم في دار الآخرة[٦]؛ وهذهِ نتيجةٌ طبيعيّةٌ لفسادهم المتمثّل في منع النّاس من ذِكر الله تعالى في المساجد، والعمل الحثيث على خراب بيوت الله، فهذه البيوت تمثّل مركز الدّعوة إلى الحق، والمكان الذي تُقاد منه الأمّة.

---

(١) الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ٣٤.
(٢) التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، (د ط)، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د ت):١/١٤٠.

(٣) ينظر: الجامع في علم المعاني: ٢٣٥.
(٤) المصدر نفسه: ٢٣٠.
(٥) سورة البقرة: ١١٤.
(٦) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: ٢٥٤.

وقد يذكر المسند إليه لتحقيره، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[1]، فقد قُصد به تحقير المسند إليه وهو ـ الذي يَدُعّ اليتيم ـ بالبعد؛ تنزيلاً لبعده عن ساحة الحضور والخطاب منزلة بعد المسافة[2]، فالفساد هنا يتجسّد بدعّ اليتيم وهو من الفساد الاجتماعي.

وقد يُذكر المسند للتعريض بغباوة السّامع، كقوله تعالى عن لسان نبي الله إبراهيم (عليه السلام): ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[3]، جواباً على ما توجّهوا به من سؤال له: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[4]، فقد ذكر نبي الله إبراهيم (عليه السلام) المسند (فَعَلَهُ) تعريضاً بغباوة هؤلاء[5]، الذين يعبدون من لا يسمع كلامهم، ولا يجيبهم إذ يسألون.

وفي ختام هذا الفصل نخلص إلى أنّ ظاهرة الحذف من ظواهر الانزياح التّركيبي ((خروج التعبير عن السائد أو المُتعارَف عليه قياساً في الاستعمال، رؤيةً ولغةً وصياغةً وتركيباً))[6] التي شكّلت ميزة هامّة في النّص القرآني المبارك، فدلالة النّصوص القرآنيّة لا تقتصر على الألفاظ الظاهرة فقط، إنّما تشتمل ما يُفهم من معاني، وبالتالي فإنّ فهم العنصر المحذوف له أثر كبير في فهم المعنى القرآني، وظاهرة الحذف من الظواهر البارزة في الكلام العربي؛ لما تفيدُهُ هذه الظاهرة من إيجاز واختصار في الكلام، الأمر الذي كان يميل إليه اللسان العربي.

والنّص القرآني بانزياحاته التّركيبيّة وخروجه عن اللغة المألوفة قد مثّل ظاهرة إعجازيّة، وجدَ فيها الباحثون والدّارسون ميداناً خصباً للكشف عن خصوصيّة القرآن الكريم البلاغيّة.

وقد كان للمستوى التركيبي أهميّته البارزة في إيضاح معاني المفردات القرآنية، إذ لا مزية ولا فضيلة للألفاظ يتيمةً خارج التّركيب، وقد تمثّل المستوى التّركيبي للنّص القرآني في كثيرٍ من الموضوعات، منها: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والذكر.

---

(1) سورة الماعون: ٢.
(2) ينظر: أساليب المعاني في القرآن: ٣٤٧.
(3) سورة الأنبياء: ٦٣.
(4) سورة الأنبياء: ٦٢.
(5) ينظر: أساليب المعاني في القرآن: ٣٦١.
(6) أطياف الوجه الواحد دراسات نقدية في النظرية والتطبيق: الدكتور نعيم اليافي، (د ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م: ٩٢.

الفصل الثالث

بلاغة التصوير والتناسب الصوتي في آيات الفساد والإفساد

- ❖المبحث الأول: بلاغة التّصـويــر
- ❖المبحث الثاني: بلاغة التناسب الصوتي

توطئة:

إنّ القرآن الكريم حينما يخاطب العقلاء، إنّما يخاطب عقولهم؛ كي يثير مشاعرهم وأحاسيسهم بأسلوبه الفريد، وبيانه المعجز، وتصويره البديع، وموسيقاه السّاحرة، فيجعل المُتلقّي يتخيّل المعنى المُجرّد صوراً ناطقة يتحسس فيها الحركة والحياة.

ويُعدُّ التّصوير البياني أحد أبرز الوسائل التي يعبِّر بها منتج النص عن خلجات نفسه ومشاعره فيعبّر عن مكنوناته بتعابير رقيقة جيّاشة تجعله يسبح بذهنه وقلبه، فهو يجعل المعنى الذّهني محسوساً ينبض بالحركة والحياة.

ويُمثّل العنصر التّصويري بانضمامه إلى العنصر الإيقاعي ثنائيّة مهمّة في النّص القرآني، تُسهم في خلق صورة متناسقة مؤثّرة في النّفس بشكل كبير، وهما يمثّلان مفهومَ الجمال في النّص الأدبي، بيدَ أنّ للعنصر الإيقاعي خصوصيّةً بالغةَ الأهميّة حيثُ يتميّز بالرّوح الموسيقيّة التي تجعل المُتلقّي في حالة انشداد وتجاوب وجداني وتواصل مع النّص، وهذه الموسيقى إنما هي توظيف للصوت من أجل هدف مقصود، وتعبير عن إيقاع ذاتي للإنسان.

وسيبحث هذا الفصل وسائل تشكيل الصورة القرآنية في الآيات محل الدراسة، وتتضمن ثلاثة محاور: التصوير بالتشبيه والتصوير بالاستعارة والتصوير بالتمثيل، كما وسيبحث عناصر الإيقاع الدّاخلي في النّص القرآني المتمثّلة بالفاصلة القرآنيّة، والتّكرار، والطباق.

المبحث الأول: بلاغة التّصويـــر

التّصويرُ هو المِحورُ الرّئيسُ الذي يدورُ عليهِ أسلوبُ القرآنِ الكريمِ، وهو نظامٌ معقّدٌ يعنى بالاستغلال الأدبي للغة ينتج عنه الوضوح والحيويّة والتأثير الشّعوري لدى المتلقّي، وقد لجأ النّص القرآني في مستوياته المختلفة إلى طريقة التّصوير، وهو الطّريقة التي تمثّل الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن الكريم(١).

والتصوير مصطلحٌ نقديٌ عرفه العلماء القدامى والمحدثون، ولقد أشارَ النُّقاد والبلاغيّونَ القُدامى إلى مفهوم التّصوير والصّورة، ولعلّ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) أقدم من أشار إلى مصطلح الصُّورة والتّصوير، فالشّعرُ في نظره ((صِناعةٌ(٢) وضربٌ من النّسجِ وجنسٌ من التَّصويرِ))(٣)، مما يعني أنّ الألفاظ والتّراكيب وكلّ إمكانات اللغة ووسائلها تؤدّي صورةً تكشفُ الغطاءَ عن المعنى وتجليه، وفي حديثه هذا تتجلّى أهميّة التّصوير، فعندما يكون الشّعر جنسٌ من التّصوير فهذا يعني أنّ له ((القدرة على إثارة صورٍ بصريّة في ذهن المُتلقّي، وهي فكرة تُعدُّ المدخل الأوّل أو المقدّمة الأولى للعلاقة بين التّصوير والتّقديم الحسّي للمعنى))(٤).

وقد تهيّأ لهذا المصطلح أنْ يعودَ إلى ساحةِ الدّراساتِ النّقديّةِ الحديثة، فيُجمعُ الدّارسونَ المحدثونَ على أهميّةِ الصّورةِ في العملِ الفنّي كلبنةٍ أساسيّةٍ من لبناتهِ، لكنَّهم بالرغمِ من ذلكَ لم يُقدّموا تعريفاً واضحاً لها، فيُعرِّفها أحمد الشايب بأنّها: ((الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قُرّائهِ وسامعيه))(٥)، فهي عنده عبارة عن الوسائل التي تعمل بدواخل الأديب وليس مجرّد التّصوير الخارجي للأشياء، والصّورة الأدبيّة عنده مرتبطة ((بالمعاني اللغويّة للألفاظ وبجرسها الموسيقي ومعانيها المجازيّة وحُسن تأليفها معاً))(٦)، أمّا أحمد حسن الزّيّات فيُفسّرها بأنّها

---

(١) ينظر: سيد قطب والنقد الأدبي: الدكتور محمد الأول أبو بكر،ط١، دار الرفاعي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٠م: ١٠٣، وينظر: التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ط١٠، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م: ٣٦.
(٢) ل : ((صياغة)) .
(٣) الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م: ١٣٢/٣.
(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ٣١٦.
(٥) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، ط٢، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٢م: ٢٤١.
(٦) المصدر نفسه: ٢٤٣.

((إبراز المعنى العقلي أو الحسّي في صورةٍ مُحسَّة)) [١]، فيشير بذلك إلى عمليّة التّصوير التي تنقل الألفاظ والمعاني المجردة إلى صورٍ حسيّة شاخصة بالحياة.

ويُعدُّ التّصويُر البيانيّ أحدَ أبرز الوسائلِ الفاعلة في الدّلالة على المعنى، وتتشكّلُ الصّورة البيانيّة مِن مُكوّنات هي: التّشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، وهي وسائل لتحقيق ذلك التّصوير؛ لأنّ الصّور البيانيّة علامة بارزة في تحقيق وتأدية المعاني وتوضيحها.

ويؤكّد الدّكتور إحسان عبّاس على أنّ الصّورة هي أكبر عونٍ على كشفِ المعاني العميقةِ، وهي تستخدمُ للإقناعِ والتأثيرِ، كما ويؤكّد على أنّ الصورة هي جميع الأشكال المجازيّة[٢]، ورأيه هذا في قِبال من حصر الصورة بالاستعارة فقط[٣]، أو من أخرجها من دائرة المجاز إلى الحقيقة، دون أن ينقص ذلك من قيمة الصورة الفنية، يقول محمد غنيمي هلال: ((إنّ الصّورة الشعرية لا تلتزم أنْ تكون الألفاظ أو العبارات مجازية، فقد تكون العبارات حقيقية وتكون مع ذلك دقيقة التّصوير))[٤]، كما أنّ للصورة مصدرٌ واحدٌ لا غير وهو الخيال[٥]، وهو مجال الجمال فيها، والصّورة قِوام الشِّعر وعِمادُه، وإنَّ مصطلحات التّشبيه والاستعارة والكناية والمجاز يكفي للتدليل على أنّ الشّاعر مُصوّر[٦].

وإذا كان التّصوير تثبيتاً للظلِّ الصّامت، أو مجموعة خطوط وألوان متجمّعة، تضع أمام الرّائي لوحة قد تُثير في ذهنه معنى من المعاني، أو تنقل إلى مخيّلته مشهداً من المشاهد، فإنّ التّصوير القرآني أوسع من هذا بكثير: فهو تحويل الحروف الصوتيّة والكلمات الجامدة إلى ريشة تنبع من رأسها الأصباغ والألوان المختلفة، حسب مقتضى الحاجة، لتُحوّلَ المعاني المعتادة إلى صور يتأمّلها الخيال، ويدركها الشّعور، وتكادُ العين أنْ تستوعبها قبل أنْ يستوعبها العقل[٧]، فهو

---

(١) دفاع عن البلاغة: أحمد حسن الزيات، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٧م: ٧٧.
(٢) ينظر: فن الشعر: الدكتور إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت، (د ت): ٢٣٨.
(٣) مثل الدكتور مصطفى ناصف، ينظر: الصورة الأدبية: الدكتور مصطفى ناصف، (د ط)، دار الأندلس، بيروت ـ لبنان، (د ت) : ٣.
(٤) النقد الأدبي الحديث: الدكتور محمد غنيمي هلال، ط٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م: ٤٥٧.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤١٦.
(٦) ينظر: مفهوم (الصّورة) في الموروث العربي القديم (بحث منشور): د. ناصر حلاوي، مجلة الأقلام، العدد:٧، تموز ١٩٩٠م: ٣٢.
(٧) ينظر: من روائع القرآن: ١٩٧.

تصوير حيٌّ منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والأحاسيس، فالمعاني تُرسم وهي تتفاعل في نفوس آدميّة حيّة، أو في مشاهد من الطّبيعة تخلع عليها الحركة والحياة.

ويتحقق التّصوير الفني في النّص القرآني بوسائلَ متعددةٍ منها تلك القواعد التي استخلصت واستنبطت من أسلوب التّصوير القرآني، وتواضعَ عليها علماءُ البيان من استعارة، وتشبيه، ومجاز، وكناية، وتمثيل، فعلم البيان هو المَعنيُّ بدراسة وسائل التّصوير الفني[١]، والأساليب المجازيّة كلّها تُشكّل لوحات جزئيّة تتقاطع فيما بينها لتُكمل الصّورة العامّة للعمل الفنّي، والمجازُ ـ بمفهومه العام ـ سمةٌ للتعبير الأدبي؛ لما فيه من دقّة التّصوير وإخراج المعاني المجرّدة إلى المعاني المحسوسة، وهو وسيلةٌ هامّة للاتّساع اللغوي والتّحرر من الضّيق اللفظي، والانطلاق في عالم الخيال، فهو يضيفُ علاقات لغويّة توازنُ بين الألفاظ والمعاني في الشّكل والمضمون، وهو عنصرٌ أساسي من عناصر الابتكار وإنتاج الصّورة الأدبيّة، فـ((كلّ صورةٍ لا تنهضُ إلّا على أساسٍ من التّعبير المجازي، أي أنّه ليس ثَمّةَ صور تتشكّل من خلال المدلولات الحقيقيّة الوضعيّة للمفردات))[٢]، وبذلك يكون الأسلوب والنّمط المجازي مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بالتّصوير، وفيما يلي سيعرض هذا المبحث لألوان التّصوير البياني: التّصوير التّشبيهي، والتّصوير الاستعاري، والتّصوير التّمثيلي، في الآيات عيّنة الدّراسة.

١ـ التّصوير التّشبيهي:

التّشبيه لغةً: الشّبهُ والشّبيهُ: المِثلُ، وتشابه الشّيئان واشتبها: أشبه كلٌّ واحدٍ منهما الآخر[٣]. ويبدو من خلال الدّلالة اللغويّة للمصطلح أنّ هنالك عملية موازنة بين شيئين، هما: (المُشبّه، والمُشبّه به)؛ لما يجمع بين هذين العنصرين من علائق، والشيء الجامع بين الطّرفين والمشترك

(١) ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٢٣٧.
(٢) الصورة المجازية في شعر المتنبي (اطروحة دكتوراه): جليل رشيد فالح، جامعة بغداد ـ كلية الآداب، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م: ٣٩.
(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (شبه): ٢٣/٧ وما بعدها.

بينهما على صعيد الإدراك الذهني أو على مستوى ما هو قائم في الحقيقة بين الطرفين هو (وجه الشّبه) بينهما، الذي تأتي منه مقصديّة استعمال بنية التّشبيه[١].

واصطلاحاً: مَرَّ مفهوم التّشبيه على يد البلاغيين والنّقاد القدامى بمراحلَ عديدةٍ إلى أنْ اتّضحت معالمه، وأخذ ينمو باتّجاه معناه الاصطلاحي الحالي، وهو: ((الدلالةُ على مشاركةِ أمرٍ لآخرَ في معنى))[٢]، أو هو: ((صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهت كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنّه لو ناسبه مناسبة كليّة لكان إيّاه))[٣]، أي: أنّ شيئين اشتركا في صفة أو أكثر بينهما، واختلفا من جهة أو جهات أخرى، فالأوّل منهما يشبه الثاني وليس هو نفسه، وهذه الصّفات تجري على مستويات بمدى اتّفاقها أو اختلافها، وكثيراً ما يتأثّر التّصوير التّشبيهي بالسياق الذي تظهر فيه أطراف العملية التّشبيهيّة.

وقد عنى البلاغيّون بدراسة التشبيه عناية بارزة يلحظها المطّلع على كتب البيان؛ وذلك راجع إلى شيوع هذا الأسلوب وجريانه على ألسنة العرب، فضلاً عن كثرة وروده في القرآن الكريم[٤]، يقول المُبرّد (ت ٢٨٥هـ): ((والتّشبيه جارٍ كثيراً في كلام العرب، حتّى لو قالَ قائل: هو أكثرُ كلامهم، لم يُبعد))[٥]، ويشير الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) لأهميّته بقوله: ((اعلم أنّه مما اتّفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأنّ تعقيب المعاني به ـ يُضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذمّاً، أو افتخاراً، أو غير ذلك))[٦]، فالبلاغيّون يرون أنّ قيمة الإبداع الفنّي في النّصوص الأدبيّة تكمن في حُسن التّشبيه وجودته، والعلاقة التي يُحدثها بين المُشبّه والمُشبّه به، وتصويره الأشياء المعنويّة المجرّدة بصور حسيّة، فهو يسعى لإبعاد الغموض عن الأشياء الغامضة من خلال ربطها بأشياء محسوسة.

---

(١) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: الدكتور محمد عبد المطلب، ط١، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧م: ١٣٦.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٦٤.
(٣) العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م: ٢٨٦/١.
(٤) ينظر: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان: دكتور محمد أبو موسى، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م: ٢٥.
(٥) الكامل في اللغة والأدب: ٧٠/٣.
(٦) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٦٤.

وللتّشبيه طبقاتٌ مرتبطةٌ بمستوى المُتفنن والمُتلقّي، ومرتبطةٌ بقدرات التّواصل على طبقات المعنى في الكشف والوضوح عن مكنون المخبأ، وهو لونٌ من ألوان التّعبير الإنساني الذي عرفته الأمم جميعاً، وامتاز في البيان العربي بأنّه بداية الألوان البلاغية ذات الصبغة الفنيّة، التّصويرية.

وألوان التّشبيه تختلف في النّطق والإنتاج بحسب الموقف الذي تتطلّبه الصّورة والتّذوّق الجمالي[1]، فتشبيه شيءٍ بشيءٍ يُقصد به إثبات الخيال في النّفس بصورة المُشبّه به أو بمعناه. وتشبيه صورة بصورةٍ أحسن منها تجعل في النّفس خيالاً حسناً يدعو إلى التّرغيب فيها، أمّا تشبيه صورة بصورة شيءٍ أقبحُ منها فيثير في النّفس خيالاً قبيحاً من شأنه التّنفير عنها[2].

وقد كثُرت تشبيهات النّص القرآني، فجاءت التّشبيهات القرآنية المُصوّرة غاية في الرّوعة والجمال آسرةً لنفوس المُتلقّين، دقيقةً في اختيار الألفاظ المُصوّرة الموحية، على أنْ لا يُفهم من ذلك أنَّ توجّيه التّشبيه في القرآن الكريم توجيهاً جماليّاً فنياً فحسب، بل جاء مُوظّفاً توظيفاً مَوضوعيّاً تواصليّاً موحياً، فهو ليسَ حِليةُ أسلوبٍ تقعُ حيثما اتّفق وإنّما هو ((محاولةٌ بلاغيّةٌ جادّةٌ لصقل الشّكل، وتطوير اللّفظ، ومُهمّته تقريب المعنى إلى الذّهن بتجسيده حيّاً، ومن ثَمَّ فهو ينقل اللّفظ من صورة إلى صورة أخرى على النّحو الذي يُريده المُصوّر))[3]، فالتّشبيه له القدرة على التّفنن وإبراز الصّورة الفنيّة للشكل، وذلك عن طريق تسخير قدرته الخارقة في تلوين الشّكل بظِلالٍ مُبتكرة، لم تقع بحسّ قبله، ولا تُعرفُ بالبداهة، إلا بلحاظ مجموعة العلاقات الفنيّة في التّشبيه، وعند ضمِّ بعضها لبعضها الآخر تبدو محسوسة مُتعارفة، ذات قوّة وصفيّة، ومن هنا تُدرَكُ قدرة التّشبيه الإبداعيّة في تكييف الصّورة.

ومن التّشبيهات القرآنية المُصوِّرة قوله تعالى في سياق سرد مفاسد اليهود التي منها قسوة القلب، وهو من فساد الأخلاق والإيمان: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ

(1) ينظر: البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق: الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي، ط١، دار وائل، عمّان، ٢٠٠٣: ٩٥.
(2) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، ط١، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م: ١٢٤/٢.
(3) الصورة الفنية في المثل القرآني : ١٦٧.

مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، وفي (ذلك) إشارة إلى الأحداث التي كانت سبباً لهذه القسوة، ومن هذه الأحداث تكذيبُ قول الميّت الذي أحياه نبي الله عيسى (عليه السلام)، فأخبرهم بقاتله، والسبب الذي من أجله قُتِل، ثُمّ عادَ إلى موته، فأنكروا قاتله وكذّبوا هذه الآية[2]، فيصوّر المولى عزّ وجلّ هذه القطعة الصّنوبريّة الرّقيقة وكأنّها كتلة صخريّة قاسية، نتيجة لتراكم الرّين والأوساخ المعنويّة عليها، فكما أنّ الصّخور القاسية لا ينبت فيها الزّرع كذلك هذه القلوب لا تنبت فيها الحكمة والموعظة والخير أبداً فهي ليست موضعاً صالحاً للإنبات، فالحجارة يُمكن أن تعمل فيها العوامل الطّبيعيّة والسنن الكونيّة فتنفجر منها الأنهار منقادة بذلك للسنن الكونيّة التي أودعها الله تعالى في الأشياء، إلّا أنّ قلوب اليهود ليست فيها أيّ مزية من مزايا الحجارة، فتكون الحجارة بذلك أفضل من قلوبهم المريضة، وهذه الصّورة الماثلة تستهدف إبراز طبيعة العنصر اليهودي وقساوته، فالحجر الذي هو كتلة لا روح فيها قد يمتلك صفة الخشية من الله، وفي المقابل لا يمتلك اليهودي هذه الصّفة، مما يُبيّن خطورة صفة الكذب وأنّها أخطر أمراض القلب.

والتّصوير الرائع في قوله تعالى عن المشركين وانخداعهم بشركائهِم من دون الله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[3]، فهذه الصُّورة التّشبيهيّة تَلحُّ على الحِسِّ والوجدانِ، وتجتذبُ إليها الأنظارَ، فلا يستطيع أنْ يتحوّل عنها إلّا بجهد ومشقة؛ وهي من أعجب الصّور التي تستطيع أن ترسمها الألفاظ: شخصٌ حيّ شاخص، باسطٌ كفيه إلى الماء، والماء قريبٌ منه، يريد أن يُبلغَه فاه، ولكنّه لا يستطيع؛ لتساقطه من فُرجات الأصابع، ولو مَدَّ مَدَّةً فربما استطاع[4]، ((وما يتبع ذلك من الحسرة والتلهّف عند الظمآن حينما لا يبلغ مراده في شرب الماء، وما يعقب هذا من الغيض والألم والاستفزاز، وهي عواملٌ تؤثّر في نفس الإنسان))[5]، فيوردُ النّص القرآني هذا التّشبيه؛ لأثره النّفسي في الاستجابة لنداء الحقّ، ويبين أنّ الآلهة التي تُعبَدُ من دون الله لا تملك لهم شيئاً ولا تُنيلهم خيراً، وأنّ الجحودَ وعدم الإذعانِ للحقِّ يُورثُ الحسرةَ ويُفضي إلى النّدامةِ والتّلهّف للوصول إلى الخلاصِ دون فائدة.

---

(1) سورة البقرة: ٧٤.
(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٥/٢.
(3) سورة الرعد: ١٤.
(4) ينظر: التصوير الفني في القرآن: ٤١.
(5) الصورة الفنية في المثل القرآني: ١٧٣.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1]، صورتان تشبيهيّتان تجذبان الأنظار، فالأولى تصوّر أعمال الكافرين، فأعمالهم مهما كانت مُزخرفة خدّاعة فهي لا قيمة لها ولا يثابون عليها شيئاً، فهذه الصّورة الأخّاذة تستخدم الظاهرة القرآنية خداع السّراب المُلغم لتؤكّد بما تلقيه من ظلال تبدد الوهم الهائل، لدى إنسان مخدوع، ينكشف في نهاية حياته غضب الله الشديد[2]، فقد شُبّهت أعمال الكافرين بالسّراب الذي يقصده الضمآن فلا يجده، ووجه الشّبه بينهما هو عدم الانتفاع، فالكافر لا ينتفعُ بأعماله ذات البهرجة، فـ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[3]، كما لا ينتفعُ الضمآن بالسّراب الذي لا يروي عطشه، فالأعمال غير الخالصةِ لوجهِ اللهِ ولا تأخذ بنظر الاعتبار رضا الباري عزّ وجلّ لا تنفعُ في الآخِرةِ وإنّ الاعتماد عليها للوصول إلى برِّ النَّجاة سرابٌ في سرابٍ، فهو يخدع نفسه بنفسه وكذا حال الكافر يوم القيامة فهو لا يجد ما رجاه ويجدُ زبانية الله عنده فيأخذونه فيرمون به في جهنّم، وحينما يُخفق في محاولة الوصول لذلك الماء تصدمه الصّورة الثّانية وهي صورة الظُّلمات المُتراكمة في بحر عنيدٍ متلاطم الأمواج يعلوه سحابٌ، فتتكوّن بذلك طبقاتٌ من هذه الفوقيّات: الموج الذي فوقه موج، فوقه سحاب مظلم، فهو في ظلماتٍ ثلاث تفقده حاسّة البصر كما عُميت بصيرته من قبل عن إيجادِ سبيل الحقّ.

وقوله تعالى في سياق تصوير أحوال المنافقين، ومهاجمة عقائدهم الفاسدة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[4]، فيمضي القرآن في تصوير المنافقين وتحقيرهم، ويسخر من هذه الأجسام التي تغرُّ بمرآها، ولكنّها تحملُ قلوباً فارغةً خاويةً ضعيفةً، مِلؤها الجُبنُ، والخوفُ مُستَولٍ عليها، فهي تَهلَعُ لكلِّ صيحةٍ، وتَظنُّ العَدوَّ قادماً للإغارة عليهم[5]، فقد شبّههم النّص القرآني في خلوّهم من العُقولِ والأفهامِ بأخشابٍ مُسَنَّدةٍ بَعضها إلى بعضٍ لا رُوح فيها، ويَحسب

(1) سورة النور: ٣٩-٤٠.
(2) ينظر: الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز، ومحمود محمد شاكر، ط٤، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م: ٢٩٥.
(3) سورة المائدة: ٢٧.
(4) سورة المنافقون: ٤.
(5) ينظر: من بلاغة القرآن: ٢٧٢.

من رآها أنّها صحيحة سليمة من ظاهرها، إلّا أنّها نَخِرةٌ مُتآكلة في حقيقتها، وكذلك المُنافقُ مَعسولُ الكلامِ حَسنُ المَنظرِ يُعجب مَن نظرَ إليه، لكنّه فارغٌ من الرّوح، وقلبه خاوٍ لا خيرَ فيه، وهذا التّصوير ينبض بالحركة والحياة، يَنقلُ أعمالهم، ويُسجِّلُ كلامهم ويَصِفُ ما يختلج في أعماق نفوسهم، ويتبيّن من الآية المباركة أنّ النِّفاق أخطر الآفات التي قد يُصابُ بها الإنسان.

ويصوّر القرآن الكريم إعراض المشركين المجرمين عن القُرآن والحقّ، والابتعاد عنه بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾[1]، فيشبّههم بالحمير الوحشيّة النّافرة من أسد الغابة خشية افتراسها والفتك بها، فتصوير هذا المشهد العنيف النّابض بالحركة، الذي يتجسّد أمام المُتلقّي بهروب هذه الفئة وفرارها من كلّ اتجّاه هائمة على وجهها حينما تسمع القُرآن يُقرأ، فيحوّل البشر الذينَ هُم في صورة الآدميين إلى نوع من البهائم؛ لا لأنّهم مذعورون خائفون فحسب، بل لأنّهم يهربون من المُذكِّر الذي يدعوهم إلى ربّهم، ويُذكّرهم بمصيرهم، ويَبسط أمامهم الفُرص ليتّقوا ذلك الموقف المُزري المُهين، وذلك المصير الأليم، وفي هذا التّصوير ايحاء ببلاهة هذه الفئة وقلّة عقولهم، فهم لا يريدون إعمال عقولهم التي وهبهم الله إيّاها، وهي صورة قُرآنيّة متحرّكة نرى فيها ما يُحرِّكُ مشاعر المُتلقّي، وتنفعل نفسه مع هذه الصّورة التي يتملّأها الخيال في إطارٍ من الطبيعة وكأنّها تجسيدٌ للواقعِ

وقد يُقلبُ التّشبيهُ للمبالغةِ في المعنى فيكونُ الأصلُ فرعاً، والفرعُ أصلاً، فيُسمّى حينئذٍ (التشبيه المعكوس)، ويؤدّي لإيهام المُتلقّي بأنّ المُشبَّه أقوى في وجه الشّبهِ من المُشبَّهِ بهِ، فتعودُ الفائدةُ على المُشبَّه به، ويكون بذلك هو العنصر الأساس في العمليّة التّشبيهيّة؛ لأنّ في التّشبيه المقلوب ادعاء أنَّ المُشبّه أقوى وأتمُّ من المُشبَّه به في وجه الشّبه ، فيُولّد في بعض الصّور البحث عن وجه الاختلاف بين المشبّه والمشبّه به لا عن وجه الشبه[2]، فالتّشبيه المقلوب يقوم على خرق قانون التّشبيه المألوف والمتعارف عليه وفق الرؤية البلاغيّة، فيكون له بذلك الدّور الكبير في تصوير الأحاسيس وتوضيح المعاني وتكثيفها.

---

(1) سورة المدثر: ٤٩-٥١.

(2) ينظر: علوم البلاغة: ٢٣٦، وينظر: فن التشبيه: علي الجندي، ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٢م: ٢٧١/١-٢٧٢.

ومن هذا التّشبيه قوله تعالى عن الفساد الاقتصادي المتمثل بالرّبا الذي نهى الله تبارك وتعالى عنه، وشدد حرمته: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]، الخبط: هو المشي على غير استواء، يقال: خبط البعير إذا اختلت جهة مشيه[2]، والخبط الذي يُبتلى به المُرابون كخبط المجنون الذي مسّه الشيطان، والذي اختلت قواه العقليّة المميّزة، فلا يميّز بين الحسن والقبيح، والخير والشّر، والنّافع والضّار، فالمُراباة تضطرّهم إلى أن يختلَّ عندهم أصل المعاملة، فلا يُفرّق حينئذٍ بين البيع والرّبا[3]، وقولهم ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ﴾، تشبيه مقلوب، والأصل فيه أن يقال: إنّما الرّبا مثل البيع، لأنّ الكلام في سياق الحديث عن الربا لا في البيع، فقد جعلوا الربا في باب الحلّ أقوى حالاً وأعرف من البيع[4]، وإنّما قلبوا التّشبيه وجعلوا الرّبا أصلاً شبّهوا به البيع لأجل المبالغة، وهذا التّصوير المُرعب المتجسّد بالصّورة التي يرسمها النّص القرآني هي صورة واقعيّة في حياة البشر وليس قيام يوم البعث؛ والدّليل على ذلك سياق الآيات التي تلي هذه الآية التي صرّحت بحرب من الله ورسوله الكريم (صلّى الله عليه وآله) للمُرابين في حال لم ينتهوا عن أخذ الرّبا، ويستحضرها النّص القرآني لإفزاع الحس، واستجاشة مشاعر المُرابين، وهزّ وجدانهم هزّة عنيفة تُخرجهم عن واقعهم الاقتصادي المألوف الفاسد[5].

ومنه قوله تعالى أيضاً: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[6]، فقد خالفت الصّورة التّشبيهيّة أصلها في الآية، فالأصل فيها: المُفسدين كالذين آمنوا، والفُجّار كالمُتّقين، وذلك إنّ الكافرين كانوا يقولون: نحنُ نسودُ في الآخرة كسيادتنا في الدُّنيا، ويكونون ـ المسلمين ـ أتباعاً لنا، فكما أعزّنا الله في هذه الدّنيا كذلك يُعزّنا في الآخرة، فجاءت هذه الصّورة الكلاميّة جواباً على معتقدهم ردّاً بليغاً مُقنعاً[7]، والاستفهام في الآية المُباركة استفهام إنكاري، أي: لا يستوي المؤمنين مع المفسدين، ولا المتقين مع الفجار.

---

(1) سورة البقرة: ٢٧٥.
(2) ينظر: المفردات في غريب القرآن، مادة (خبط): ٢٧٣.
(3) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤١٥/٢.
(4) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٤٤.
(5) ينظر: في ظِلال القرآن: سيد قطب، ط٣٢، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م: ٣٢٣/٣ـ٣٢٤.
(6) سورة ص: ٢٨.
(7) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٢٨/٣.

ومما تقدّم يُلحظ أنّ مجيء التّشبيه في النّص القرآني يُعدُّ أحد العناصر الهامّة في تصوير النّص القرآني؛ لما يحمل هذا الفن من شحنات دلالية توجّه عناية المُتلقّي لرصد العلائق القائمة بين الشّيئين وما تؤدّيه هذه العلائق من تحوّل من المستوى الذّهني للدلالة إلى المستوى الحسّي أو العكس.

٢ـ التّصوير الاستعاري:

تُعدّ الاستعارة من أبرز الموضوعات التي شغلت الدّارسين باختلاف أطيافهم، وتعدد مرجعيّاتهم الفكريّة، فلقد حظيت باهتمامٍ كبيرٍ من لدن الفلاسفة والمناطقة والبلاغيين القدامى، فعملوا على دراستها وتعريفها، وإظهار مواطن حسنها وجماليّتها، وبيان بلاغتها، وتباروا في تقسيمها، وفي بيان أغراضها وأهدافها، والعلاقة بيها وبين سائر الصّور البلاغيّة، فاللاستعارة أهميّة بالغة في العمل الأدبي؛ نظراً لما تنطوي عليه من وظائف تُكسب المعنى قيمة فنيّة وجماليّة، فضلاً عن قيمتها التّعبيريّة، فهي تنقل المعنى من حيّزٍ إلى حيّزٍ آخر، كما تُضيف للكلام رونقاً وزخرفاً خاصاً وكذا ما تضيفه من معنى ودلالة[١]، وتحوي الاستعارة على طاقة إيحائيّة تصويريّة في أداء المعنى وهذه الطّاقة تستطيع تغيير حقيقة المُشبّه وتُخيّل أنّه صار إلى غير جنسه.

والاستعارة من أهم عناصر تشكيل ورسم الصّورة في النّص الأدبي، وهي أكثر ضروب التّصوير عند البيانيين بالنسبة إلى غيرها من الصّور البيانيّة، ولعلّ ذلك راجعٌ إلى ما صرّح به الجرجاني (ت ٤٧١هـ) من أنّ الاستعارة ((تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتّى تخرج من الصَّدَفة الواحدة عدّة من الدّرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثَّمر))[٢]، فهي تمنح التّصوير بُعداً فنيّاً بارزاً، فتربط بذلك بين الواقع والخيال.

الاستعارة لغة: الاستعارة في اللغة مأخوذة من العارية، قال الخليل (ت ١٧٥هـ): ((العارية: ما استعرت من شيءٍ ، سُمّيت به؛ لأنّها عارٌ على من طلبها، يقال: هم يتعاورون من جيرانهم

(١) ينظر: الاستعارة بين الرؤية البلاغية والممارسة التداولية (بحث منشور): حمزة لكحل، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد: ١٥، العدد: ١، ٢٠٢٢م: ٢٠٩ـ ٢١٠.
(٢) أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تعليق: السيد محمد رشيد رضا، ط٢، منشورات الرضي، قم، ، ١٤٠٤هـ: ٣٣.

الماعون والأمتعة. ويقال: العارية من المعاورة والمناولة. يتعاورون: يأخذون ويُعطون))[١]، فهي تدلّ على التّبادل في الأشياء الذي يكون بين اثنين.

واصطلاحاً: يعرّفها أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) بأنّها: ((نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض))[٢]، أمّا عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) فقد عرّفها بقوله: ((اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أنْ يكونَ للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشّواهد على أنّه اختصّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازمٍ، فيكون هناك كالعارِية))[٣]، والجرجاني يرى أنّ الاستعارة من أصعب الأشياء مِراساً وأبعدها انقياداً، وهي قائمة في نظره على النّقل، وعمليّة النّقل تحتاج إلى قدرة عالية على رؤية حقائق الأشياء التي تدلّ عليها الألفاظ[٤]، وهذا التّعريف الاصطلاحي يتّفق مع المعنى اللغوي، فهو نقل اللفظ عن أصله إلى غيره على سبيل الإعارة لا النّقل الدّائم.

وتحقق الاستعارة التّوسّع في المعنى، ولها القدرة على بثِّ الحياة في الأشياء الجامدة غير الحيّة حيث تزداد فاعليّتها في البناء الشّعري لاسيّما عندما توظّف آليات متعددة كالتّجسيد والتّشخيص والتّجسيم والإيحاء والحركة، فتعمل على صنع بناء فنيّ متكامل وليس مجرد إطار شكلي؛ فهي قائمة على إدخال المشبّه في جنس المشبّه به مما يؤدّي إلى إيجاز قائم على زيادة المعنى والتّقليل من المبنى وهذا يعطي ((الكثير من المعاني باليسير من اللفظ؛ حتّى تخرج من الصّدفة الواحدة عدّة من الدرر؛ وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثَّمر))[٥]، وهي من أبلغ وأجود الألوان البيانيّة وأروعها، وترجع بلاغتها إلى حُسن تصويرها وانتقاء ألفاظها[٦]، وإيضاحها للمعنى وإيجازها في أدائه.

والخِطاب القرآني قد مارسَ من خلال الاستعارة وأنواعها إيضاحيّة تأثيريّة إقناعيّة عن طريق تثوير المعاني في الذهن ضمن آلية لن تتحقق إذا كان الخطاب مبنيٌ على الحقيقة، فقد كثر في

---

(١) العين، مادة (عور): ٢٥٣/٣.
(٢) كتاب الصناعين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر العربي، (د ت): ٢٧٤.
(٣) أسرار البلاغة: ٢٢.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣١.
(٥) المصدر السابق: ٣٣.
(٦) ينظر: الاستعارة نشأتها وتطورها ـ أثرها في الأساليب البلاغية: د. محمد سيد شيخون، ط٤، القاهرة، ١٩٨٤م: ١٠٩.

القرآن الكريم التّعبير عن الأمور المعنويّة بصور محسوسة لتُلقي عليها أشعّة الضّوء فتصبح شديدة الأثر في نفس المُتلقّي.

أقسام الاستعارة:

قسّم البلاغيّونَ الاستعارةَ من حيث ذكر طرفيها إلى نوعين متميّزين، هما:

أ- الاستعارة التّصريحيّة: هي ما صُرّحَ فيها بلفظ المُشبّه بهِ، أو ما استعير فيها لفظ المُشبّه به للمُشبّه[١]، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢]، وحقيقة الختم: الوَسم بطابعٍ أو غيره مما يُختم به[٣]، وهو وضعُ محسوسٍ على محسوسٍ سيحدثُ بينهما رقماً يكون علامة للخاتم، فاستُعيرتَ صفة الختمُ المادّي الذي هو سَدُّ الشيء وغَلقُه للقلب والسّمع؛ للدلالة على الانغلاق التّام الذي يسيطر على عقليّة الكافر، حيث لا أمل في صلاحه، لأن القلب ـ وهو مركز الهداية ـ قد خُتمَ عليه، والسّمع الذي هو مركز المعرفة قد ضُربَ عليه[٤]، وقد رسمت هذه الصّورة شخصيّة الكافر الذي قد قُفل وأغلق قلبه أمام الفَهم وإدراك الحقائق؛ نتيجة لتعنّته وإعراضه عن الحق.

وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٥]، نزلت الآية في رجلٍ من بني إسرائيل اسمه بلعم بن باعوراء آتاه الله الاسم الأعظم، ثُمّ مال إلى قوم فرعون ودعا على نبي الله موسى (عليه السلام) بأمرٍ من فرعون فنسيَ الاسم الأعظم[٦]، وفي الآية المباركة استعارة تصريحية، فقد استعير (الانسلاخ) الذي هو كشط الشّيء وخروجه، كانسلاخ الحيّة من جلدها[٧]، وعبّر بها عن مدى التّخلّي التّام عن آيات الله، وقد صوّر حالة النّزع الشّديد في مفارقتها، والتّملّص من هذه الآيات، وقد لعبت هذه الاستعارة دوراً هامّاً في رسم صورة هذا الشّخص وتلاشي عناصر الخير عنده وتجرّده منها تجرّداً كاملاً يوحي بكيفية تجرّد

(١) ينظر: علم البيان: د. عبد العزيز عتيق، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، (د ت): ١٧٦.
(٢) سورة البقرة: ٧.
(٣) ينظر: البحر المحيط: ١٧٢/١.
(٤) ينظر: دراسات فنية في صور القرآن: الدكتور محمود البستاني، ط١، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤٢١ق ـ ١٣٧٩ش: ٥ـ ٦.
(٥) سورة الأعراف: ١٧٥.
(٦) ينظر: البرهان في تفسير القرآن: ٦١٥/٢-٦١٦ ، وينظر: تفسير العياشي: ١٧٦./٢
(٧) ينظر: العين، مادة (سلخ): ٢٦٣/٢.

الشّاة عن إهابها، ونزعها لردائها أثناء السّلخ في بطء وتدرّج وشدّة حتى عادت سنخاً آخر في الهيكل والصّورة والتّحوّل، وكذلك حقيقة هذا الرجل إذ تحوّل إلى حقيقةٍ أخرى جوفاءَ مُترهّلة[١]، حتّى كأنّه تحوّل إلى صورةِ شخصٍ آخر.

ومن مظاهر التّصوير الاستعاري تجسيمُ المعنويّاتِ وتَضخيمها، وإبرازها كأنّها أجسامٌ أو محسوسات تتضاخمُ وتتعاظمُ حسبما يقتضي الجوُّ والمشهدُ حتّى تملأ النّفس شعوراً وإحساساً، وهذه الظّاهرة تمثّل وعياً جماليّاً وفكريّاً ((يقودُ الصّورة الأدبيّة إلى مزيد من الإبداع اللغوي الجمالي في أطر أسلوبية مغايرة موسومة بالإدهاش، والطّرافة وبثّ الحياة في الجمادات والحيوانات غير العاقلة فضلاً عن ذلك فهو مظهر من مظاهر شحن العقل وتأكيد إبداعه))[٢]، فتكون المعاني بذلك ملموسةً للمتلقّي، وأكثر وضوحاً ودقّة لديه.

وذلك نحو قوله تعالى عن أثر الخطايا والسيّئات على الإنسان: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣]، استعارة تصريحيّة[٤]، حيث شبّه الخطايا لكثرتها واجتماعها عليه بجيشٍ من الأعداء قد أحاط به، واستعار لفظة الإحاطة لغلبة السيئات على الحسنات، وهذه ميزة من مميزات التّعبير القرآني، وسمة واضحة من سماته تجعل له وقعاً في النّفس يختلف عن وقع المعاني الذّهنيّة المُجرّدة.

ومنها قوله تعالى في الحديث عن فرعون وقومه: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٥]، ففيه استعارة تصريحية[٦]، حيث شبّه الآيات بالإنسان، فحُذف المُشَبَّه بهِ ـــ الإنسان ـــ ورُمز له ببعض لوازمهِ وهو الإبصار، فصوّر بذلك الآيات وشخّصها وجعل لها أعيُناً ترى وتُبصر بِها، وهو تصوير بديعٌ في غاية الرّوعة، يجذب المتلقّي ويُحرّكُ مشاعِرَهُ.

---

(١) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني: ٢٠٢.
(٢) قراءات بلاغية: الدكتور فاضل عبود التميمي، ط١، دار الضياء، النجف الأشرف، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م: ١٣٦.
(٣) سورة البقرة: ٨١.
(٤) ينظر: الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه: ١٧٦/١.
(٥) سورة النمل: ١٣.
(٦) ينظر: الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه: ١٤٦/١٩.

ب ـ الاستعارة المكنيّة: ((هي ما حُذف فيها المُشبّه بهِ أو المُستعار منه، ورُمِزَ له بشيءٍ من لوازمه))[1]، أي إنّ المُحتجب فيها لفظ المُشبّه به. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، حيثُ شبه حب عبادة العجل بمشروبٍ لذيذٍ حلو المذاق، وحذف المشبه به وذكر شيء من لوازمه وهو الإشراب على سبيل الاستعارة المكنية، فقد وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأن قلوبهم تشرّبت حبه.

وكذا تُقسّم الاستعارة باعتبار الملائم إلى:

أ ـ الاستعارة المُرشّحة: وهي التي يذكر معها صفات تُلائم المشبّه به، أي المستعار منه[3]، فهي مبنيّة على تناسي التّشبيه، حتّى كأنّ الموجود في نفس الأمر هو المُشبّه به لا المُشبّه.

ومن أمثلة هذه الاستعارة قوله تعالى في سياق الحديث عن المنافقين وتعداد صفاتهم المميزة لهم من أنّهم يدّعون الإيمان بالله وليسوا بمؤمنين، وهم يخادعون الله والمؤمنين، وقلوبهم مريضة بأمراض الكبر والحسد والشرك، وغيرها من الأمراض الأخلاقيّة، وإذا نهاهم المصلحون عن الإفساد في الأرض ادّعوا بأنّهم مصلحون، وهم يُسفّهون المؤمنين ومعتقداتهم، وبذلك تكون نتيجة أعمالهم كما وصفهم الباري عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[4]، ففي هذه الآية استعارة تصريحية مُرشّحة في لفظة (اشتروا)، فقد شبّه الله عزّ وجلّ اختيار هؤلاء الضّلالة بالاشتراء وهو نوع من المعاملات الاقتصاديّة، فالمشبّه هو الاختيار، والمشبّه به هو الاشتراء، وقد استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار بجامع أحسن الفائدة في كليهما، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي هي (الضلالة)، وإذا تأملنا هذه الاستعارة رأينا أنّه قد ذُكِرَ معها شيء يلائم المشبه به (الاشتراء) وهذا الشيء هو (فما ربحت تجارتهم) ومن أجل ذلك تسمى استعارة مُرشّحة[5].

---

(1) علم البيان: ١٧٦.
(2) سورة البقرة: ٩٣.
(3) ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٥٨٦.
(4) سورة البقرة: ١٦.
(5) ينظر: علم البيان: ١٨٦ـ١٨٧ ، وينظر: الصور البيانية بين النظرية والتطبيق: الدكتور حفني محمد شرف، ط١، دار نهضة مصر، الفجالة ـ مصر، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م: ٣٥٥.

ب ـ الاستعارة المُجرّدة: وهي ما ذُكر معها ملائم المُشبّه، أي المستعار له، وسُميّت مجرّدة؛ لتجريدها عن المُبالغة[١]، ومن هذه الاستعارة قوله تعالى عن الفساد الذي يتمظهر بكفر النِّعم التي يُنعمها الله تعالى على الإنسان: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٢]، فالذوق: ((وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يَقلُّ تناوله دون ما يكثر، فإنّ ما يكثر يُقال له الأكل))[٣]، وهو حاسّة من حواس الكائنات الحيّة، وقد استعير لفظ (الذوق) للعذاب، والجامع بينهما ـ ذوق الطعام وذوق العذاب ـ هو وجدان الطّعم والإحساس به[٤]، وكذلك استعارة (اللباس) للجوع وللخوف، وهو من خصائص الإنسان، فكأنّ العذاب يشملهم كما يشمل اللباسُ جسمَ الإنسان .

ت ـ الاستعارة المُطلَقة: وهي ما خلت من ملائمات المُشبّه والمُشبّه به، وهي كذلك ما ذكر معها ما يلائم المُشبّه والمُشبّه به معاً[٥]، فهي ما لم تقترن بملائم، أو اقترنت بملائم للطرفين.

ومن هذه الاستعارة قوله تعالى في بعض صفات المفسدين: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٦]، فقد استعير (القطع) وهو أمر حسّي، إلى ترك البرِّ وهو أمر عقلي، واستعير (النّقض) وهو الحَلُّ إلى عدم الوفاء بالعهود، ((والنّهي عن قطع الرَّحم إنّما هو نهي عن قطع صلتها، فهو قطع مجازي؛ لأنّ القطع الحقيقي هو فصلُ جرمٍ عن جرمٍ))[٧]، وكذلك بالنسبة إلى نقض الميثاق، فالنقض الحقيقي ((إزالة التّأليف والالتيام ثمّ تشبّه به ترك الوفاء بمقتضى العهود والعقود، شبّه العهد والعقد بشيء ألّف مُحكماً ثمّ أُزيل تأليفه بنقضه مع أنّ بقاء تألفه أصون من نقضه، والعهود في نفسها لا تنقض إنّما تُنقص أحكامها))[٨]، فلم يُذكر في هذه الاستعارة ما يُلائم أحد الطّرفين.

---

(١) ينظر: أساليب البيان في القرآن: ٥٨٣.
(٢) سورة النحل: ١١٢.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ذوق): ٢٠٥.
(٤) ينظر: موسوعة أساليب المجاز في القرآن الكريم: الأستاذ الدكتور أحمد حمد محسن الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧م: ٣١٤.
(٥) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، (د ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٤م: ٢٧٢.
(٦) سورة البقرة: ٢٧.
(٧) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي (ت ٦٦٠هـ)، (د ط)، دار الطباعة العامرة، استانبول، ١٣١٢هـ:٦٩.
(٨) المصدر نفسه: ٧٠.

إنّ الدّور الذي تلعبه الاستعارة إنّما هو دورٌ فعّال، إذ يقوم على تحريك عجلة الانتقال من المعاني التخييليّة التّجريديّة إلى المعاني الحسيّة المُجسَّمة التي تُدرك عن طريق الحواس من جهة، ومن جهة أخرى تساعد على الانتقال من المعاني المحسوسة إلى معانٍ روحانيّة ذات طابع تخييلي، وهي بذلك كلّة تهدف إلى استمالة النّفس والتأثير فيها، ((فالاستعارة مقوّمٌ ذهني نتمكّن بواسطته من الإمساك بما ينأى عن قدراتنا المفهوميّة، إننا نستطيع بما هو أقرب وبما هو واقعٌ تحت سيطرتنا، التّمكّن الذّهني مما هو بعيد وأشدّ انفلاتاً. الاستعارة هي ذراعٌ إضافيّة لذراعنا الذّهنيّة، وهي تمثّل في المنطق، قصبة الصّيد أو البندقيّة))[١].

وقوله تعالى عن بعض صور الفساد العقدي عند بعض النّاس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[٢]، فقد حمله الشّريف الرّضي على التّصوير الاستعاري[٣]، صوّر الله سبحانه في هذه الآية حال المتردد في عبادته بأنّه يعبدُ اللهَ على حرفٍ، وأصل الحرف طرف الشيئ وحافته، كحرف الجبل، وحرف الطّريق وحرف الجيش، وأريد به هنا تشبيه حال المنافقين المترددين في دينهم يريدون تجربة العاقبة فشأنه شأن من يمشى على طرف الجبل أو الوادي متهيئ للسقوط، فصورة الحركة الجسديّة المتأرجحة القابلة للسقوط عند أدنى دفعة، فالخيار يكاد يجسّم هذا الحرف ويتخيل الاضطراب الحسّى في وقفتهم وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب على الوجه، وإن هذه الصورة لترسم التزعزع بأوضح ما يؤديه وصف التزعزع لأنّها تنطبعُ بالحس وتتصلُ بالنفس[٤].

إنّ حركة الانقلاب على الوجه ـ هنا ـ تصوّر حالة نفرٍ من النّاس دخلوا الإسلام دخولاً غير مطمئن ولا واثق، إنّه إسلام المنفعة الذي يقيس العقيدة بمقياس الرّبح والخسارة في الدّنيا، ومن ثَمَّ فهو لا يصمد أمام المُلمّات، وقد صوّرهم القرآن بأنّهم على حرف أي على طرف من الدّين لا في وسطه وقلبه، وإنّما عبر بالفتنة مع أنّ الخير يقابله الشَّر لمعنى لطيف فلفظ الفتنة أنسب بحالهم، لأنّه ليس واثقاً بالإيمان فلو صرّح بلفظ الشرِّ لتوهّم أنّ المكان يعتذر له، فإنّ الطّبع الإنسانى جارٍ

(١) فضاءات الاستعارة وتشكلاتها في الشعر والخطابة والعلم والفلسفة والتاريخ والسياسة: محمد الولي، تقديم: الدكتور محمد العمري، ط١، فاليه للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م: ١٨.
(٢) سورة الحج: ١١.
(٣) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، تحقيق وتقديم: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٩٥م: ٢٣٧.
(٤) ينظر: التصوير الفني: ٤٥ـ٤٦.

على النَّفرة مما يكرهه ويسوئه، ولفظ السُّوء دلالة صريحة على ذلك، ولهذا جئ بلفظ أعمّ وأشمل ينتظم فيه الخير والشَّر[١].

فالانقلاب حركة حسيّة لكنّها فى هذا السِّياق نازعة إلى أغوار النَّفس لتلتقط الانفعالات السَّلبيّة التي صاحبت حركة الفرار، ولهذا قال سبحانه: انقلب على وجهه دون انقلب على عقبيه إذ ليس المراد الرجوع والعودة، وإنّما القصد الانتكاس إلى العكس، ولا شكّ في أنّ آخر الآية يجمع خسرانه في الدنيا والآخرة معاً، وفي هذا مبالغة في تصوير سوء حاله، فقد جمع عموم الضرر وحرمان النفع، ثم حصر الخسران في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ تقريراً لمدلوله في الأذهان، فهو خسران لا يمكن لأحدٍ تصوّره، وقد جاء أسلوب القصر في النهاية لتحقيق الخبر وتقريره، يعاونه على ذلك ضمير الفصل (هو)[٢].

وإذا تأملنا صورة من يعبدون الله على حرفٍ رأيناهم كأنّهم وقوفٌ على حافّة هاوية ، تتحرك أجسادهم لأقلِّ ريحٍ، وتَتعثرُ أقدامَهُم لأقلِّ عَثرةٍ وحين نَضمُّ هذه الصُّورة إلى صورةِ مَن ينقلبُ على وجهه يتجسّم مشهد هؤلاء أمامنا وقد انقلبوا على وجوههم، لأنَّ الأرضَ التي وقفوا عليها ليست ثابتةً ولا مطمئنَّة، فجاء التَّعبيرُ بالانقلاب على الوجه هنا تعبير عن الارتداد عن الدّين والعودة إلى ما كانوا عليه مِن كفرٍ وضلالٍ، وتتدرج الآية هنا في التّصوير؛ لأنّ الوقوف على الحرف جاء تمهيداً للسقوط والانقلاب على الوجه.

ولنَنظُر إلى التّصوير الاستعاري الحركي في قوله تعالى في سياق الحديث عن الأقوام المفسدة، مثل قوم عاد وثمود، وقوم فرعون: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[٣]، فمع ما في هذه الصّورة الاستعاريّة من دقّة التّصوير، وروعة التّعبير، تجدُ فيها ما يهزُّ النّفس، ويُرعب القلب؛ وذلك لما حملته من معاني التّنوّع والكثرة في العذاب، من خلال الفعل (صَبَّ) الذي يختزن دلالات الإراقة بكثرة، والانهمار الشّديد للعذاب، والغزارة وتمركزها على رأس هؤلاء المُعذّبين، وأيضاً من خلال

(١) ينظر: من أسرار النظم القرآني في سورة الحج: د. محمد علي أبو زيد، ط١، دار الأرقم، ١٤٠٩هـ: ٥٠.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٢.
(٣) سورة الفجر: ٦-١٣.

كلمة (سَوط) التي تحمل في طيّاتها معاني الشِّدّةِ والألم[١]، وإنّما ذُكر السّوط للإشارة ((إلى أنّ ما أحلّه بهم في الدّنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعدَّ لهم في الآخرة كالسّوط إذا قِيسَ إلى سائر ما يعذّب به))[٢]، فأشدُّ ما يُعذَّبُ به الإنسان آنذاك هو السَّوط، وما هذا العذاب المُتكرر إلّا جزاء فسادهم المُتكرر، فالعذاب يكون من جنس العمل بطبيعة الحال، لتكون هذه الاستعارة درساً قاسياً لكلِّ مَن تُسوّل له نفسه الإفساد في الأرض، فهي تبعث كمّاً هائلاً من الرُّعب والخوف.

٣ـ التّصوير التّمثيلي:

يعتمدُ التّصوير التّمثيلي مجموعة من العلاقات المُتضافرة التي تتواصل فيما بينها لتكوين شبكة تصويريّة تقوم بدورها في التّعبير عن القضايا الدّينيّة التي جاء القرآن الكريم لترسيخها في الأذهان، وتعميقها في القلوب، فالأمثال القرآنية تُشكّل مجموعة تصويريّة لها طابعها المميّز وطريقتها الخاصّة في التّعبير عن المعاني الدّينيّة، بحيث يصبح التّحوّل الأسلوبي فيها إيذاناً بتغيير وظيفة الصورة[٣].

التّمثيل لغةً: يدلُّ الأصل اللغوي لمادة (م ث ل) في المعجمات العربيّة على الشّبه والمساواة، والنّظير، والتّصوّر، قال الخليل (ت ١٧٥هـ): ((المَثَلُ: الشيءُ يُضرَبُ للشيء فيُجْعَل مِثْلَه. والمَثَلُ: الحديث نفسُه... **والتَّمثيل:** تصويرُ الشيءِ كأنَّه تنظُر إليه. والتِّمثال: اسْمٌ للشيءِ المُمَثَّل المُصَوَّر على خِلْقةِ غيره))[٤]، وفي اللسان: ((مَاثَلَ الشيءَ: شَابَهَهُ. والتِّمْثَالُ: الصُّورةُ، وَالْجَمْعُ التَّمَاثِيل. ومَثَّلَ لَهُ الشيءَ: صوَّره حَتَّى كأَنه يَنْظُرُ إِليه. وامْتَثَلَه هُوَ: تصوَّره. والمِثَالُ: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ أَمْثِلَة ومُثُل. ومَثَّلْتُ لَهُ كَذَا تَمْثِيلًا إِذا صوَّرت لَهُ مِثَالَهُ بِكِتَابَةٍ وَغَيْرِهَا))[٥]، فقد تبيّن مما تقدّم أنّ المعنى اللغوي للتمثيل يصبُّ في بوتقة التّشبيه والمساواة.

واصطلاحاً: هو ما كان وجه الشَّبه فيه منتزعاً من أمرين أو عدّة أمور يُجمع بعضها إلى بعض، ثُمَّ يُستخرج من مجموعهما وجه الشَّبه، فتحدثُ بذلك صورة غير ما كان لها في حال

(١) ينظر: التكثيف البلاغي في في القرآن الكريم (جزء عمَّ) دراسة بلاغية أسلوبية (رسالة ماجستير)، أحمد محمد إدعيس دعسان، الجامعة الهاشمية، الأردن، كانون الأول ٢٠٠٨م : ٤٤.
(٢) الكشاف: ٣٧٠/٦.
(٣) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم: :١٥٥.
(٤) العين، مادة (مثل): ١١٨/٤.
(٥) لسان العرب، مادة (مثل): ٢١/١٣ وما بعدها.

الإفراد، ووجه الشَّبه حينئذٍ لا يحتاجُ إلى تأويل[١]، فوجه الشّبه في التّمثيل متعدد وليس محصوراً بصفة واحدة.

ولعلّ قُدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) كان أوّل من ذهب إلى التّفريق بين التّمثيل والتّشبيه، وهو بمنظوره من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى، قال في تعريفه: ((هو أنْ يريد الشّاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدلُّ على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام مُنبئان عمّا أراد أن يشير إليه))[٢]، وجاء بعده ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) وفسّره كتفسير قُدامة [٣]، وبلاغة التّمثيل عند ابن سنان راجعة إلى الإيجاز، وإيضاح المعنى وإخراجه إلى الحِسِّ والمُشاهدة؛ لأنَّ المِثال لا بُدَّ من أنْ يكونَ أظهرُ من المُمثّل[٤].

ويأتي عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ((ليقفز بمصطلح التّمثيل من ارتباطه المُباشر بالدّلالة اللغويّة، وتأهليه بلاغيّاً على نحوٍ يُقاربُ معه مفهوم الصّورة))[٥]، فيتجلّى ويتّضحُ عنده مفهوم التّمثيل، ويُفرّقُ بينه وبين التّشبيه بقوله: ((فاعلم أنّ التّشبيه عامٌّ والتّمثيل أخصّ منه، فكل تمثيلٍ تشبيهٌ، وليس كلّ تشبيهٍ تمثيلاً))[٦]، ويُحدّثنا عن بلاغة التّمثيل وأهمّيته في عملية التّصوير الفنّي، فيقول: ((إنّ التّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونُقلت عن صورها الأصليّة إلى صورته، كساها أُبَّهة، وكَسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثارها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطِّباع على أن تعطيها محبّة وشغفاً))[٧]، فيشير بذلك إلى أهميّة التّمثيل في إثارة وتحريك نفس المُتلقّي.

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان: ٧٠ـ ٨٠ ، وينظر: الصور البيانية بين النظرية والتطبيق: ١٢٣ـ ١٢٤.
(٢) نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ)، ط١، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٣٠٢هـ: ٥٨ـ٥٩.
(٣) ينظر: سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢: ٢٣٢.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٥) مصطلح التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني (بحث منشور): أ.د محمود سليم محمد هياجنه، حولية كلية اللغة العربية، المنوفية، العدد: ٣٥، ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م: ٣٢٧.
(٦) أسرار البلاغة: ٧٥.
(٧) المصدر السابق: ٩٢ـ٩٣.

أمّا ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) فقد ذهب إلى المساواة بين التّشبيه والتّمثيل وعدم التّفريق بينهما، فقال: ((وجدتُ علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا باباً مفرداً، ولهذا باباً مفرداً، وهما شيء واحدٌ لا فرق بينهما في أصل الوضع، يُقال: شبّهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يُقال: مثّلته به))[١]، فهما عنده بمثابة شيء واحدٍ لا فرق بينهما.

ومن التّصوير بالتّمثيل قوله تعالى في حديثه عن المنافقين وصفاتهم: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[٢]، فهو تمثيلٌ لحالِ هؤلاءِ المُنافقين بحال من أوقد ناراً؛ لتنير له دربه إلّا أنّه تفاجئ بأنّ هذه النّار أضاءت جزءاً بسيطاً مما حوله إضاءة مؤقّته، وبقي بعدها في ليلٍ حالك لا يرى فيه شيئاً، وهذه الصّورة التّمثيليّة تهدف إلى إيجاد العلاقة بين أحلام المُنافق من جهة وبين مستوقد النّار من جهة أخرى، فلك أنْ تتخيّل مدى الانشطار والتّمزّق في شخصيّة المُنافق، فهو يعقدُ علاقات اجتماعيّة مع المؤمنين مبتغياً من ذلك منافعه ومكاسبه الماديّة، ويرسم شتّى الخطط التي تمثّل مهاداً لهذه العلاقة، ويعقد عليها آمالاً كبيرة، ويرى أنّ أحلامه المرسومة بدأت تتحقق الآن، لكنّ هذا الأمل ينطفأ في لحظة عين، وتتلاشى بذلك جميع المساعي التي بذلها لتحقيق أهدافه الشخصية، فيعصفُ به اليأس من تحقق أحلامه التي من أجلها مارس النّفاق[٣]، وللقارئ أنْ يتخيّل صّورة شخصٍ في الفلاة و يخيّم عليه الظّلام الحالك ولا يستطيع إيقاد ما ينير طريقه، فكم سيرى من الفزع والهلع!

أمّا الصّورة التمثيليّة الثانية المعطوفة على الأولى بحرف (أو) فإنّ الحركة فيها تغمرُ المشهد كُلّه، فحركات المطر الهاطل، والظُّلمات المُتراكمة، والرّعد الصّارخ بالأصوات المُجلجلة، والبرق الخاطف بالصّواعق المُحرقة، والحائرين المفزعين، ترسم بواسطة التّأثير الإيحائي حركة التّيه والاضطراب والقلق التي يعيشها أولئك المنافقون بين لقائهم للمؤمنين وعودتهم إلى شياطينهم، بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة، بين ما يطلبون من هدى ونور وبين ما يفيئون إليه من

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١١٦/٢.
(٢) سورة البقرة: ١٧- ١٩.
(٣) ينظر: دراسات فنية في صور القرآن: ١١.

ضلال وظلام، إنّه مشهد حسّي يرمّز إلى حالة نفسيّة ويجسّم صورة شعوريّة، وهذا من خصائص التّشبيه القرآني في تجسيم أحوال النفوس كأنّها مشهد محسوس[١]، لذلك يصوّر الله عزّ وجلّ المنافقين ويُشبّههم بقومٍ أصابهم مطر شديد أظلمت له الأرض وأرعدت له السّماء وهو مصحوب بالبرق، وهم لمَّا أصابهم الهلع والذّعر جعلوا أصابعهم في آذانهم من الصّواعق خشية الموت ظنّاً منهم أنّ ذلك ينجيهم ولكن هيهات فالله محيط بالكافرين، وعلى الرّغم من أنّ هذا البرق يصيبهم بالخوف والرّعب فإنّهم يترقّبون الفرصة للإفلات من هذا الموقف، ولكنّهم يستمرّون على هذه الحال نكالاً لهم.

وقوله تعالى عن الكافرين، ووصف أعمالهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[٢]، فهذه الصّورة الحسّية التي تُشبّه أعمال الكافرين التي لا وزن لها بالرّماد المُتراكم الذي تتلاعب به الرّياح العاصفة، فتلحّ بذلك على خيال المُتلقّي وتشدّه إلى هذا المشهد؛ ليتفاعل معه، وينجذب إليه، وكلُّ لفظة في الآية المباركة تُساعدُ في اكتمال التّخييل الحسّي في المشهد الذي رسمته الصّورة[٣]، وقد أخرج هذا التّصوير ما لا تقع عليه الحواس ـ وهو الكُفر ـ إلى ما تقعُ عليه ـ وهو الرّماد ـ[٤]، فقد شبّه أعمال الكافرين بالرّماد الذي تذروه الرّياح، وقد اجتمع المُشبّه والمُشبّه به في عدم الانتفاع، والهلاك، والعجز عن الاستدراك لما فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة، والموعظة البليغة.

وفي قوله تعالى في صفة بعض اليهود وجهالتهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٥]، تمثيلٌ بديعٌ لحال اليهود الذين كفروا بالتوراة وآياتها الباهرة، ثُمّ لم يقوموا بتكاليفها ونواهيها، ونكصوا على أعقابهم، تاركين ورائهم الحق المُبين، بحال الحمار الذي يحملُ كتب الحكمة المليئة بالعلم وليس له من حملها إلّا الثّقل والتّعب من غير فائدة[٦]، ووجه الشّبه بينهما ((مُنتزعٌ من أحوال الحمار وهو أنّه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمر العقول، ثمّ لا يحسّ بما فيها

(١) ينظر: في ظِلال القرآن: ٤٦/١.
(٢) سورة إبراهيم: ١٨.
(٣) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم: ٥٠.
(٤) ينظر: الصور البيانية بين النظرية والتطبيق: ١١٤.
(٥) سورة الجمعة: ٥.
(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٩٣.

ولا يشعر بمضمونها، ولا يُفرّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظٌّ سوى أنّه يثقل عليه، ويكدُّ جنبيه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة ونتيجة لأشياء ألقت وقرن بعضها إلى بعض))[1]، وتصوير هذه الفئة وتمثيلهم بالحمار تسفيه وتحقير لهم واستهزاء لهم، فهم في البلادةِ والغباءِ كالحميرِ التي لا تملكُ مِزية التّفكير والتّعقّل.

ومن الصّور الحسيّة التي وردت في التّمثيل القرآني قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2]، فصفة هؤلاء المشركين في اتخاذهم من دون الله أولياء كصفة العنكبوت في اتخاذها بيتاً له نبأ، وهو الوصف الذي يدلُّ على أنّ تنكير (بيتاً) جاء في سياق الآية للتّحقير، فقد أشبه المشركونَ ((العنكبوتَ في الغرور بما أعدّوه، وأولياءهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغنى عمّن اتخذوها وقت الحاجة إليها وتزول بعد ذلك بأقلّ تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفعاً ضعيفاً وهو السّكنى فيها وتوهّم أنْ تدفع عنهم كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم وهو تمثيلٌ بديعٌ من مبتكرات القرآن))[3]، وهو من روائع التّصوير في القرآن الكريم، فالعنكبوت أقذر ما تقعُ عليه العين، إذ لا يألفُ إلّا الأماكن المهجورة، ولا يعيشُ إلّا في الخرائب، وبيتها من أوهن البيوت؛ لأنّه لا يحتمل نفخةً واحدة، فتتطاير خيوطه المهوشة مع الرّيح، والعلاقة بين الهيأة الأولى والهيأة الثانية علاقة نفسيّة، فعُبّاد الأوثان يتخّذون أحقر أنواع العبادة، ولا يصحُّ في حكم العقل أو في حكم العاطفة أنْ يكونَ هؤلاء الذين يسجدون لصنمٍ على حظ، ولو قليل من النّظافة المعنويّة والعفّة والترفّع عن الدّنيا))[4]، فقرنت هذه الصّورة إلى الأمر المعنوي فزادته بذلك وضوحاً وتأثيراً.

مما تقدّم نخلص إلى أنّ الصّورة في النّص القرآني بناءٌ فنيّ متّحِدٌ في لَبناتهِ وأجزائه، وهذهِ الوحدةُ في البناء التّصويري تؤدّي إلى وحدةِ البناءِ الفكريّ المُجسّم في هيئة الصّور المعروضة، والتّصوير القرآني يُعبّر عن المعاني الذهنيّة تارة، وعن الحالات النّفسيّة تارة أخرى؛ ليُحقق بذلك وحدة التأثير، ووحدة المعاني وانسجامها وتكاملها. واللغةُ التّصويريّةُ في القرآنِ الكريمِ تبلغُ قمّةَ

(١) أسرار البلاغة في علم البيان: ٨١.
(٢) سورة العنكبوت: ٤١.
(٣) التحرير والتنوير: ١٧٢/٢٠.
(٤) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني: فتحي أحمد عامر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م: ٤٢٧.

الأداءِ الفنّي، وتأخذُ أبعاداً لا نهائيّة في الدّلالة، وتُناسب دوماً الأجيال المُتعاقبة زمانيّاً ومكانيّاً، مما يعني أنّ الأداة التّصويريّة في النّص القرآني هي وجه من وجوه إعجازه البياني.

المبحث الثاني: بلاغة التناسب الصوتي

ينمازُ التناسب الصوتي بوصفهِ إحدى التّقنيات المؤثّرة التي تُضفي على النّص الإبداعيّ رونقاً خاصّاً، وقيمةً فنيّةً وإبداعيّةً تُسهمُ في البناءِ اللُغويّ وتماسكِه، فهو بموسيقاه السّاحرة يجعلُ النّفسَ البشريّةَ مُنشدّةً وميّالةً إليه؛ وذلكَ من أجلِ تحقيقِ الغرضِ المقصودِ والمنشودِ الذي يحمِلُه، وذلكَ من خلالِ ما يبوحُ بهِ من انسجامٍ واتّساقٍ مع الكلامِ بطريقةٍ تستهوي النّفسَ، وتأسرُ القلبَ، وتستدعي الاستماعَ، وتجلبُ الانتباهَ، وتكمنُ أهميّتُه في إماطةِ اللثامِ وكشف مزية الانفعال الذي ينتاب السّامع عندما تمرُّ على شغافِ قلبِه نغمات إيقاعيّة موسيقيّة مُتفرّدة[١].

إنَّ التّناسق في النّص القرآني الكريم يبلغ الدّرجة العليا في إحداث جماليات التّصوير الفني، والتناسب الصوتي أحد ملامح هذا التّناسق، وهو ناتج عن ملاءمة اللفظ مع النّسق الخاص الذي ورد فيه، كما أنّه يتنوّع بتنوّع الفواصل، القصير منها والطويل، المتماثل منها والمتخالف، والتناسب الصوتي في النّص القرآني الكريم قد تحرر من كلّ قيدٍ يُقيّدُ المعنى، أو يَحدُّ من النّظام الصّوتي، مما أدّى إلى حرية التّعبير وامتلاك آفاقٍ رحبةٍ من التّآلف والتّلازم والانسجام، ويؤدّي الانسجام الصوتي في النّص القرآني المبارك دوراً فاعلاً في زيادة الطاقته التّعبيريّة للمعنى، من خلال انسجامه مع أجواء النّصوص ومعانيها، حيثُ يُعبّر القرآن عن المعاني بالألفاظ، فيختارُ مِن الألفاظِ ما كانت أصواتُها متناغمةً معَ معانيها، مُجسِّدَة لَها.

ومن المعلوم أنّ للقرآن الكريم تأثيره الرّوحي في النّفس البشريّة؛ لأنّه يمثّل المنهج القويم في كبحِ جِماح النّفسِ وشهواتِها، وذلكَ من خلالِ الاستماعِ والانصاتِ لآياتِه المباركات، فقد أودع المولى عزّ وجلّ في كتابه العظيم أسراراً عجيبةً، وأحكمه في روعة من البيان، وسموّ من المعاني، فألفاظه وحروفه تختلف عن كلّ قولٍ بأكثر من سبب، ولو أنّ ألفاظه وحروفه هي ألفاظ العرب وحروفهم نفسها، إلّا أنّ النّص القرآني يصوّر ويصف المشاهد غير المألوفة (الغَيبيّة) كحال النّاس في الحساب والعقاب والثّواب بفصاحة لم تكن معهودة أو مألوفة من ذي قبل[٢]، فهو أسلوب عجيبٌ في الفواصلِ والمقاطعِ وكمالِ ربطِ الآياتِ ببعضِهَا، وحُسنِ التّأليفِ في الإيقاعِ والأصواتِ، فكلماته

---

(١) ينظر: خطاب المختار الثقفي (٦٨هـ) "دراسة حجاجية" (رسالة ماجستير): حسين لفيف أرشد، جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية . قسم اللغة العربية، ١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م :٦١.

(٢) ينظر: تلاوة القرآن الكريم: الأستاذ عبد الرزاق نوفل، (د ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت): ٢٤.

غيرُ متنافرةٍ في أصواتِها وإيقاعِها[١] ، ودقيقةٌ في التّصرّف الصّوتي في بنائها؛ ولذلك فقد خلقَ هذا الانسجامُ الصّوتي حالةً من التّوافقِ بين حركةِ النّصِ وحركةِ النّفسِ، لأنّ النّفسَ البشريّةَ عبارة عن تأليفات عدديّة أو لحنيّة، ولهذا ناسبت النّفس مناسبات الألحان والتذّت بسماعها وجاشت.

وقد تعددت مظاهر التناسب الصوتي في الآيات عيّنة الدّراسة، ومنها (الفاصلة القرآنية، والتّكرار، والطِّباق) والتي سيسلّط هذا المبحث الضوء عليها واحدة تلو الأخرى:

١ـ الفاصلة القرآنيـة:

تُعدُّ الفاصلة القرآنية رُكناً مهمّاً من أركانِ البنيةِ الإيقاعيّةِ التي تتمازُ بها نهاياتُ الآياتِ، وهي إحدى ركائز الإعجاز القرآني بما تؤديه من وظائف متنوّعة للمستويات اللفظيّة والمعنويّة والصوتيّة إلى جانب الوظائف الجماليّة الموسيقيّة، وبهذا تكون هذه البنية الإيقاعيّة عاملاً من عوامل الرّبط الصّوتي بما تمتلك من تأثيرات سمعيّة تؤدّي إلى إيجاد علاقات ربط نغمي بين الآيات، فالإعجاز الصّوتي للقرآن الكريم يتحققُ عبر انتظام العلاقات الداخليّة للبنية الصوتيّة[٢].

الفاصلة لغة: ((بَوْنُ ما بين الشَّيئين. والفَصْلُ من الجَسَد: موضِعُ المَفْصِل، وبين كل فَصْلَيْنِ وَصْلٌ. والفَصْلُ: القَضاء بين الحقِّ والباطل))[٣]، والفاصِلة: ((الخَرزة الَّتِي تفصِل بَيْنَ الخَرزتين فِي النِّظام، وَقَدْ فَصَّلَ النَّظْمَ. وعِقْد مفصَّل أَي جُعِلَ بَيْنَ كُلِّ لُؤْلُؤَتَيْنِ خَرَزَةٌ... وأَواخر الْآيَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَواصِل بِمَنْزِلَةِ قَوافي الشِّعْرِ، جلَّ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاحِدَتُهَا فاصِلة))[٤]، فهي عموماً ما يفصل بين الشّيئين أو يقطعهما.

واصطلاحاً: اجتهد العلماء في وضع تعريفٍ واضحٍ للفاصلة القرآنية، إلّا أنّهم قد اختلفوا في تعريفها، فقد عرّفها الرّماني (ت ٣٨٤هـ) بقوله: ((الفواصل حروفٌ متشاكلة في المقاطع توجبُ حسن إفهام المعاني))[٥]، فقد جعل الفاصلة أداة لفهم المعاني القرآنية كونها جزءاً متمماً للكلام،

---

(١) ينظر: من وحي القرآن: الدكتور إبراهيم السامرائي، ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م: ٩٨، وينظر: تلاوة القرآن الكريم: ٢٥ـ٢٦.

(٢) ينظر : أثر الفاصلة القرآنية في التماسك النصي الصوتي (بحث منشور): م.م فائزة ثعبان منسي الموسوي، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد: ٢٢، العدد: ٩٥، ٢٠١٦م: ١١٣.

(٣) العين، مادة (فصل): ٣٢٤/٣.

(٤) لسان العرب، مادة (فصل): ٢٧٣/١٠.

(٥) النكت في إعجاز القرآن، من ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: محمد خلف حمد الله، دكتور محمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف، مصر، (د ت):٩٧.

ويُفهم من هذا التّعريف أنّ الفاصلة القرآنية تابعة للمعاني، وطريق إلى فهمها. وقد عرّفها الزّركشي (ت ٧٩٤هـ) بأنّها: ((كلمة آخر الآية كقافية الشّعر وقرينة السّجع))[١]، يُفهم من هذا التعريف أنّ الفاصلة القرآنية هي آخر كلمة في الآية، وعرّفها من المحدثين محمد الحسناوي، فقال في تعريفها: ((كلمة آخر الآية كقافية الشّعر وسجعة النّثر، توافق أواخر الآي في حروف الرّوي، أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النّفوس))[٢]، وهذا التّعريف أكثر تفصيلاً من سابقاته. ولعلّ تسميتها جاءت من قول الباري عزّ وجلّ: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، فهي تفصل بين الآية والأخرى التي تليها، أو تفصل بين كلامين[٤]، ومهما يكن من اختلاف الكلام حول الفاصلة القرآنية فإنّها ظاهرة قرآنيّة واضحة المعالم وهي تقع في آخر كلمة من الآية، فهي كالقافية في البيت الشّعري، وقد سُمّيت بالفاصلة تمييزاً عن القافية؛ لأنّ ((الله تعالى لمّا سلب عن القرآن اسم الشّعر، وجبَ سلب القافية عنه أيضاً لأنّها منه))[٥]، فتسميتها بهذا المصطلح تكريمٌ للقرآن الكريم بأن يُقاس على المنظوم من كلام البشر، ولا ضيرَ ولا غضاضة من وصف القرآن الكريم بأنّه من ((النّوع الإيقاعي الذي تنتظم فيه الأصوات والتّعابير بشكل خاص، بحيث تبعث الإثارة والإمتاع، والإحساس بالجمال عند المستمع، فتُذيب العقل وتصهره، وتتجاوز إلى العالم الذي تكون فيه الحقائق أنغاماً ورؤياً عارية. فقد نزل القرآن بلسان عربي مُبين، لسان موسيقي تستمتع الأسماع بنغمات كلماته، وتخضع مقاطعه في تواليها لنظام خاصّ))[٦]، فأحد المظاهر الجماليّة في النّص القرآني تكمن في أنّه جاء متناسق المقاطع والفواصل.

(١) البرهان في علوم القرآن: ٥٣/١.
(٢) الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ط٢، دار عمار، عمّان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م: ٢٩
(٣) سورة فصلت: ٣.
(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٦١٠/١، وينظر: فواصل الآيات القرآنية: د. كمال الدين عبد الغني المرسي، ط١، المكتب الجامعي الحديث، اسكندرية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م: ٩.
(٥) فواصل الآيات القرآنية: ١٣.
(٦) أساليب البديع في القرآن: ١٨٩-١٩٠.

أنواع الفواصل:

تقسم الفاصلة القرآنية باعتبار الحرف الأخير من الآية على:

أ- الفاصلة المُتماثِلة: وهي التي تماثلت في الحروف الأخيرة من الآية، وتسمّى (المُتجانسة) أيضاً[1]، ومنها قوله تعالى في حال المُكذّبين بالقرآن الكريم وآياته: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[2]، فلمّا كانت جماعات المشركين متعصبين لعاداتهم وتقاليدهم، وفي أخلاقهم جفوة، وفي ألسنتهم خصومة، اتّجهت هذه السّورة إلى مخاطبة وجدانهم ومشاعرهم، فتقسو عليهم بالزّجر والتّسفيه، والتّهديد والوعيد والإنذار، في أسلوب حادّ قوي، شديد الأسر، متتابع الرّنات القصيرة المُدويّة[3]، والآيات السّابقة تُرى فيها الفِقَر رقيقة النَّغم، متعادلة الأجزاء، خفيفة الرّوح، موجزة اللفظ، وافرة المعاني، فيها رنّة وموسيقية عالية مؤثّرة، تماثلت فيها الحروف الأخيرة من كلّ آية وهو صوت الراء.

وقوله تعالى عن الأقوام المُفسدة:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾[4]، فقد تماثل الحرف الأخير (الدّال) في جميع الآيات المباركات، فحقق بذلك نغمة موسيقية تطرب لها الآذان، وتنجذب لها القلوب، ولا تملُّ سماعها الأنفس.

ب ـ الفاصلة المُتقارِبة: وهي التي تقاربت في الحروف الأخيرة من الآية[5]، وتسمّى ذات المناسبة غير التّامة، ومنها قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۝ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ

(1) ينظر: الفاصلة في القرآن: ١٤٥.
(2) سورة القمر: ١ـ ٦.
(3) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٢٧.
(4) سورة الفجر: ٦ـ١٢.
(5) ينظر: الفاصلة في القرآن: ١٤٦ ـ ١٤٧.

وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، إذ يُلحظُ التّقارب بين حرفي (النّون، والميم) في الفاصلتين (مُسْرِفُونَ، عَظِيمٌ)؛ وذلك لأنّهما يتشاطران صفة الأنفيّة أو الخيشوميّة، فخروج الهواء لكلا الصّوتين من الأنف، ولهذين الصوتين ظاهرة سمعيّة تتمثّل في قوّة الوضوح السّمعي، كما تتميّز بخاصيّة الجهر؛ لأنّها من الأصوات المجهورة[2].

ت ـ الفاصلة المُنفرِدة: وهي التي لم تتماثل ولم تتقارب حروف رويّها، وهي نادرة[3]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[4]، حيث جاءت فاصلة الآية الأولى بـ (الرّاء)، أمّا فاصلة الآية الأخرى فهي (الميم)، وحرفا الرّاء والميم ليسا مُتماثلين ولا مُتقاربين في المخارج.

وتُقسّمُ باعتبارِ الوزنِ على:

أ ـ المُتوازِية: وهي ما اتّفقت فيها الفاصلتان في الوزن والحرف الآخير[5]، من ذلك قوله تعالى في صفة المُفسدين: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6]، فقد ظهر التوازي في الكلمتين(يشعرون، يعلمون) اللتان تمثلان السّكتة الدّلالية لأداء الآية القرآنية، فاتفقتا في الوزن، فهما على وزن (يفعلون)، واتفقتا في الحرف الأخير أيضاً وهو صوت النون، وهو توازٍ طويل.

ب ـ المُطرّفَة: وهي أنْ تختلفَ الفاصلتان في الوزن، وتتفقان في الحرف الأخير[7]، نحو قوله تعالى في سياق حديث نبي الله نوح (عليه السلام) مع قومه المُعرضين الفاسدين: ﴿مَا لَكُمْ لَا

(1) سورة المائدة: ٣٢ـ ٣٣.
(2) ينظر: علم الأصوات: دكتور كمال بشر، (د ط)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م: ٣٥٧ـ ٣٥٨.
(3) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٨.
(4) سورة الأنفال: ٧٣ـ ٧٤.
(5) ينظر: أساليب البديع في البلاغة العربية رؤية معاصرة: الدكتور شفيع السيد، ط١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م : ١٠١.
(6) سورة البقرة: ١٢ ـ١٣.
(7) ينظر: أساليب البديع في البلاغة العربية رؤية معاصرة: ١٠٢.

تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1]، فإنّ الكلمتين (وقاراً ، أطواراً) قد اتّفقتا في الحرف الأخير (الرّاء)، في حين لم تتفقا في الوزن، فـ (وقاراً ـ فِعالاً)، (أطواراً ـ أفعالاً)، وقد حققت بذلك الانسجام الصوتي.

وقوله تعالى عن الطُّاغين المُكذّبين بآياته تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾[2]، فاختلفتا في الوزن، فـ (حِساباً ـ فِعالاً) و (كِذّاباً ـ فِعّالاً)، واتّفقتا في الحرف الأخير (الباء).

ت ـ المُرصَّعَة: وهي أنْ يكونَ المُتقدّم من الفقرتين مُؤلّفاً من كلماتٍ مختلفةٍ، والمُتأخّر منهما مؤلّف من كلماتٍ مختلفةٍ أيضاً، لكنّها تماثلها في أشياء ثلاثة، هي: (الوزن، الرّوي، تقابل القرائن)[3]، أي: أنْ تتساوي الفقرتان في الوزن وحروف الرّوي، ويكون ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية، ومنه قوله تعالى في سياق الحديث عن إعراض الكافرين وعذابهم: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[4]، فهؤلاء الكافرون قد طُبع على قلوبهم، ورفضوا الحقَّ جملة وتفصيلاً فلا حاجة لتذكيرهم، والعذاب الأكبر هو عذاب يوم القيامة مقارنة بعذاب الدّنيا الأصغر[5]، قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[6]، و (إلينا) خبر إنّ وقد قُدّم للتأكيد والتّشديد في الوعيد، فإنّ إيّابهم للجبّار المُنتقم، ورعاية الفاصلة[7]، فأصل الكلام (إنّ إيّابهم إلينا، ثم إنّ حسابهم علينا)، وإذا أردنا تشريح الشّكل التركيبي للآيتين سيكون بهذا التّرتيب:

(إنَّ / إِلَيْنَا / إِيَابَهُمْ).

(إنَّ / عَلَيْنَا / حِسَابَهُمْ).

---

(1) سورة نوح: ١٣ـ ١٤.
(2) سورة النبأ: ٢٧ـ٢٨.
(3) ينظر: أساليب البديع في القرآن: ٢٠٧.
(4) سورة الغاشية: ٢٣ـ ٢٦.
(5) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٣٤/١٥.
(6) سورة الزمر: ٢٦.
(7) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٧٦/٢٠، وينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٣١٨/١٥.

(إلينا) مقابل (علينا) وزناً ورويّاً، و (إيابهم) مقابل (حسابهم) وزناً ورويّاً أيضاً، ولا يخفى هذا الإيقاع العميق الهادئ الباعث على التّدبّر والتّأمّل والمخافة والتّوجّس لهذين الفاصلتين على من أوتيَ نصيباً من رهافةِ الحسِّ.

مناسبة الفواصل لسياقاتها:

إنّ بعضَ الدّلالات التي تُثيرها الفاصلة القرآنية قد يَحسبها المُتعجّلُ ليست ذات قيمة في المجال الجمالي الصوتي، ولكن هي من صميم التّوجيه الرّباني في الخطاب القرآني الذي يهزُّ الوجدان وتقشعرُّ له الأبدان، ثم تلين وتخشع للرحمن، وهي من أبرز الخصائص الصوتيّة التي تبرز فيها التّوأمة بين الصّوت والدّلالة، فالفاصلة القرآنية بإيقاعها الصّوتي، تُجسّد التّعبير البليغ، والمعنى الجليل، والمُتذوّق للغة يدركُ مكانتها وموقعها وهدفها من حيث دلالة المعنى ودلالة الإيقاع معاً، فإنّ لها قيمة جمالية صوتية، ووظيفة مهمة بما تحمله من إيحاءاتٍ ومعانٍ، يراعى فيها اللفظ والجرس والدّلالة، فهي لم تأتِ وليدة الصّدفة وإنّما جاءت بقصديّة واضحة تتناسب وسياق الآية، ويمكن التّدليل على هذه الظّاهرة بعرض عدّة من النّصوص القرآنيّة التي تؤيّد هذا المعنى.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ۝ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[1]، جاءت هذه الآيات المباركات في مقام الإنكار على بعض العرب، إذ ذكرت الأصنام، وقسمتهم الجائرة في نسبتهم الملائكة والأصنام بنات لله عزّ وجلّ عن ذلك مع وأدهم للبنات، فكانت غرابة لفظة (ضيزى) أشدّ ملائمة ومناسبة لغرابة القسمة التي أنكرها النّص القرآني، فجمعت بذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظيّة[2]، وقد عدَّ ابن الأثير كلمة (ضيزى)، من الألفاظ الغريبة التي إنّما حسنت بحسن موقعها، ثمّ علل ذلك بمجيئها على الحرف المسجوع التي جاءت كلّ السّورة عليه، فغير هذه الكلمة لا يسدُّ مسدّها، فقد تكون هناك لفظة أحسن منها، مثل (ظالمة، أو جائرة) لكنها لا ترد في هذا الموضع ملائمة ولا مناسبة لأخواتها؛ لأنّها تكون حينئذٍ

(1) سورة النجم: ١٩-٢٢.
(2) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م: ١٥٨، وينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم: الدكتور ماجد العطار، (د ط)، ٢٠٠٧م ٦١٨.

خارجة عن حرف السّورة[1]، فابن الأثير قد أرجع الجمال القرآني في هذه السّورة إلى شيء لفظي خالص، وهو مراعاة التّقارب في الفواصل القرآنية، ليتمّ بذلك حسن الإيقاع، وانسجام الموسيقى.

ومن مناسبة الفواصل لآياتها قوله تعالى في نفي القول الفاسد المتمثّل في نسبة الشّعر للقرآن أو لسجع الكهان: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، فقد ختمت الآية الأولى من النّص القرآني بـ ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾؛ ذلك لأنّ مخالفة القرآن الكريم لنظم الشّعر ظاهرة جليّة لا تخفى على أحد، وقول القائلين بأنّه شعر، عنادٌ وكفرٌ محضٌ، وهذا القول لا يصدر إلّا عن كافر مُعاند، فناسب ختم الآية بقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾، أمّا مخالفة القرآن لسجع الكهان فيحتاج إلى تَدبّرٍ وتأمّل، لأنّ كلّ منهما كلام منثور، فليست مخالفته له واضحة جليّة كوضوح مخالفته للشعر[3]، وإنّما تظهر هذه المخالفة بتدبّر القرآن وما فيه من البلاغة التي تقود المُتأمّل والمُتدبّر إلى المخالفة بينهما؛ لذلك حسن ختم الآية بقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ لما في كلمة (تذكّرون) من إيحاء بالتأمّل والتّدبّر والتّعقّل.

ومنه قوله تعالى في تصوير الحوار الذي دار بين نبي الله موسى (عليه السلام) والسَّحرةِ مِن قومِ فِرعَون: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ۝ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ۝ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۝ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[4]، فقد يظنُّ قارئ هذا النّص لأوّلِ وهلةٍ أنّ القرآنَ الكريم أرادَ أنْ يتكلّفَ ويحافظَ على موسيقى النّص ونظام الفاصلة فحسب، فلم يقل مثلاً: (إمّا أنْ تُلقي وإمّا أنْ نُلقي)، والحقّ إنّ هذا النّص بالوضع الذي جاء عليه قد بلغ في السُّمو القولي الغاية، فهو يشير إلى ما كان يختلج في نفوس السَّحرة من النّشوة بالنّصر، وجزمهم بالهزيمة السّاحقة لموسى (عليه السلام) وأخيه هارون، من هنا فقد تكلّموا من موقعِ المنتصرِ القوي فكانَ سواء عندهم أنْ يُلقيَ موسى (عليه السلام) عصاه أوّلاً، أو أنْ يُلقوا عصيّهم وحبالهم هُم أوّلاً، فأراد النّص القرآني أنْ يصوّر هذه النّشوة واللغة المُتعالية من المنطق الفرعوني، ولو اختلفت الفاصلةُ ما صوّرت هذا المعنى.

---

(1) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٧٦/١.
(2) سورة الحاقة: ٤١-٤٢.
(3) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٥١، وينظر: أساليب البديع في البلاغة العربية رؤية معاصرة: ١١١.
(4) سورة طه: ٦٣-٦٦.

وقوله تعالى في كفر أيقونة الفساد (فرعون) وادّعائه الرّبوبية كُفراً وعدواناً: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۝ فَحَشَرَ فَنَادَى ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾[1]، إذ ليس القصد في تقديم لفظ (الآخرة) على (الأولى) مُراعاة نغم الآية وموسيقاها فحسب، وإنّما المعنى هو الذي اقتضى هذا التّقديم والتأخير، فالآية جاءت في سياق الوعيد[2]، ولمّا كان نكال الآخرة وعذابها أكبر وأشدُّ وأخزى قُدِّمَت في هذا السّياق.

مما تقدّم يُلحظ أنّ الفاصلةَ القرآنيّة قد كَسَت الأسلوب القرآني وأكسبته قوّة وتماسكاً، وذلك عن طريق انسجام اللفظ وانسياب النّغم في الآيات، وتدفّقه مع المعاني قوّةً ولِيناً، وهذا له الأثر البالغ في نفس السّامع والمُتلقّي. يُضاف إلى ذلك أنّ الفاصلة القرآنية لم تكن حِلية لفظية هدفها الحفاظ على النّغمة الموسيقية للآيات القرآنية فحسب، بل هي ضرورة تقتضيها المعاني التي يهدف النّص إلى إظهارها وإبرازها.

٢ـ التّكـــرار:

يُعدّ التّكرار من الظّواهر التّعبيريّة في اللغة العربيّة التي لها حضورٌ واسعٌ في النّطاق السّياقي والبناء العام، وبأشكاله المختلفة، منها تكرار الجملة، والكلمة، والحرف، وبملاحظة هذا الملمح التّعبيري في السّياق القرآني تُلحظ قيمته الدّلاليّة وطاقاته التّكثيفيّة التي تكتمل معها الصّورة القرآنيّة، وتؤدّي وظيفتها التّصويرية منسجمة ومُتّسقة مع الغرض العام.

التّكرار في اللغة: الكَرُّ: الرُّجُوعُ، وهو مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وكُروراً وتَكْراراً: عَطَفَ. وكَرَّ عَنْهُ: رَجَعَ، وكَرّ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ؛ وَرَجُلٌ كَرَّار ومِكَرّ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ. وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى[3]، فالجذر الثلاثي (كرر) فيه دلالة الرجوع والإعادة.

(١) سورة النازعات: ٢١ـ٢٥.
(٢) ينظر: أساليب البديع في القرآن: ٢٠٢.
(٣) ينظر: العين، مادة (كرر): ١٩/٤ ، وينظر: لسان العرب، مادة (كرر): ٦٤/١٠.

وفي الاصطلاح: هو ((دلالة اللفظ على المعنى مُرداً))[١]، أو هو: ((الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفنِّيّ، وهو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى كما نجده أساسًا لنظريَّة القافية في الشِّعر))[٢]، أي: ورود اللفظ بالمعنى نفسِهِ أكثرَ مِن مرّة.

وظاهرة التّكرار يُلحظ وجودها بكثرة في القرآن الكريم، وقال عنه السّيوطي (ت ٩١١هـ): ((هو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة))[٣]، وقد أشار إلى فوائد التّكرار والتي منها: التقرير، وزيادة التنبيه، وتطرية السّامع، والتّهويل، والتّعظيم، وغيرها من الأغراض[٤].

ويأتي التّكرار في سياق نغمي موسيقي يشدّ المخاطَب أو السّامع، ويجذب انتباهه، لأنّه يتابع مضامين الخطاب، وإن كان فيه شيء من التّوسّع والتّشعّب والإسهاب؛ ولذا كان التكرار من أبرز وسائل النّص القرآني ترغيب المؤمنين وترهيب الكافرين والمنافقين، وذلك تبعاً للموضوع والحدث الذي يحتويه النّص القرآني[٥].

والتّكرار أساس الإيقاع بجميع صوره، ولا يختص بالموسيقى والشعر فحسب، بل يدخل في جميع الفنون وعلى اختلاف أنواعها، وهو سُنّةٌ من سنن العرب في كلامها إظهاراً منها للعناية بالأمر، وبما أنّ القرآن الكريم جاء على سنن العرب فكانت ظاهرة التّكرار فيه جليّة واضحة متعددة الصّور والأشكال[٦].

مستويات التّكرار في الآيات الدّالة على الفساد والإفساد:

أ- تكرار الصّوت المُفرد: قد يتّخذ النّص القرآني من تكرار الصّوت وسيلة بلاغيّة لرسم صورة الموقف، والدّلالة على معانيه، من خلال ما تتميز به بعض الأصوات والألفاظ من خصائص صوتيّة، وما تشيعه بجرسها الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى[٧]، ومن صور هذا التّكرار

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٣٥٧/٢.
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (كرر): ١٩١٩/٣.
(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٦٦/٢.
(٤) ينظر المصدر نفسه: ٢/ ٦٦-٦٧.
(٥) ينظر: البحث البلاغي في تفسير الميزان: د. حيدر هادي أحمد، ط١، دار الصنوبر، بغداد، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م: ١٨٩.
(٦) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم: ٥٩٠-٥٩١.
(٧) ينظر: لغة القرآن الكريم في جزء عمّ: محمود أحمد نحلة، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م: ٣٤٦- ٣٤٧.

في النّص القرآني تكرار الصّوت، نحو تكرار صوت (الدّال) في قوله تعالى في جزاء الكافر بآيات الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۞ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۞ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۞ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[1]، إذ عمل تكرار وتردد صوت الدّال سبع مرّات في الآيات المباركات فجسّد شيئاً من عملية المَدّ نفسها، وجعلها أكثر وضوحاً، وأشدّ تأكيداً، حيث يُشعر هذا التّدفق لصوت الدّال بتدفّق العذاب الذي لا ينقطع عن الكافر، فكلّما نال منه نصيباً يوم القيامة جاءه مثله وضعفه، فهو في تواصل وامتداد مستمرّين، فترسم بذلك شّدة العذاب ومُقاساة الكافر منه، فقد كان لتكرار حرف الدّال حصّة الأسد في تصوير معنى هذا اللفظ.

ومن تكرار الأصوات نجد تكرار صوت (السّين) في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[2]، فالصوت الذي هيمن في الآية المباركة هو صوت السين فقد تكرر ثمان مرات، وبما أنّ صوت السّين من الأصوات المهموسة المُرققة فتكراره في الآية المباركة دلالة على القيام بالإفساد وقتل النفس بهمس وخفية وعدم إظهار حركة للصوت[3]، فقد كانَ لتكرارِ هذا الصوت وقعاً في نفس المُتلقّي، ودلالة عميقة.

ب ـ تكرار المقطع الصّوتي: فقد يُكرر المقطع الصّوتي في الآية الواحدة، ومن هذا التّكرار ما ورد من الفعل الرّباعي (حَصحَصَ) في قوله تعالى عن لسان امرأة العزيز في حادثة المُراودة: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4]، فحَصحصَ الحقُّ: برزَ وظهرَ، والحصحصة: هي بيان وظهور الحقّ بعد كتمانه[5]، ووردت هذه الآية في سياق إيضاح ملابسات المُراودة ـ مراودة امرأة العزيز لنبي الله يوسف (عليه السلام) ـ وبيان مدى صحّتها، فجاء التّكرار

(1) سورة مريم: ٧٧ـ٨٠.
(2) سورة المائدة: ٣٢.
(3) ينظر: آيات الفساد والإصلاح في القرآن الكريم دراسة دلالية: ١٨.
(4) سورة يوسف: ٥١.
(5) ينظر: العين، مادة (حصص): ٣٢٣/١.

المقطعي للفعل (حصَّ)، وبدى حرف الصّاد عند النّطق به ناصع الأداء، والمقصود من النّصاعة هنا: ((إخراج الصّوت واضحاً لا يلتبس به غيره من الأصوات العربيّة، وإعطاء الحرف حقّه من النّطق المُحقق غير مُشتبه بسواه))[١]، فصوّر هذا اللفظ ببيان ((حصّة الحقِّ من حصّة الباطل، كما تتبيّن حِصص الأراضي))[٢]، ورسم هذا المقطع المُكرر بإيقاعه وجرسه صورة ناسبت الجو العام الذي يوحيه النّص في بيان براءة نبي الله يوسف (عليه السلام) من هذه الحادثة، وازداد المعنى بهذا التّكرار قوّة وتأكيداً[٣]، فقد كان لتكرار هذا الحرف وقعاً في النّفس، ودلالة بليغة.

ت ـ تكرار الكلمة: وقد يُكرر اللفظ كلّه، ومما جاء من تكرار اللفظ قوله تعالى في الحديث عن آل فرعون وفسادهم العقدي الذي منه تكذيبهم بآيات الله: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤]، الآية جاءت لتشبيه الكُفّار مشركي قريش بآل فرعون في دأبهم الدّائم على تكذيب آيات الله، وقد أخذهم الله بذنوبهم إلى بئس العذاب، وهذا في الحقيقة إنذار لهم للاعتبار بمصير الفراعنة وتصحيح أعمالهم[٥]، وقد ورد تكرار لفظ الجلالة (الله) مرّتين، ولم يقل: (وهو شديد العقاب) للدلالة على تعظيم كفرهم وتكذيبهم، فهو منازعة ومحاربة لله تبارك وتعالى، ويهون عليه أخذ المُذنب بذنبه، وهو شديدُ العقاب لأنّه الله جلَّ اسمه[٦]، فالخطاب القرآني جاء للحديث عن جهتين؛ الأولى: المثل الأعلى في الطغيان والتّسافل المتمثّل بفرعون وآله وبجانبهم أيّ جهة تمثّل الطغيان وأدواته، وقد استوجب خطاب هذه الجهة بضمير الغيبة استصغاراً واحتقاراً لها ولشأنها، والأخرى: المثل الأعلى في التّكامل المتمثّل بالباري تبارك اسمه، الذي له الأسماء الحسنى والصّفات العليا... وهذا الشّأن العظيم لهذه الجهة قد استوجب ذكر لفظ الجلالة من دون الحاجة إلى ضمير غائب ينوبُ عنه؛ لأنّه جهة العلوّ والغلبة والظهور، ثم استوجب ذكر لفظ الجلالة مرّة أخرى مع ذكر صفة الأخذ الشديد لمعاقبة الطّغاة وحاشيتهم، وهذا الأمر يولّد

---

(١) الصوت اللغوي في القرآن: الدكتور محمد حسين علي الصغير، ط١، دار المؤرخ العربي، بيرت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م: ١١٢.
(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد مصطفى: ٢٨٤/٤.
(٣) ينظر: الدلالة الإيحائية في القصص القرآني دراسة نقدية وبلاغية: ٩١ـ٩٢.
(٤) سورة آل عمران: ١١.
(٥) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧٨/٢.
(٦) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٠٧/٣.

للسّامع معاني عديدة يوحي بها السّياق والمقام، منها التّهديد للطغاة والفاسدين، وبيان عاقبتهم، والمواساة والصبير للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومَن آمنَ معه من المؤمنين[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢]، نزلت هذه الآية المباركة في جماعة من أحبار اليهود كانوا يكتبون بأيديهم ما ليس في كتاب الله من صفة النّبي (صلى الله عليه وآله) وغيره، وقيل: نزلت في اليهود والنّصارى الذين حرّفوا التوراة والإنجيل[٣]، وقد وردَ تكرار لفظ الكتاب ثلاث مرّات متتالية في الآية المباركة، والغرضُ من هذا التّكرار هو دفعُ اللبسِ ((فإنّ المُراد بالكتاب الأوّل هو الذي كتبوه بأيديهم ونسبوه لله سبحانه، وبالثاني الكتاب الذي أنزله الله تعالى بالوحي، وبالثالث هو الثاني كرر لفظه لدفع اللبس، وللإشارة إلى أنّ الكتاب بصفته كتاب الله أرفع منزلة من أن يشتمل على مثل تلك المُفتريات، وذلك لما في لفظ الكتاب من معنى الوصف المُشعِر بالعليّة))[٤].

ث ـ تكرار الجملة: إنّ لتكرارِ الجملةِ أهميّة بالغة في الإظهار والتّأكيد على الجوانبِ البلاغيّةِ في النّص القرآني؛ وذلك لفهم مراد المُتكلّم وإيضاحه للمُتلقّي، وزيادة الدّلالة على المعنى، وإنّما يُعمد ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، ويأتي تكرار الجملة لأجل المبالغة أو المدح، أو الذم، أو غيرها من الأغراض ـ بحسب السّياق والموقف الواردة فيه، ومن تكرار العبارة في آيات الفساد المُتفرّقة في سورة واحدة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥]، وقوله تعالى في ذات السورة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(١) ينظر: أسرار التكرار في القرآن: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م: ٤٦.
(٢) سورة آل عمران: ٧٨.
(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٦٥/٢ـ٢٦٦.
(٤) الميزان في تفسير القرآن: ٣٠٦/٣.
(٥) سورة المائدة: ٣٣.

كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[١]، فقد تكررت عبارة: ﴿وَيَسْعَونَ فِي الأَرضِ فَسَادًا﴾ في الآيتين المباركتين؛ للتوكيد والمبالغة في السّعي إلى الفساد[٢]، وقد أشار الباحث إلى علّة ارتباط الفساد بالأرض في التّمهيد.

نخلصُ مما تقدمَ إلى أنّ التّكرارَ في النّص القرآني مزية هامّة من مزاياه البلاغية، يأتي لتقوية النّغم في الكلام، وإظهار المعاني التي يهدف النّص إلى إبرازها وإماطة اللثام عنها، ففي تكرار الصّوت في النّص القرآني تصوير وتجسيم للموقف، مما يدلّ على أنّ نغمة الجرس تُسهمُ في إظهار وإبراز المعنى المُراد وتأكيده.

٣ـ الطِّباق:

لقد كان للطِباقِ شأناً رفيعاً ومكانةً عاليةً عند البلاغيينَ القدامى، حتّى أنّ أحدهم قد وصفه بقوله: ((وأما المُطابقة فلها شُعَب خفية، وفيها مكامن تَغمُضُ، ورُبَّما التبست بها أشياء لا تتميّز إلا للنظر الثاقب، والذهن اللطيف؛ ولاستقصائها موضعٌ هو أملك به))[٣]، فهذه إشارة لبلاغة الطّباق التي لا تتأتّى من تضاد وتعاكس لفظين في البناء اللغوي فحسب، بل إنّ خفاءها وغموضها عندما تندمج وتتلبّس مع قوالب المعاني حتّى تصبح مرتكزاً بنائيّاً يتّكئ عليه النّص اللغوي في علاقاته ومكوّناته، فتتولّد بذلك جماليّتها من اندماجها وإضاءتها للنص اللغوي، مؤدّية لوضوح دلالات تراكيبه، وهنا تبرز بلاغة الطَّباق في أجمل صورها.

الطّباق لغة: مأخوذ من المطابقة بين شيئين، أي: جعلهما على حذوٍ واحدٍ، لقولهم طابق البعير أو الفرس إذا وضع رجله في موضع يده[٤].

---

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) ينظر: آيات الصلاح والفساد في القرآن الكريم دراسة دلالية: ٢١.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: ٤٧ـ ٤٨.

(٤) ينظر: العين، مادة (طبق): ٣٧/٣ ، وينظر: لسان العرب، مادة (طبق): ١٢٠/٨ وما بعدها.

وهو في الاصطلاح: الجمعُ بين اللفظين المُتضادّين المتقابلين في الجملة[١]، والمطابقة عند كلّ الناس: ((جمعكُ بين الضدين في الكلام أو في بيت شعر))[٢]، مثل الجمع بين لفظي الحق والباطل، أو الخير والشّر، وهذان اللفظان اللذان يجمع بينهما إمّا أن يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين، أو معنيين.

وقد لاحظَ بعضُ البلاغيينَ عدمَ المناسبةِ بينَ المعنيين اللغوي والاصطلاحي للطباق، فهو في اللغة: الموافقة، والجمعُ بينَ الضّدينِ لا يكونُ موافقة[٣].

إنّ القيمة الفنيّة للمطابقة تتأتّى من خلال جمعها بين الأضداد، الأمر الذي يخلق صوراً نفسيّة وذهنيّة متعاكسة يوازن فيما بينها عقل المُتلقّي ووجدانه فيتبيّن ما هو حسنٌ منها ويفصله عن ضدّه[٤]، وبذلك تكون بلاغة المطابقة في تداعيها للمعاني واستثارتها للأذهان فما إن يُنطقُ بأحد المُتضادّين إلّا ويبدأ العمل الذّهني في ذاكرة المُتلقّي لاستدرار وجلب العنصر المتضاد الآخر.

والقرآن الكريم في مطابقاته الجماليّة يجعل((الجمال الفنّي أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسّة الوجدان الدينيّة بلغة الجمال الفنيّة))[٥]، وقد استخدم الطِّباق في النّص القرآني استخداماً نفسيّاً في مجالات التّرهيب والتّرغيب، كالخوف والطّمع، والطاعة والمعصية، والخوف والأمن، والبشارة والإنذار، وغيرها[٦]، وكلّ هذه الأمور انعكاسات تتمحور في محوري القرآن الكريم الأساسيين: الإيمان والكفر. فقد عرض الطّباق القرآني الصور المُتناقضة في الكون والحياة، وفي المادّيات والمعنويّات، وهو في عرضه لكلّ طرف على حدى إنّما يهدف لتوضيح كلّ طرف وإبانته، ثمّ التّفريق بين الطّرفين وعرضهما أمام المُتلقّي لِيُرجّح بدوره أحد الطّرفين ويُؤيّده وينتصر له؛ ذلك لأنّ الأشياء إنّما تُعرف بأضدادها. وفيما يلي ستأتي الدراسة على بعض صور الطباق في الآيات عيّنة الدراسة.

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٩٢، وينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع: السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١١٩هـ)، (د ط)، (د ت): ٨٩/١.
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٤٦.
(٣) ينظر: البلاغة والتطبيق:٤٣٨.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٣.
(٥) التصوير الفني في القرآن: ١٤٣.
(٦) ينظر: البلاغة العربية تأصيل وتجديد: الدكتور مصطفى الصاوي الجويني، (د ط)، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٥م: ٦٩.

أنواع الطِّباق وصوره:

ينقسمُ الطّباقُ باعتبارِ طرفيهِ على قسمينِ متميّزينِ، هُما:

أ- طباق الإيجاب: وهو الجمع بين لفظين متضادين مثبتين[1]، أي أنْ يأتي طرفا الطّباق مثبتين، ولا يأتي أحدهما مثبتاً والآخر منفياً.

وتأتي ثنائيّة (الفساد × الإصلاح) في واجهة هذا المبحث، فقد تكررت هذه الثّنائيّة كثيراً في الآيات عيّنة الدّراسة، وكالآتي: (المُفسِد × المُصلِح) (لا تُفسدوا × مُصلِحين) (لا تُفسدُوا × بعد إصلاحِها) (أصلِح × لا تتبع سبيل المُفسدِين)، فهما من الألفاظ المُتضادّة في اللغة العربيّة، وتنبثق من هاتين اللفظتين دلالات ومعانٍ كثيرة وكبيرة جدّاً، فلفظة (الفساد) ومشتقّاتها تُشيرُ دائماً إلى المعاني السَّلبيّة، وعلى العكس تماماً تقفُ قِبالها لفظة (الإصلاح) ومشتقّاتها لتدلَّ على المعاني الإيجابيّة، وقد دارت قطب رحى النّص القرآني في هذين الفلكين، مما جعلهما من الظّواهر البارزة في القرآن الكريم، ليصرّح النص القرآني بأنّ هذين الجبهتين لهما امتداد في كل زمان ومكان، ويترك للإنسان حرية الانتماء إلى الجبهة التي يريد.

ومن هذا الطِّباق قوله تعالى عن لسان الملكة بلقيس: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[2]، وإفساد القرى: ((تخريبها وإحراقها وهدم أبنيتها، وإذلال أعزّة أهلها هو بالقتل والأسر والسّبي والاجلاء والتّحكّم))[3]، فقد وردت المطابقة بين لفظي (أعزّة × أذلّة)؛ لبيان بعض صفات هذه الفئة الحاكمة، فهم يعلمون على تحويل صِبغة المُجتمع الإيماني العزيز الذي أعزّه الله تعالى بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[4]، إلى مجتمعٍ مُهان مُتلبّس بالذّلة، لا كرامة لديه، ولا يجد أبسط مقوّمات الكرامة، فهم يجهدون في قلب السُّنن الإلهيّة في الكون من جرّاء الحروب التي يدخلون فيها، وما تخلّفه هذه الحروب من ويلات تتمثّل في إزهاق الأنفس، وترميل النّساء، وإيتام الأطفال، وضياع الأمن، كما يظهر من هذه الآية حكمة هذه المرأة التي لم تجنح للحرب، وألقت السّلم، فهي لم تكن هذا الصّنف من الحُكّام.

---

(١) أساليب البديع في القرآن: ٢٦٠.
(٢) سورة النمل: ٣٤.
(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٣٦٠/١٥.
(٤) سورة فاطر: جزء من الآية ١٠.

ومن صور هذا الطّباق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[1]، تشتمل هذه الآية المباركة على صورة من صور الفساد الدّيني، وصفة من صفات المُشركين، وهي التّلاعب بالقوانين والسُّنن الإلهيّة التي جعلها الله تبارك وتعالى حاكمة في هذا الكون، والجرأة على التّلاعب في التّشريعات الرّبانيّة، وممارسة التّشريع بغير إذنٍ من الله تعالى، ويغير نصّ من الشّارع المُقدّس يعضد ما يقرّونه من قوانين فاسدة. وقد افتتح الخطاب الإلهي بالنهي عن القول المتعلّق بطرفي الطباق (الحلال× الحرام) لأنّ المقصود ((النّهي عن جعل الحلال حراماً والحرام حلالاً لا أكل جميع الحلال وترك جميع الحرام حتّى في حال الاضطرار))[2]، وقد سبق كلّ من طرفي الطّباق اسم الإشارة (هذا) الذي يدلُّ في تكراره على تحقير واستهجان القانون الضّال للكفرة فهم في قانونهم على غير هدى؛ لأنّهم لم يشرعوا بإذن من الله عزّ وجلّ، والذي زاد من تشنيع وتحقير تشريعهم قوله تعالى: ﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ فهو تعليلٌ لقوله تعالى: (لا تقولوا) باعتبار كون الافتراء حاصلاً لا باعتبار كونه مقصوداً للقائلين[3]، وقد قُدّم الجار والمجرور (على الله) على المفعول به (الكذب) دلالة على تخصصهم بتلك الصّفة السّيئة، ولبيان عاقبة الذين يكذبون على الله تعالى والتي مثلتها (اللام) في قوله تعالى: (لتفتروا) فقد أكد سبحانه نفي فلاحهم بـ (إنّ)، إنّهم لن يفوزا ولن يظفروا بمطلبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة. وللطباق في الآية المباركة دلالة التشريع، فالحلال والحرام هو ما يقره القانون الإسلامي بنصّ من نصوص كتاب الله العزيز أو السُّنّة المُطهّرة، لا كما يُشرّع المشركون بقانونهم الفاسد يحرّمون ما أحل الله تعالى ويحللون ما قد حرّمه.

وقد يكون طرفا الطّباق فعلين كما في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[4]، والمراد بالنعمة هنا (الولاية) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)[5]، فقد أنكرها بعضهم بعد نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[6]، وأبوا أنْ تجتمعَ النّبوّة والإمامة في بيت واحد، وقد جاءت المطابقة

---

(1) سورة النحل: ١١٦.
(2) تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، ط١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ١٣٥٦هـ - ١٩٤٦م: ١٥٤/١٤.
(3) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١٠/١٤-٣١١.
(4) سورة النحل: ٨٣.
(5) ينظر: البرهان في تفسير القرآن: ٤٤٢/٣.
(6) سورة المائدة: ٥٥.

بين المعرفة والإنكار، وطرفا الطّباق هما الفعلين: (يعرفون× ينكرون)، فهؤلاء قد أنكروا هذه النّعمة بعد معرفتهم بها، والإنكار بعد المعرفة من أقبح ما تستقبحه الفطرة الإنسانيّة؛ لأن العلم والمعرفة بالشيء تستوجب العمل به لا إنكاره، وهذا الطّباق جاء ليصوّر الازدواجية في شخصيّات هذه الفئة، وطاعتهم لأهواء أنفسهم وشياطينهم من الجن والإنس.

ب ـ طِباقُ السَّلب: وهو ما اختلف فيه اللفظان الضِّدان إيجاباً وسَلباً، أو هو الجمع بين اللفظ ومنفيّه[١]، وذلك بأن يأتي أحد الطّرفين موجباً، والآخر سالباً (منفيّاً).

ومن نماذج هذا الطباق قوله تعالى حكاية عن المُنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٢]، فقد جاء الطّباق بين (آمنّا× ما هم بمؤمنين)، وبين (يخادعون× ما يخدعون)، فالمقام يقتضي تكذيب المنافقين في ادّعائهم للإيمان، وأنّه ليس ناتجاً عن يقين وعقيدة، وإنّما عن خداع وكذب، فكان في المطابقة أبلغ ردّ على ما ادّعوه، وأقوى نفي لما انتحلوه[٣].

ومنه أيضاً قوله تعالى في صفة الخائنين: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[٤]، فهذه الآية المباركة جاءت لتوبيخ الخائنين الذين يخجلون أنْ تظهرَ سرائرهم وأعمالهم وتنكشفَ أمامَ النّاس، وفي المقابل لا يخجلون من ذلك أمام الله تعالى وهو الشّاهد على أعمالهم، والعالم بسرائرهم، ولا يتورّعون عن تدبير خطط الخيانة في ظلام الليل ظنّاً منهم أنّ اللهَ لا يراهم، وطرفي الطِّباق في هذه الآية المباركة هما: (يستخفون× لا يستخفون)، وهو دليل على نفاقهم، إذ يسعون للظهور أمام النّاس بالمنظر الحسن، والصّورة الجميلة، لكنّهم لا يعبأون في الوقت ذاته إلى نظر الله إليهم، وقد عمد الطّباق إلى إبراز هاتين الصّورتين المُتضادتين أمام المُتلقّي ليحكم بنفسه على فساد دين وأخلاق هذه الفئة، وينفّره عن هذه الصّورة في الوقت ذاته.

---

(١) أساليب البديع في القرآن: ٢٦٨.
(٢) سورة البقرة: ٨ـ٩.
(٣) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: الدكتور عبد الفتاح لاشين، (د ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م: ٢٨ـ٢٩.
(٤) سورة النساء: ١٠٨.

ث ـ الطِّباق الخَفي: فقد يكون الطِّباق غير ظاهر وجلي، ويخفى على المُتلقّي، فلا يُصرّح بطرفيه علناً أمام القارئ أو السّامع، فيُسمّى حينئذٍ الطّباق الخفي، ومنه قوله تعالى عن قوم نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾[1]، فالآية تشير إلى ورودهم النّار بعد الطُّوفان الذي أغرقهم، وهذه النّار هي نار البرزخ التي عاقبهم الله بها بعد موتهم[2]، فقد ورد الطّباق بين طرفين خفيين هما (الإغراق× الإحراق)، فإدخال النّار يستلزم الإحراق وهو مُضادٌّ للإغراق، وقد أثارت هذه المُطابقةُ العجبَ والغرابةَ من دخولهِم النّارَ بعدَ الدخولِ في الماءِ مُباشرةً.

نخلصُ مما تقدم إلى أنّ القيمة الفنيّة لفن الطِّباق تتأتّى من خلال جمعه بين الأضداد، الأمر الذي يخلق صوراً نفسيّة وذهنيّة متعاكسة أمام المُتلقّي، وهو في عرضه لكلّ طرف على جانبٍ إنّما يهدفُ لتوضيحِ كلّ طرفٍ وإبانتهِ، ثمّ التّفريق بين الطّرفين وعرضهما أمام المُتلقّي لِيُرجّح بدوره أحد الطّرفين ويُؤيّده وينتصرُ له؛ ذلك لأنّ الأشياء تُعرف بأضدادها.

(1) سورة نوح: ٢٥.
(2) ينظر: الأمثل في تفسير الكتاب المنزل: ٣٨٦/١٤.

الخاتمة

الخاتمة

لا شكَّ في أنّ لكلِّ دراسةٍ ثمراتٌ يرجو الباحثَ قِطافها من خلالِ الجُهد الذي يبذلهُ في دراستهِ، ومعَ وصول الباحثِ إلى الصّفحاتِ الأخيرةِ لهذهِ الدّراسةِ؛ فإنّي أرجو اللهَ أنْ تكونَ لهذهِ الدّراسة فائدة علميّة، ولعلّ أبرز ما خرجت به هذهِ الدّراسة من نتائج هي:

١. إنّ الفساد نقيض الصّلاح وضدّه، والإفساد ضدّ الإصلاح، ويستعمل الفسادُ في النّفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، وإنّ مصطلح الفسادِ مصطلحٌ عائمٌ، وإنّما يُحدد من منظور الحقول المعرفيّة المختلفة كلّ بحسب اشتغاله، فتتعدد بذلك مفاهيمه وتعريفاته، ارتبط مصطلح الفساد في دلالته اللغوية بمعانٍ كثيرةٍ، منها: الهلاك، والقطيعة والتدابر، والجدب والقحط، والإبارة، والإتلاف، والظلم، والبطلان، والتغيّر، وقد وردت صيغ لفظ الفساد في القرآن الكريم من خلالِ أربعة عشرَ اشتقاقاً، في خمسينَ موضعاً، وجاءت هذه المواضع في سبعٍ وأربعينَ آيةٍ: اثنتين وثلاثينَ آيةٍ في السّور المكيّةِ، وخمسَ عشرةَ آيةٍ في السّورِ المدنيّةِ، وجاءت هذه الآياتُ موزَّعةً في ثلاثٍ وعشرينَ سورةٍ، سبعَ عشرة منها مكيّةٍ، وستّ سورٍ مدنيّةٍ. فجاء لفظ الفساد بصيغه المختلفة، بصيغة الماضي والمضارع واسم الفاعل واسم المفعول، في حين لم ترد بصيغة المبالغة والأمر والمدح؛ لأنّ القرآن الكريم جاء ليَشنَّ حرباً على الفساد، وقد ورد في الآيات والسّور المكيّة ضِعْفَ ما ورد في الآيات والسّور المدنيّة؛ ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة المجتمع المكّي الذي اصطبغ بصبغة الجاهلية وعاداتها وتعاليمها، وللفسادِ أنواع كثيرة، لكنّها في المفهوم القرآني صُنّفت إلى: فساد عقدي، وفساد اجتماعي، وفساد اقتصادي، وفساد بيئي.

٢. إنّ آيات الفساد كان لها النصيب الأكبر من الدّراسة، في حين كانت آيات الإفساد قليلة مقارنة مع آيات الفساد.

٣. الفساد العقدي كان أكثر وضوحاً وورود في الآيات عيّنة الدراسة، يليه الفساد الاجتماعي، ثمّ الفساد الاقتصادي، بينما نال الإفساد البيئي الحصّة الأقل.

٤. إنّ أكثر الآيات التي تحدثت عن الفساد بشكلٍ عامٍ وعن الفسادي العقدي بشكلٍ خاص قد جاءت للحديث عن مفاسد اليهود.

٥. شكّل الإيحاء سِّمة بارزة في الآيات عيّنة الدراسة، فأسلوب القرآن الكريم ليس قائماً على اختيار الكلمات والمفردات فحسب، بل هو يتضمّن الإيحاء لمعانٍ مُبطّنة في عمق النّص، مما وسّع رقعة المعاني التي جاء بها القرآن الكريم، فكانت أكثر اتّساعاً من المعاني الحقيقية في اللغة العربيّة.

٦. وُظِّف الأسلوب الكنائي من أجل خدمة بنية النّص الدّلالية، وكانَ له وجودٌ فعّالٌ في النّص القرآني، مما شكّل رافداً لغويّاً يصب نحو دلالة تغني النّص ويسوقه تجاه دلالةٍ واضحةٍ، والأسلوب الكنائي في النص القرآني من الأهميّة بمكان في إيضاح المعاني وكشف مدلولات النّص، وقد وُجد هذا الأسلوب شاخصاً في الآيات الدّالة على الفساد والإفساد في النص القرآني المبارك .

٧. إنّ أكثر التراكيب السّياقية وروداً في عيّنة الدراسة هي تراكيب الأمر والاستفهام.

٨. كان للسّياق دوراً فاعلاً في تشكيل الفهم السّليم للآيات القرآنية عيّنة الدراسة، والكشف عن المقاصد الرّبانيّة، فارتباط الكلمة مع أخواتها في النّص هو الذي يبيّن معناها، ولولا استعمالها في هذا السّياق أو ذاك لما كان لوجودها أثرٌ في اللغة، وبهذا يشكّل السّياق أداة معرفيّة هامّة في تكوين الفهم السليم للنّص القرآني.

٩. إنّ للمستوى التركيبي أهميّته بالغة في إيضاح معاني المفردات القرآنية، إذ لا مزيةَ ولا فضيلةَ للألفاظ يتيمةً خارج التّركيب، وقد تمثّل المستوى التّركيبي للنّص القرآني في كثيرٍ من الموضوعات، منها: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والذكر والحذف.

١٠. قلّة ورود التقديم والتأخير بين المُسند والمُسند إليه في الآيات عيّنة الدراسة مُقارنة مقارنة بالتقديم والتأخير بين الفَضْلات من الكلام.

١١. إنّ نسبة ورود شواهد الحذف قد زادت على نسبة شواهد الذِّكر في الآيات عينّنة الدراسة.

١٢. شكّل الحذف أسلوباً بارزاً في سياق الآيات الدّالة على الفساد والإفساد؛ كونه يعمل على استثارة ذهن المتلقّي وفكره، مما يصل به إلى إنتاج الدّلالة وهي الغاية المتوخّاة، إذ لا تقتصر دلالة النّصوص القرآنيّة على الألفاظ الظاهرة فقط، إنّما تشتمل ما يُفهم من معانٍ، وبالتالي فإنّ فهم العنصر المحذوف له أثرٌ كبيرٌ في فهم المعنى القرآني.

١٣. التصوير البياني بأنواعه المختلفة وغاياته المقصودة يوفّر صورة من صور الجمال التي سعى علماء البيان لإبرازها في مؤلفاتهم، وآيات الفساد والإفساد من النصوص القرآنية التي حفلت بهذا الفن البلاغي.

١٤. إنّ الصّورة القرآنية قد تألّفت من عناصر الطّبيعة المنتزعة من بيئة الإنسان العربي، فهي تتماز باتكائها على العناصر المألوفة التي عهدها الإنسان وأدرك حقيقتها، ومن تلك العناصر: (الحِمار، الكَلب، العَنكبوت، السَّراب، السَّحاب، الماء، الموج، الرّعد، الحجارة، النار..)؛ لكون هذه العناصر أقرب إلى ذهن العربي، وقد عايشها عن قرب.

١٥. إنّ الفاصلة القرآنية في الآيات عيّنة الدّراسة لم تكن حِلية لفظية هدفها الحفاظ على السُّلَّم الموسيقي القرآني فحسب، وإنّما هي ضرورة اقتضتها المعاني القرآنية وطلبتها بشدّة.

١٦. ورد التكرار بصوره المختلفة (تكرار الصوت، تكرار الكلمة، تكرار المقطع، تكرار الجملة) في الآيات عيّنة الدراسة، وكان لهذا التّكرار أهميّة بالغة في تأكيد وإظهار الجوانب البلاغيّة في النّص القرآني.

١٧. الطّباق أحد الفنون البلاغيّة التي وُضّفت للكشف عن مضامين النّص القرآني المُتضادّة في آيات الدراسة، كـ (الإفساد × الإصلاح)، و (الحق × الباطل)، و (الحلال × الحرام)، و (المعرفة × الإنكار) وغيرها من المعاني.

وفي الختام لا يملك الباحث إلّا أنْ يقول إنّ هذه الدّراسة جاءت كمحاولة مجتهد حاول دراسة أساليب القرآن الكريم وظواهره وتعابيره، بما يملك من وسائل متواضعة، فإن أصاب ـ وهو المرجو ـ فبفضل من الله، وإنْ أخطأ فيرجو من الله أن يغفر له، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: الكتب المطبوعة:

- أثر النحاة في البحث البلاغي: د. عبد القادر حسين، (د ط)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- أساس البلاغة: جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- أساليب البديع في البلاغة العربية رؤية معاصرة: الدكتور شفيع السيد، ط١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- أساليب البديع في القرآن: السيد جعفر السيد باقر الحسيني، ط١، مؤسسة بوستان كتاب، قم المقدسة، ١٤٢٩ق ـ ١٣٨٧ش.
- أساليب بلاغية الفصاحة . البلاغة . المعاني: الدكتور أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٩ـ ١٩٨٠م.
- الاستعارة نشأتها وتطورها . أثرها في الأساليب البلاغية: د. محمد سيد شيخون، ط٤، القاهرة، ١٩٨٤م.
- أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تعليق: السيد محمد رشيد رضا، ط٢، منشورات الرضي، قم، ١٤٠٤هـ .
- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم: الدكتور محمد السيد شيخون، (د ط)، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، (د ت).
- أسرار التكرار في القرآن: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت ٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٦هـ . ١٩٧٦م.
- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: أحمد الشايب، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.

- ❖ أسلوب المحاورة في القرآن الكريم: دكتور عبد الحليم حفني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
- ❖ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي (ت ٦٦٠هـ)، دار الطباعة العامرة، استانبول، ١٣١٢هـ.
- ❖ أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم: الدكتور محمد حسين علي الصغير، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- ❖ أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، ط٢، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٢م.
- ❖ أطياف الوجه الواحد دراسات نقدية في النظرية والتطبيق: الدكتور نعيم اليافي، (د ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.
- ❖ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.
- ❖ إعراب القرآن الكريم وبيانه: الأستاذ محيي الدين الدرويش، ط٧، دار ابن كثير، بيروت، اليمامة، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- ❖ إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: تحقيق ودراسة: إبراهيم الابياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
- ❖ الألفاظ والتراكيب في السياق القرآني (دلالة متجددة مع امتداد الزمان واتساع المكان): د. عودة خليل أبو عودة، و د. تمام محمد السيد، ط١، مكتبة الشقري، الرياض، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٦م.
- ❖ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازين ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.
- ❖ أنوار الربيع في أنواع البديع: السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١١٩هـ)، (د ط)، (د ت).
- ❖ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: محمد بن عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، (د ط)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د ت).

- ❖ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عُمر بن أحمد بن محمد القزويني (ت ٧٣٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- ❖ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلّامة الشيخ محمد باقر المقدسي (ت ١١١١هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- ❖ البحث البلاغي في تفسير الميزان: د. حيدر هادي أحمد، ط١، دار الصنوبر، بغداد، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- ❖ البحر المحيط : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
- ❖ البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، ط١، دار الكتبي، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- ❖ البديع في ضوء أساليب القرآن: الدكتور عبد الفتاح لاشين، (د ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- ❖ البرهان في تفسير القرآن: العلامة السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٩هـ ـ ق.
- ❖ البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (د ط)، دار التراث، القاهرة، (د ت).
- ❖ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت ٦٥١هـ)، تحقيق: الدكتورة خديجة الحديثي، والدكتور أحمد مطلوب، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
- ❖ بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: أ. د توفيق الفيل، (د ط)، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ت).
- ❖ البلاغة العربية تأصيل وتجديد: الدكتور مصطفى الصاوي الجويني، (د ط)، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٥م.

- ❖ البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق: الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي، ط١، دار وائل، عمّان، ٢٠٠٣م.
- ❖ البلاغة العربية قراءة أخرى: الدكتور محمد عبد المطلبن ط١، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ❖ البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع: فضل حسن عباسن ط٨، دار الفرقان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- ❖ البلاغة والتطبيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور كامل حسن البصير، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- ❖ البيان في ضوء أساليب القرآن: الدكتور عبد الفتاح لاشين، (د ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
- ❖ البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د ط)، (د ت).
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العزيز مطر، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- ❖ تاج اللغة وصحاح العربية: أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: شهاب الدين أبي عمر، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
- ❖ تاريخ القرآن: الدكتور محمد حسين علي الصغير، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- ❖ التبصرة في أصول الفقه: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦هـ): تحقيق: د. محمد حسن هيتو، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ.
- ❖ التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، (د ط)، الناشر:عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د ت).
- ❖ التبيان في تفسير القرآن: العلّامة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، (د ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت٩.
- ❖ تجديد النحو: الدكتور شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

- التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (د ط)، الدار التونسيّة للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تحف العقول عن آل الرسول: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، ط١، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان: دكتور محمد أبو موسى، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، ط١٠، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- التعبير البياني ـ رؤية بلاغية نقدية: شفيع السيد، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.
- التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط٤، دار عمار، عمان، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، ط١، كلية الآداب ـ جامعة طنطا، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.
- تفسير العياشي: الشيخ محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة ـ قم، ١٤٢١هـ. ق.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، تعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، (د ط)، مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ.
- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، ط١، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٤٦م.
- تفسير المنار: السيد محمد رشيد رضا، ط٢، دار المنار، القاهرة، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: الدكتور محمد سيد طنطاوي، ط٣، مؤسسة الرسالة، مصر، ١٠٤٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- تلاوة القرآن الكريم: الأستاذ عبد الرزاق نوفل، (د ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).

- ❖ تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق وتقديم: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٩٥م.
- ❖ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، ط١، دار المعرفة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
- ❖ التوقيف على مهمات التعاريف: الشيخ عبد الرءوف بن المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق وتعليق: جلال الأسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ ـ١٩٩٠م.
- ❖ جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- ❖ الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السُّنة وآي الفرقان: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- ❖ الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: محمود صافي، ط٣، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت ـ لبنان، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
- ❖ جماليات المفردة القرآنية: الدكتور أحمد ياسوف، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- ❖ الجملة العربية والمعنى: الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط١، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
- ❖ جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٧م.
- ❖ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، (د ط)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٤م.
- ❖ حول الإعجاز البلاغي للقرآن قضايا ومباحث: الدكتور حسن طبل، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠٥م.
- ❖ الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

- ❖ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ت).
- ❖ دراسات فنية في صور القرآن: الدكتور محمود البستاني، ط١، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤٢١ق ـ ١٣٧٩ش.
- ❖ دراسات في النقد الأدبي: الدكتور رشيد العبيدي، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٩م.
- ❖ دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
- ❖ دروس في أصول فقه الإمامية: العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- ❖ دفاع عن البلاغة: أحمد حسن الزيات، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ❖ دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، ط٣، دار المدني، جدة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
- ❖ دلالة الألفاظ: الدكتور إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م.
- ❖ دلالة السياق: د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، ط١، معهد البحوث العلمية ـ مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ.
- ❖ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، (د ط)، (د ت).
- ❖ الدلالة الصوتية في القرآن الكريم: الدكتور ماجد العطار، (د ط)، ٢٠٠٧م.
- ❖ دليل المصطلحات الفقهية: محمد القندوري بمشاركة د. محمد المختار، (د ط)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
- ❖ ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، (د ط)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، (د ت).
- ❖ رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء: اخوان الصفا، (د ط)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥ هـ.
- ري الظمآن في بيان القرآن: فهد بن عبد الله الحبيشي، (د ط)، دار ابن الجوزي، الرياض، (د ت).
- سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢.
- سيد قطب والنقد الأدبي: الدكتور محمد الأول أبو بكر، ط١، دار الرفاعي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٠م.
- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ط٤، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.
- الصوت اللغوي في القرآن: الدكتور محمد حسين علي الصغير، ط١، دار المؤرخ العربي، بيرت . لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- الصور البيانية بين النظرية والتطبيق: الدكتور حفني محمد شرف، ط١، دار نهضة مصر، الفجالة . مصر، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
- الصورة الأدبية: الدكتور مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت ـ لبنان، (د ت).
- الصورة الأدبية تاريخ ونقد: دكتور علي علي مصطفى صبح، (د ط)، (د ت).
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: الدكتور جابر عصفور، دار الثقافة، القاهرة ـ مصر، ١٩٧٤م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية: الدكتور محمد حسين علي الصغير، (د ط)، دار الرشيد، ١٩٨١م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م.
- طرائق البيان: الشيخ علي المحمدي، (د ط)، مطبعة السطور، بغداد، ٢٠١٢م.
- الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز، ومحمود محمد شاكر، ط٤، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م.

- ❖ علل الشرائع: العلامة الشيخ الصّدوق، ط١، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- ❖ علم الأصوات: دكتور كمال بشر، (د ط)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ❖ علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية: بدوري طبانة، دار الثقافة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
- ❖ علم البيان في البلاغة العربية: الدكتور عبد العزيز عتيق، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان، (د ت).
- ❖ علم الدلالة: الدكتور أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، ١٩٨٥م.
- ❖ علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقور عبد الجليل، (د ط)، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- ❖ علم الدلالة دراسة وتطبيق: نور الهدى لونش، (د ط)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- ❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.
- ❖ عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية: الدكتور مسعود بودوخة، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد ـ الأردن، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
- ❖ غاية الوصول وايضاح السُّبل في شرح مختصر منتهى السُّؤلِ والأملِ: العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر(٦٤٨. ٧٢٦هـ)، تقديم وإشراف: الشيخ جعفر السبحاني، ط١، منشورات مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، ١٤٣٠هـ.
- ❖ الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ط٢، دار عمار، عمّان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
- ❖ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، (د ط)، دار الوفاء، (د ت).
- ❖ الفساد أسبابه وطرق مكافحته: أحمد أبو دية، ط١، منشورات الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة، القدس، ٢٠٠٤م.

- ❖ فضاءات الاستعارة وتشكلاتها في الشعر والخطابة والعلم والفلسفة والتاريخ والسياسة: محمد الولي، تقديم: الدكتور محمد العمري، ط١، فاليه للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ . ٢٠٢٠م.
- ❖ فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : رجاء عيد، ط٢، منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٨٨م.
- ❖ فن البلاغة: الدكتور عبد القادر حسين، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
- ❖ فن التشبيه: علي الجندي، ط١، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ❖ فن الشعر: الدكتور إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت، (د ت).
- ❖ فنون بلاغية البيان . البديع: الدكتور أحمد مطلوب، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
- ❖ فنون التصوير البياني: د. توفيق الفيل، ط١، منشورات السلاسل، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- ❖ فواصل الآيات القرآنية: د. كمال الدين عبد الغني المرسي، ط١، المكتب الجامعي الحديث، اسكندرية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- ❖ في رحاب القرآن (نظرية العلاقة الزوجية في القرآن الكريم): محمد مهدي الآصفي، ط٤، المشرق للثقافة والنشر، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- ❖ في ظِلال القرآن: سيد قطب، ط٣٢، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
- ❖ في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق (دراسات في ضوء علم اللغة المعاصر): الدكتور خليل أحمد عمايرة، ط١، عالم المعرفة، جدة ـ السعودية، ١٩٨٤م.
- ❖ القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- ❖ قراءات بلاغية: الدكتور فاضل عبود التميمي، ط١، دار الضياء، النجف الأشرف، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
- ❖ الكاشف عن المحصول في علم الأصول: أبو عبد الله محمد بن محمود بن عبَّاد العجلي الأصفهاني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ❖ الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المُبرِّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

- ❖ كتاب الصناعين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر العربي، (د ت).
- ❖ كتاب الموسيقى الكبير: أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، تحقيق وشرح: غطّاس عبد الملك خشبة، (د ط)، دار الكاتب العربي، القاهرة، (د ت).
- ❖ الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- ❖ كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.
- ❖ الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عُمَر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
- ❖ الكلمة دراسة لغويّة معجميّة: د. حلمي خليل، (د ط)، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، ١٩٩٨م.
- ❖ الكليّات: أبو البقاء الكفوي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- ❖ الكناية في البلاغة العربية: الدكتور بشير كحيل، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
- ❖ الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها البلاغية: الدكتور أحمد فتحي رمضان الحياني، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.
- ❖ الكناية في لسان العرب لابن منظور دراسة بلاغية تحليلية: د. أحمد هنداوي هلال، ط١، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- ❖ لسان العرب: العلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- ❖ لغة القرآن الكريم: الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

- ❖ لغة القرآن الكريم في جزء عمّ: محمود أحمد نحلة، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- ❖ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، ط١، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.
- ❖ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تعليق: محمد فؤاد سزكين، (د ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ❖ مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، ط١، دار العلوم، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- ❖ المجاز المرسل والكناية (الأبعاد المعرفية والجمالية): يوسف أبو العدوس، ط١، عمّان ـ الأردن، ١٩٩٨م.
- ❖ المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.
- ❖ مدخل إلى علم لغة النص: روبرت ديبوغراند، وغيره، ط١، مطبعة دار الكتاب، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
- ❖ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: العلّامة أحمد بن محمد بن علي الفيّومي المقري (ت٧٧٠هـ)، (د ط)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.
- ❖ مصطلحات بيانية دراسة بلاغية تاريخية: إبراهيم عبد الحميد السيد التلب، ط٢، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
- ❖ مصطلحات المذاهب الفقهية: مريم محمد صالح الظفيري، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
- ❖ المعاني الثانية في الأسلوب القرآني: فتحي أحمد عامر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ❖ معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- معجم آيات القرآن: صبحي عبد الرءوف عصر، (د ط)، دار الفضيلة، القاهرة
- معجم التعريفات: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، (د ط)، دار الفضيلة، مصر.
- معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- معجم الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط٦، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٣٣هـ.ق.
- المعجم الفلسفي: الدكتور جميل صليبا، (د ط٩، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢م.
- معجم لغة الفقهاء: أ. د . محمد رواس قلعه جي، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: الدكتور أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٣٦٤هـ .
- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: د. أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، ط١، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- معجم قواعد العربية في النحو والتصريف: عبد الغني الدقر، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٢٠هـ.

- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تعليق: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان ـ بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيّد كيلاني، (د ط).
- المفسدون في الأرض اليهود: ربيع عبد الرؤوف الزواوي، (د ط)، دار الإيمان للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د ط)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- مكافحة الفساد: د. أحمد محمود نهار أبو سويلم، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م.
- من أسرار النظم القرآني في سورة الحج: د. محمد علي أبو زيد، ط١، دار الأرقم، ١٤٠٩هـ.
- من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: عادل حسن الأسدي، ط١، مؤسسة المحبين، إيران ـ قم، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- من بلاغة القرآن: د. أحمد بدوي، (د ط)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٥م.
- من بلاغة القرآن: دكتور محمد شعبان علوان، دكتور نعمان شعبان علوان، ط٢، الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- من روائع القرآن: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، (د ط)، دار الفارابي للمعارف، دمشق، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.
- من هدى القرآن: آية الله السيد محمد تقي المدرسي، ط١، دار محبي الحسين، طهران، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
- من وحي القرآن: الدكتور إبراهيم السامرائي، ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، ط٥، منشورات دار التفسير، قم، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

- ❖ الموجز في علوم البلاغة: مازن المبارك، (د ط)، دار الفكر، (د ت).
- ❖ موسوعة أساليب المجاز في القرآن الكريم: الأستاذ الدكتور أحمد حمد محسن الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧م.
- ❖ الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، (د ط)، (د ت).
- ❖ الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- ❖ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: د. محمد عبد الله دراز، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- ❖ النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي: الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- ❖ نظرية السياق، د. نجد الدين قادر كريم الزنكي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- ❖ النقد الأدبي الحديث: الدكتور محمد غنيمي هلال، ط٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- ❖ نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ)، ط١، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٣٠٢هـ.
- ❖ النكت في إعجاز القرآن، من ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق: محمد خلف حمد الله، دكتور محمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف، مصر، (د ت).
- ❖ نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): لجامعه الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى (٤٠٦هـ): تحقيق: الشيخ قيس بهجت العطار، ط١، العتبة العلوية المقدسة ـ قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٧هـ.
- ❖ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: د. سلوى محمد العوا، تقديم: أ. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

❖ الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

❖ وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم: الدكتور عبد السلام أحمد الراغب، ط١، فُصّلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب ـ سوريا، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح:

❖ أسلوب الكناية في القرآن الكريم (رسالة ماجستير): بسام عبد العفو عبد الرزاق القواسمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ قسم الدراسات العليا ـ شعبة البلاغة، ١٤٠٤ . ١٤٠٥هـ.

❖ آيات الفساد والإصلاح في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة ماجستير): جميل عبد سلمان، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م.

❖ التطبيقات الفقهية لقاعدة النهي يقتضي الفساد في الكفالة والصلح (رسالة ماجستير)، إبراهيم بن محمد بن مطر العبدلي، ١٤٣٤هـ ـ ١٤٣٥هـ.

❖ التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية سورة البقرة نموذجا (رسالة ماجستير): بوكليخة فاطمة معمر، جامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة . كلية الآداب واللغات والفنون . قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤٤٠هـ . ٢٠١٩.

❖ التكثيف البلاغي في القرآن الكريم (جزء عمَّ) دراسة بلاغية أسلوبية (رسالة ماجستير)، أحمد محمد إدعيس دعسان، الجامعة الهاشمية، الأردن، كانون الأول ٢٠٠٨م.

❖ جريمة الإفساد في الأرض "مفهومها وتطبيقاتها المعاصرة في الفقه الإسلامي" (أطروحة دكتوراه): خالدة ربحي عبد القادر الناطور، كليّة الدراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، أيار ٢٠١٠م.

❖ خطاب المختار الثقفي (٦٨هـ) "دراسة حجاجية" (رسالة ماجستير): حسين لفيف أرشد، جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية . قسم اللغة العربية، ١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م.

- ❖ الدلالة الإيحائية في القصص القرآني (دراسة نقدية وبلاغيّة) (رسالة ماجستير): جنان تكليف علي النصراوي، جامعة الكوفة . كلية التربية للبنات . قسم اللغة العربية، ١٤٣٥هـ . ٢٠١٤م.
- ❖ دلالة السياق في القرآن الكريم "آيات الربا إنموذجا" (رسالة ماجستير): التجانية شايع، وسارة وزقة، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، معهد العلوم الإسلامية . قسم الحضارة الإسلامية، ١٤٤١هـ . ٢٠٢٠م.
- ❖ سورة البقرة دراسة أسلوبية بلاغية (اطروحة دكتوراه): صدقية عوض فلاح الطراونة، جامعة مؤتة . قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٠م.
- ❖ السياق القرآني وأثره في ترجيح دلالة ألفاظ التضاد (رسالة ماجستير): فاطمة محمد طحان، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين . قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٢هـ . ٢٠١١م.
- ❖ الصورة المجازية في شعر المتنبي (اطروحة دكتوراه): جليل رشيد فالح، جامعة بغداد . كلية الآداب، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.
- ❖ فاعلية الكناية في النقد المعاصر (رسالة ماجستير): أنمار إبراهيم أحمد، جامعة ديالى . كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٢هـ . ٢٠١١م.
- ❖ الفساد الإداري والمالي وآثاره الاقتصادية والاجتماعية في بلدان مختارة (رسالة ماجستير): إيثار عبود كاظم الفتلي، كلية الإدارة والاقتصاد . جامعة كربلاء، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- ❖ القرآن في مرويات الإمام الباقر (عليه السلام) "مقاربة معرفية" (رسالة ماجستير): محمد علي صادق جواد كشاش، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية . قسم اللغة العربية، ٢٠٢٣م.
- ❖ قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه (اطروحة دكتوراه): إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، كلية البنات للآداب والعلوم التربوية . قسم اللغة العربية.
- ❖ الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير): محمد الحسن علي الأمين أحمد، جامعة أم القرى . كلية اللغة العربية . الدراسات العليا الأدبية فرع الأدب، ١٤٠٣. ١٤٠٤هـ . ١٩٨٣. ١٩٨٤م.

❖ المصطلحات البلاغية عند الجاحظ في كتاب البيان والتبيين (رسالة ماجستير): جهيدة عبدات، و أمالي ساسي، جامعة أكلي محند أولحاج . كلية الآداب واللغات، ٢٠١٦-٢٠١٧م.

❖ مفهوم الإفساد في الأرض دراسة تأصيلية (رسالة ماجستير): عادل بن عبد الله عباد الحربي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية . كلية الشريعة، ١٤٣١- ١٤٣٢هـ.

❖ منهج القرآن الكريم في دفع الفساد دراسة موضوعية (رسالة ماجستير): يوسف بن عبد العزيز بن سليمان العقيلي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية . كلية أصول الدين، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ.

❖ وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي الشريف (رسالة ماجستير): أحمد بدري منصور البشابشة، جامعة آل البيت . كلية الدراسات الفقهية والقانونية، ١٤٢٨هـ .

ثالثاً: المجلات والدوريات:

❖ الاتساع الدلالي في أدب الإمام الحسن (عليه السلام) "دراسة أسلوبية" (بحث منشور): مثنى عبد الرسول مغير الشكري، سرى حيدر عدنان وتوت، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانيّة، المجلد٢٦، العدد٦، ٢٠١٨م.

❖ أثر الفاصلة القرآنية في التماسك النصي الصوتي (بحث منشور): م.م فائزة ثعبان منسي الموسوي، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد: ٢٢، العدد: ٩٥، ٢٠١٦م.

❖ الاستعارة بين الرؤية البلاغية والممارسة التداولية (بحث منشور): حمزة لكحل، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد: ١٥، العدد: ١، ٢٠٢٢م.

❖ أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة بلاغية في سورتي هود وطه (بحث منشور): محمد الصالح بوضياف، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد٣، العدد٦، ٢٠٢٠م.

❖ الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم (بحث منشور): الدكتورة سندس عبد الكريم هادي ، مجلة كلية الآداب، العدد٩٧.

❖ الإيحاء البياني في سورة البقرة (بحث منشور): م. م. لؤي سمير مهدي الخالدي، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإنسانية/ جامعة بابل، العدد: ٣٧، شباط ٢١٨م.

- ❖ التوسع الدلالي وتعدد المعنى في ألفاظ القرآن وعلاقته بالإعجاز القرآني (بحث منشور): د. عمار قرفي، مجلة الإحياء، مجلد٢٠، العدد٢٥، جوان ٢٠٢٠.
- ❖ دلالات مصطلح "الفساد" ومشتقاته في اللغة، واستعمالاتها في القرآن الكريم (بحث منشور): علي يوسف الرواشده، دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد٤٥، العدد٤، ملحق٢، ٢٠١٨م.
- ❖ دلالة الكناية في كلام الإمام الباقر (عليه السلام) (بحث منشور): أ.م.د وجدان صالح عباس محمد، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد:٢١، العدد:١، ٢٠١٨م.
- ❖ رتبة التقديم في القرآن الكريم (بحث منشور): م. عبد الجواد البيضاني، مجلة المصباح، العدد٤، شتاء (١٤٣٢هـ. ٢٠١١م).
- ❖ السياق وإنتاج الدلالة بين التراث اللغوي العربي والدراسات اللغوية الحديثة (بحث منشور): أ. عبد الحميد عمروش، حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، العدد: ١٧، ديسمبر٢٠١٦م.
- ❖ صور الفساد الاقتصادي في القصص القرآني(بحث منشور): حمزة عبد الله سعادة شواهنة، مجلة قبس للبحوث والدراسات الشرعية، العدد٥، ٢٠٢٠م.
- ❖ فاعليّة الكناية في الشعر العربي الحديث ((التنظير والاجراء)) (بحث منشور): م. د. أحمد جياد شروم، مجلّة الجامعة العراقيّة، العدد: ٥٤، ج٢.
- ❖ الفساد الاقتصادي أنواعه. أسبابه. آثاره وعلاجه (بحث منشور): د. عبد الله بن حاسن الجابري، المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي/ جامعة أم القرى.
- ❖ الفساد وأسبابه دراسة قرآنية موضوعية (بحث منشور): د. عبد السلام حمدان اللوح، أ. ضيائي نعمان السوسي، مجلّة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، م١٥، ع٢، ٢٠٠٧م.
- ❖ الفساد والأمن البيئي من منظور إسلامي (بحث منشور): سامي عطا عبد الرحمن، مجلة المحور(د م)، (د ع).
- ❖ الفساد ومنعكساته الاقتصادية والاجتماعية (بحث منشور): الدكتور حسن أبو حمود، مجلة جامعة دمشق، المجلد١٨، العدد الأول، ٢٠٠٢م.

- ❖ قضية اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم (بحث منشور): أ.م.د كريمة محمد كربية، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد:٣٨، ٢٠١٥م.
- ❖ ماهيّة الكناية في البلاغة العربية (بحث منشور): نبيل الهومي مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الثامن، العدد٧٣، ديسمبر ٢٠٢١م.
- ❖ مسوغات التقديم والتأخير في سورة البقرة (بحث منشور): د. هديل عبد الحليم داود، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد٩، العدد٤، ٢٠١٠م.
- ❖ مصطلح التمثيل عند عبد القاهر الجرجاني (بحث منشور): أ.د محمود سليم محمد هياجنه، حولية كلية اللغة العربية، المنوفية، العدد: ٣٥، ١٤٤١هـ. ٢٠٢٠م.
- ❖ مفهوم (الصّورة) في الموروث العربي القديم (بحث منشور): د. ناصر حلاوي، مجلة الأقلام، العدد:٧، تموز ١٩٩٠م.
- ❖ مفهوم الفساد في القرآن الكريم (بحث منشور): د. محمد عباس نعمان الجبوري، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، العدد:٧، آيار ٢٠١٢م.

Abstract

The Quranic text is consider as the main source for the study of rhetoric. A researcher cannot fully understand the principles of rhetoric without consulting and assisting the Qur'anic text. In this study, the researcher selected the Qur'anic text titled "Verses on Corruption in the Holy Qur'an" because of its emphasis on the Qur'an and its relevance to the research topic. This study serves as a cautionary message, providing both a warning and an explanation of the potential outcomes. Its purpose is to impart knowledge and insights for our benefit and to ensure that the conduct of a Muslim individual remains consistently virtuous and morally upright, which is the fundamental objective behind the sending of prophets and the revelation of divine messages. This study consisted of three chapters, with an introduction and conclusion. The first chapter focused on the rhetorical techniques used in the Holy Qur'an to present verses related to corruption. The second chapter examined the structural aspects of these verses, as the arrangement of words in the text plays a crucial role in conveying the true meaning of the Qur'an. Without proper combination with other words, individual vocabulary items in the Qur'an may lose their intended significance, whereas the third chapter was devoted to studying the imagery and rhythm in the verses of the study.

Upon the conclusion of the study, it became evident that the Quranic text possessed a crucial advantage in terms of influence. Specifically, its impact was not solely dependent on the selection of abstract words and vocabulary but also on the use of suggestions and insinuations. This trait endows the style of the Qur'an with its aesthetic appeal and significant power of impact. Due to the additional connotations that arise from it, this endows it with a perpetual existence and credibility throughout history, while expanding the opportunities for intellectual introspection and contemplation within the enigmatic domains of language. The Holy Quran's variety also shows in its ability to express facts, meanings, and other findings in its verses, As well as other results.

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kerbala - College of Islamic Sciences
Department of Arabic Language

Verses on Corruption in the Holy Qur'an: A Rhetoric Study

A Thesis Submitted to the Council of the College of Islamic Sciences, University of Kerbala

It Is Part of the Requirements for Obtaining

A master's Degree in Arabic Language\ The Language and Literature of the Qur'an

A letter submitted by the student

Ali Riadh Zemam Hamadi

Supervised by

PHD. Jasim Abdulwahid Rahi

AD 1446 **AH 2024**